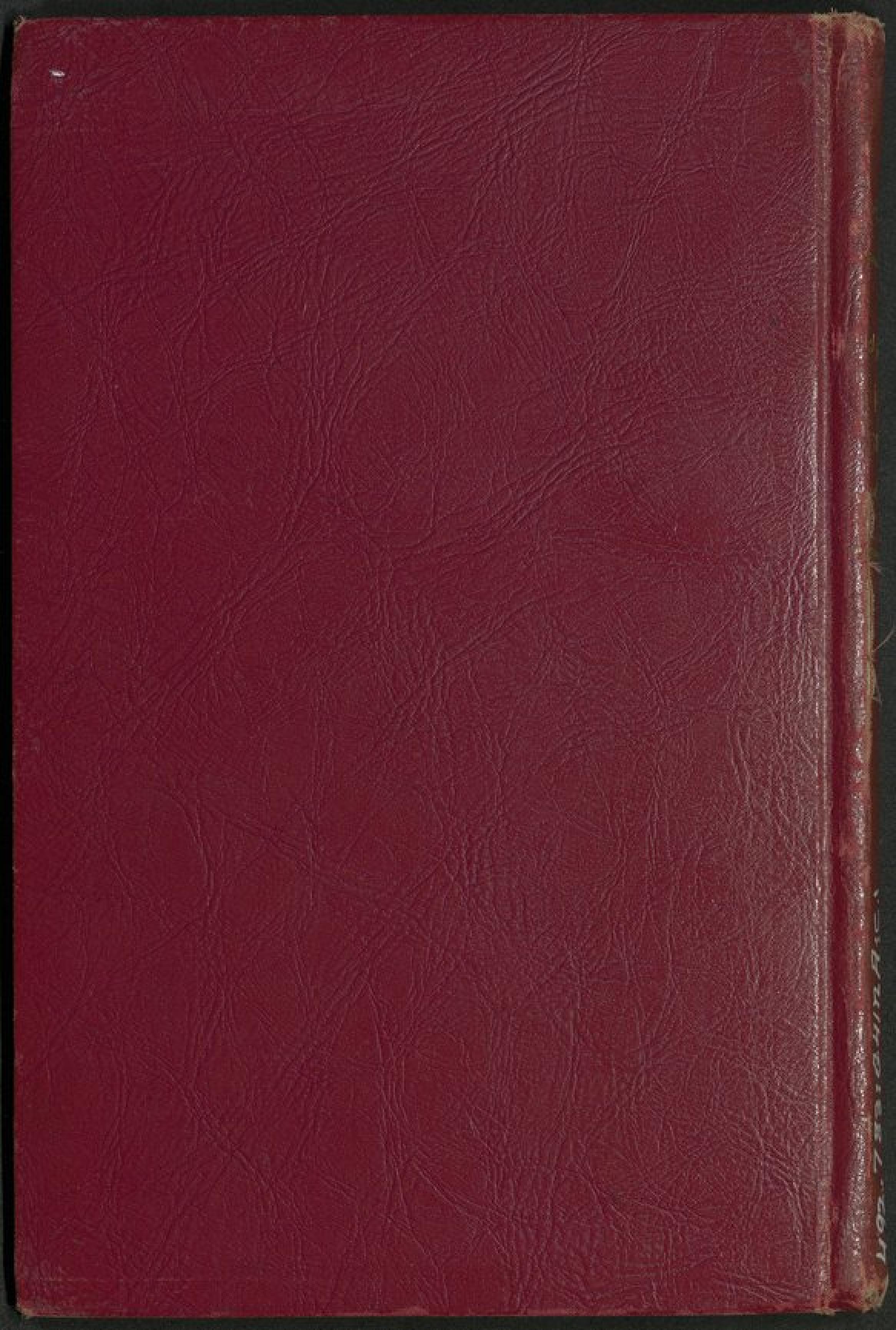
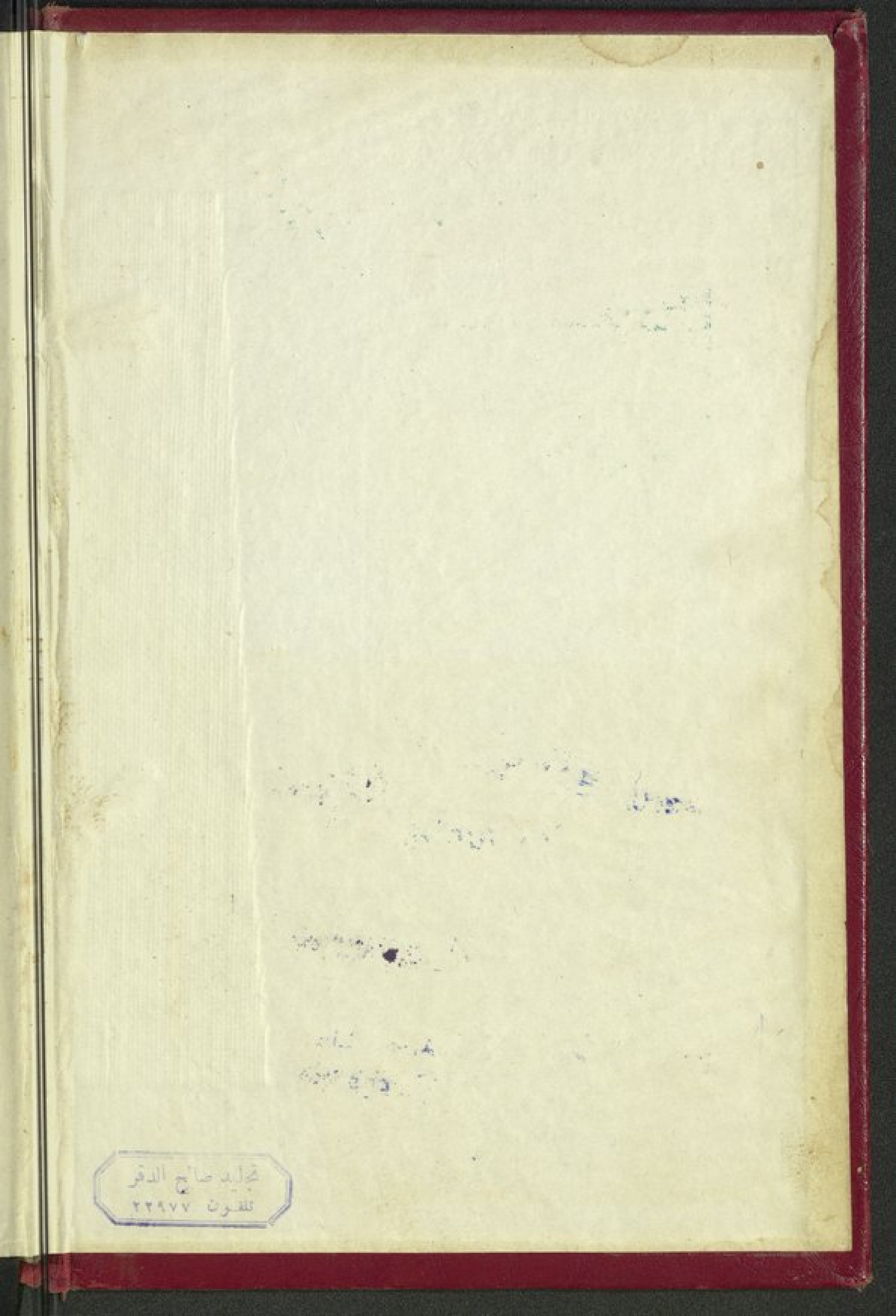
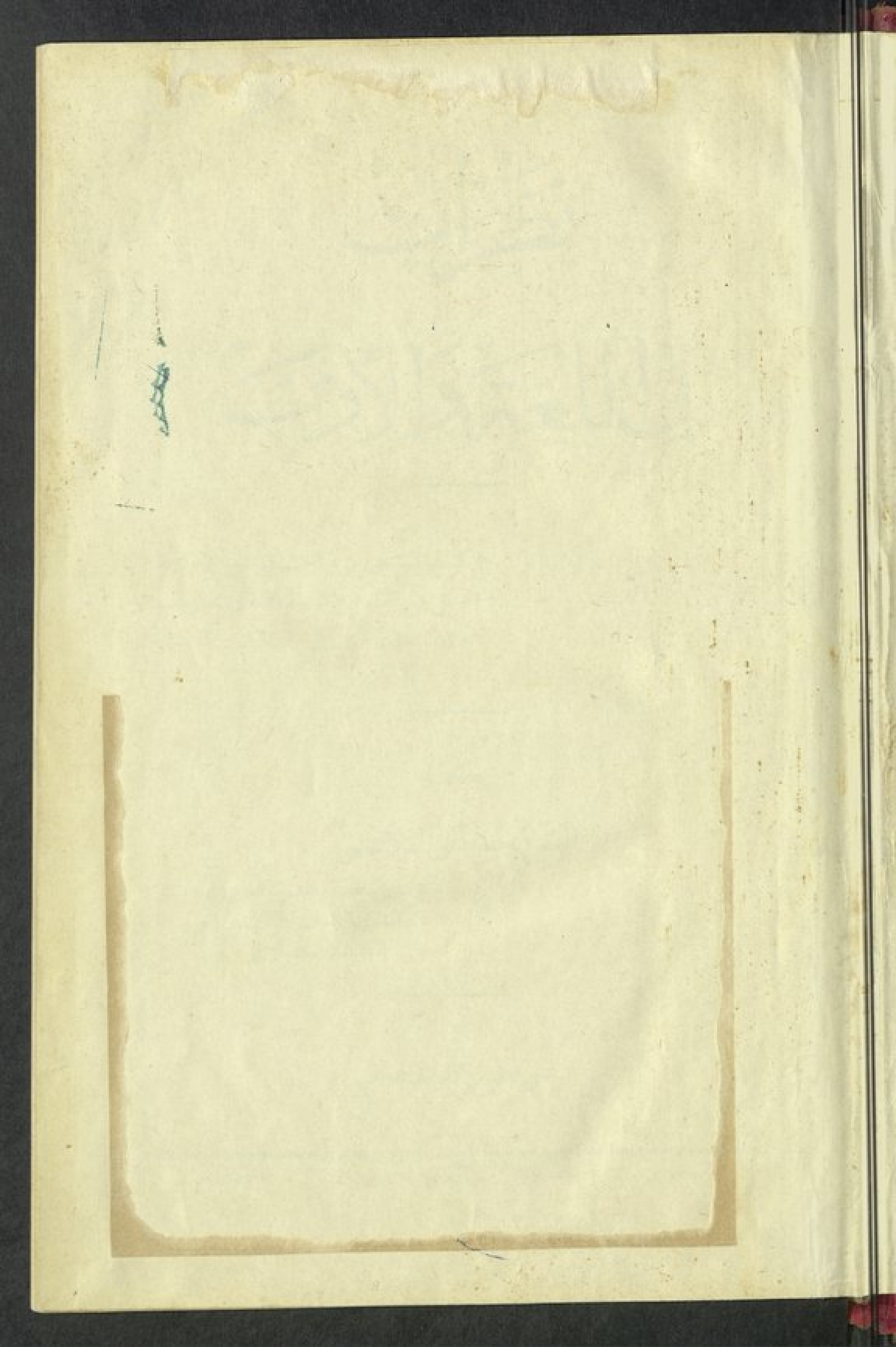
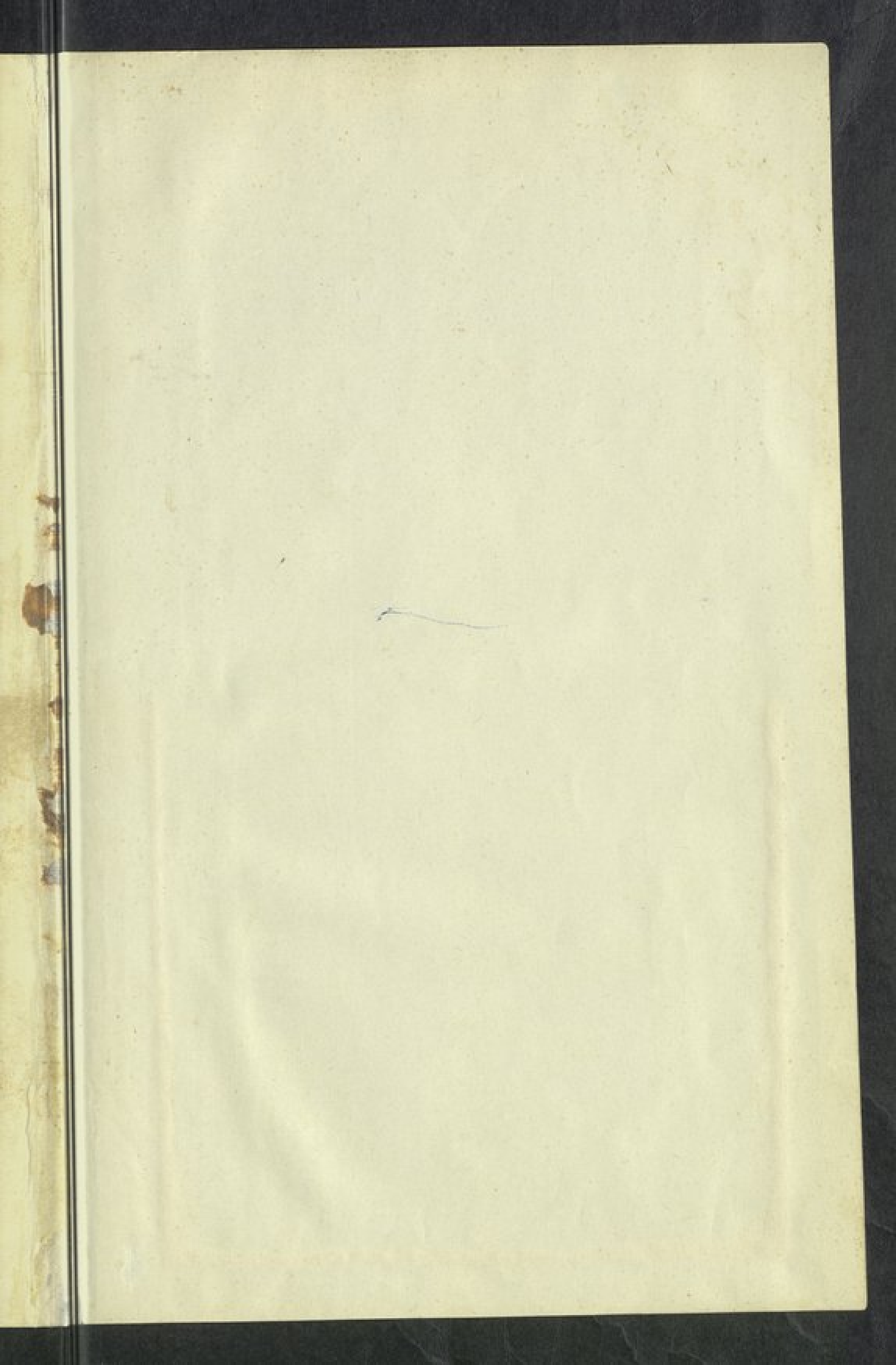








نظرات

في اللغة والأدب

«كتاب يشتمل على مباحث في النقد اللغوي،»
«وعلى طرائف من فلسفة اللغة والتصريف»
«والاشتقاق، كُتب في نقد (كتاب المنذر)»

كتبهُ

الشيخ مصطفى الغلاييني
«عضو المجمع العلمي العربي في دمشق»
«واستاذ التفسير والآداب العربية»
«في الكلية الاسلامية في بيروت»

١٣٤٦ هـ • مطبعة وزنكوغراف طباره * بيروت • ١٩٢٧ م



الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد فقد دفع اليَّ الصديق الفاضل الاستاذ عمر الفاخوري « محرر » مجلة الكشاف كتاب الصديق العلامة الشيخ ابراهيم المنذر الذي دعاه (كتاب المنذر) وهو كتاب في نقد كلمات يستعملها الكتاب واساليب قد تعوَّدوها ورغب اليَّ ان اعلق عليه شيئاً . فاعتذرت ، فأبى عليَّ الا الكتابة ، فنزلت على رأيه مضطراً ، ولو خُيرت لاخترت . ثم ورد عليَّ من الاستاذ المنذر (كتاب المنذر) ورسالة يرغب اليَّ فيها ان انظر في الكتاب وانشر رأيي فيه، فشكرت له حسن ظنه بي . وقد جاء كتابه بعد ان بدأت بالعمل .

قرأت المطبوعة الثانية من هذا الكتاب من مبتدئها الى خبرها ، فأكبرت عمل الاستاذ وجهده ، وحمدت له غيرته على لغته وعنايته بتنقيح الفاظ الكتاب وتقويم اساليبهم . ويشهد له على غيرته هذه كل ذي حمية عربية ، وحماسة وطنية ، ويشكره عليها كل عربي مخلص لبلاده ولغته وقومه ، لان اللغة عنوان القومية .

بيد اني رأيت بين ما انتقده الاستاذ الفاظاً صحيحة فصيحة جعلها من الخطأ والفاظاً ليست من الخطأ وانما هي مما يجوز فيه الوجهان ، والفاظاً خطأ فيها الكتاب وهي جائزة لكنها ليست من الفصيح . ثم رأيته يتابع في بعض المواضع اللغويين في اطلاقهم وتساهلهم ، وهم يعتمدون في ذلك على قواعد التصريف والاشتقاق التي

لابدَّ لطالب اللغة من مزاولتها قبل الخوض في بحورها . ثم رأيته قد اغلق باب المجاز الواسع في وجوه الكتاب . والمجاز ركن من اركان اللغة لايستهان به .

وانت خبير ان الحاجة اليوم تدعو الى استعمال بعض الالفاظ في معانٍ جديدة نحن في الحاجة القصوى اليها ، والى اشتقاق كلمات من كلام اجدادنا تلجئنا اليها الفاقة . وقد قال الشهاب الخفاجي : « لو اقتصرنا في الالفاظ على مااستعمله العرب العاربة والمستعربة لحجّرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم » (شرح الدرة ص ٧٠)

فكل مايوافق اصول اللغة مجازاً او تصريفاً او اشتقاقاً او قياساً ، وكان مقبولاً عند اصحاب الذوق السليم ، وكنا في حاجة اليه جاز لنا استعماله ، وان لم يستعمله الجدود . وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم . وبهذا تعلم شدة الحاجة الى مجمع لغوي عام للنظر في هذا الشأن، ينتخب اعضاؤه من اهل العلم الواسع والنظر الثاقب ، والصدور الرحبة ، الذين يحبون التجدد ولم يقطعوا الصلة بالماضي .

وان ننظر نظرة صادقة في العرب بعد الاسلام ، وما اشتقوه من لغتهم ، وما اضافوه اليها من كلام غيرهم ، وما صرّفوه من الفاظهم عن معناه الاصلي الى معانٍ أخر اقتضتها الحال واحتاجت اليها الحياة الجديدة بعد استبحار سلطانهم واتساع عمرانهم وانفساح ميدان اعمالهم وعلومهم ومعارفهم واختلاطهم بغيرهم من الامم ، نرَ العجب العجاب ونعلم ان هذا كان سراً من اسرار نهضتهم وامتداد ظل سلطانهم فيجب علينا ان نقتفي آثارهم ، ونتبع خطواتهم ، ونوسع صدورنا لكل جديد لايصدم اخلاقنا الفاضلة ، ولا يهدم لغتنا العلوية ، ونتقبل بقبول حسن كل طريف تمس اليه الحاجة وتقضي به الضرورة . فاللغة مجموع عادات ، والعادات تتجدد ، والمعارف تترقى ، والامم تتطور [1] . وقد قال عمر بن الخطاب او علي بن ابي طالب رضي الله عنهما : لاتقسروا اولادكم على اخلاقكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم . غير انه لا يليق بنا ان نقطع الصلة بالماضي ، ونحن قوم لنا ماضٍ حميد وتالد مجيد .

---

(١) انكر الاستاذ التطور لانه لم يرد في كتب اللغة وستعلم انه اشتقاق صحيح فيما سنقصه عليك .

فكل قوم ضيعوا قديمهم فهم مِنْ جديدهم على خطر . فلنأخذ من الحديث مايتفق مع اخلاقنا الصحيحة وآدابنا الفاضلة ، ولننهج في كلامنا منهجاً يليق بحالتنا الاجتماعية ، من غير ان نخرج على اصول اللغة واساليبها .

بعد ان نظرت في كتاب الاستاذ تمثل لي كل ماذكرته واكثر مما ذكرته ، فرأيت ان التضييق على الكتاب (او الضغط عليهم) [1] الى هذا الحد ينفرهم من امهم ويلجئهم الى عقوقها ، فنخسرهم كما خسرنا كثيراً من الشبان تفصّوا من عرى الدين وتملصوا من قيود الكتب المنزلة فسقطوا في هُوى الهَوى بما ضيقه الرؤساء على الناس . والدين ايسر مما يظنون، واللغة اوسع مما يتوهمون . فكتبت هذه الورقات على ضيق وقتي ووفرة عملي حباً للغتي وقومي وبلادي .

ونرجو من الناظر في كتابنا هذا نظر باحث مدقق ناقد ان يكون عنده ذوق في لغة العرب، ومعرفة بطرق اساليب اللغويين، وخبرة باصطلاحاتهم في كتبهم، وبصر بعلوم التصريف والاشتقاق والمجاز، واطلاع على كثير من كلام العرب في جاهليتهم واسلامهم ، واضطلاع باساليبهم وافانين آدابهم في كلامهم ، وبصيرة بكناياتهم ومعاريضهم ومجازاتهم وتلويحاتهم واشاراتهم . ثم لايكون بعد ذلك مقلداً على غير هدى ولا روية . ثم يقول بعد ذلك مايشاء مخلصاً في نقده، لايشوب قوله هوى، ولا يصرفه عن الحق تعصب ولا تأخذه في الحق لومة لائم . فان الغاية هي خدمة هذه اللغة والتسهيل على الكتاب والمتأدبين بما لايشعث اصولها ولا يوهن بناءها ولا يشوّه جمال اساليبها والله المستعان وعليه التكلان .

بيروت : في ذي القعده سنة ١٣٤٥

وحزيران سنة ١٩٢٧

الغلاييني

---

(١) انكر الاستاذ (ضغط عليه) معدي بعلى : وسترى أنه جائز منصوص عليه .

نقد الصفحة الاولى

١ — المناولة والتناول

جعل من الخطأ « مناولة الطعام » وقال : الصواب « تناوله »

قلت « المناولة » مفاعلة تكون من الطرفين . فان قصدوا بها ان يعطي بعضهم بعضاً فالتعبير صحيح ، وان قصدوا بها الاعطاء مجرداً عن المفاعلة كناولته الطعام فصحيح ايضاً ، لان باب المفاعلة قد يكون لغير المشاركة ، كما هو معلوم . قال في المختار والاساس : « ناولته الشيء فتناوله » وفي القاموس والتاج : « وناولته الشيء : اعطيته اياه فتناوله اي اخذه » اه وان قصدوا بها معنى التناول اي الاخذ فخطأ .

٢ — المظاهرة والتظاهر

وجعل منه « مظاهرة الشعب » قال : والصواب « تظاهره »

قلت : كلاهما صحيح في هذا المقام ، لان المظاهرة : المعاونة والنصرة والتظاهر : التعاون والتناصر . غير ان للتظاهر معنى آخر وهو « التدابر » ضد التناصر ، كأن كل واحد منهما يولي ظهره الى الآخر . اما المظاهرة فهي المناصرة والمعاونة ولا تكون في معنى الضد لهذا نميل الى استعمالها اكثر مما نميل الى التظاهر . قال في القاموس : « تظاهروا : تدابروا . وتظاهروا تعاونوا . ضد » وفي التاج « ظاهر عليه : اعان » وفي مستدركه : « ظاهر فلاناً : عاونه ونصره » . وقال في لسان العرب : « تظاهر القوم : تدابروا ، كأنه ولى واحد منهم ظهره الى صاحبه » ثم قال بعد صفحات :

« تظاهروا عليه : تعاونوا وظاهر بعضهم بعضاً : اعانه . والتظاهر : التعاون . وظاهر فلان فلاناً عاونهُ . والمظاهرة : المعاونة . والظهير : العون . (اي المعين والناصر) الواحد والجمع في ذلك سواء . وانما لم يجمع ظهير ، لان فعيلاً وفعولا قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع ، كما قال تعالى : « إنا رسول رب العالمين » وفي التنزيل العزيز : والملائكة بعد ذلك ظهير (اي اعوان وانصار وظهراء) وقال : « وحسن أولئك رفيقاً : اي رفقاء » اه

فما المانع (بعدما رأيت من هذه النصوص الجلية) ان يقال: «مظاهرة الشعب» بمعنى معاونة بعضهم بعضاً ومناصرة بعضهم بعضاً في هذا الامر الذي اجتمعوا له ، كما يقال « تظاهُر الامة » بمعنى تعاونها وتناصرها .

ويريدون بالمظاهرة والتظاهر ان يجتمع قسم من الناس يظاهر بعضهم بعضاً ويناصره فيما يرمون اليه من هذا الاجتماع . وقد يسيرون في الاجتماع متظاهرين اي متعاونين متناصرين متكافلين ، طالبين احقاق حق او ابطال باطل (بالنسبة الى ما يعتقدون) يظاهر بعضهم بعضاً في الامر اي يسانده ويقويه ويعينه .

وربما يُظن ان المظاهرة والتظاهر هنا هما من الظهور الذي هو ضد الخفاء ، لهذا منع من منع ان يقال « المظاهرة » لانه لم يرد « ظاهر » بمعنى « ظهر » ولا « ظاهر به » بمعنى « اظهره » وصححوها « بالتظاهر » لانه يقال « تظاهر بالشيء » اذا اظهره . غير ان مدلول الظهور والاظهار هنا لا يؤدي المعنى المطلوب من هذا الاجتماع المراد به المعاونة والتعاون

على نفي شيء او اثباته الا اداءً بعيداً على سبيل التجوز القصي الخفي كما لا يخفى .

٢ – علا عليه وعلاه وبه الخ

وجعل من الخطأ « علا عليه » وقال : انما يقال « علاه » لان هذا الحرف يتعدى بنفسه .

اقول : قد ارسل الكلام في ذلك ارسالا ، ولم يقيده تقييداً يقشع اللبس . فان هذا الحرف على اطلاقه لا يتعدى بنفسه ، وانما هو يأتي لازماً : كعلا النهار والشيء اي ارتفع ، ومتعدياً بنفسه كعلا فلان المكان اي صعده ، وعلا الدابة اي ركبها ، وعلا فلاناً اي غلبه وقهره ، وعلاه بالسيف اي ضربه ، وعلاه ظهراً اي شق عليه ، تقول « سأله مايعلوه ظهراً » اي يشق عليه ، ومتعدياً بعلى كعلا عليه اي غلب ، وفي القرآن الكريم « ولعلا بعضهم على بعض » ، ومتعدياً بالباء كعلا به اي جعله عاليا ، وباللام كعلا للامر اي استطاعه ، وهذه تتعدى بنفسها ايضا ، يقال : علا الامر كعلا له . ومن استعمالها غير متعدية بنفسها : « علا في المكارم » اي شرف ومجد و « علا في الجبل » اي صعد . و « علا في الارض » اي تكبر . وفي القرآن الكريم : « ان فرعون علا في الارض » .

ولا ريب ان الاستاذ المنذر انما خطأ من يقول « علا عليه » وهو يريد معنى « صعده وارتفع عليه » وهو حق ، غير ان اطلاقه الكلام يوهم من لا بصيرة له من الطلاب ان هذا الحرف لا يتعدى الا بنفسه

في كل مايستعمل فيه .

٤ — تعهد له وتعهد به وتعهده

وجعل منه « تعهد له » قال : والصواب « تعهده » وشرحها في الحاشية بمعنى « تفقده »

اقول : ان من يقول « تعهد له بكذا » او « تعهد له ان يفعل » لايريد معنى تفقده ، وانما يريد معنى « ضمنه له » فاذا ارادوا معنى تفقده لايعدونها الا بنفسها ، فيقولون : « تعهدت اعمال فلان وتعهدت له اهل بيته في غيابه »

وكان اجدر بالاستاذ ان يفسر مايريده الكتاب بقولهم : « تعهد له » ثم يقول ان « تعهد » لم ترد في كتب اللغة الا بمعنى تفقد ، ثم يذكر مايقوم مقامها : كضمن له كذا او بكذا او كفل له به . على انهم لايقولون « تعهد له » فحسب بل يقولون « تعهد له بالشيء » او تعهد له ان يفعل » . ومن قال « تعهد له » فانما يحذف المفعول به لمقتضى الحال . وهم في ذلك يضمنونها معنى « ضمن » وضمن تتعدى بنفسها وبالباء يقال « ضمنه وضمن به » والكلام في التضمين وسماعيته وقياسيته واعطاء المضمن حكم ماتضمنه معروف في كتب النحو ، وقد جاء منه الشيء الكثير في كلام العرب الفصحاء . ولا يخفى ما بين الضمان والتفقد من المناسبة المعنوية . فمن تفقد الشيء كان كالضامن له يخشى ضياعه والتفريط فيه . وجاء في لسان العرب في مادة (عدد) : وقول ابي ذؤيب :

رَدَدنا الى (مولى)(١) بنيها فاصبحت يُعدُّ بها بين النساء الارامل

انما اراد « تُعَدّ » فعدّاه بالباء ، لانه في معنى « احتُسب بها » « بضم التاء » — اقول : يريد « فاصبحت تُعَد بين النساء الارامل » لان (عدّ) يتعدى بنفسه ، يقال « عدّ الشيء يعده عداً » وقد ضمنه هنا معنى « احتسب به واعتد به » فعدّاه تعديتها ، لانه يقال : « احتسب به واعتد به » اذا عبأ به واكترث له والتفت اليه . وفلان لايعتدّ به ولا يحتسب به « بصيغة المجهول » كما تقول : « لا يُعبأُ به » وكذلك « اعتد واحتسب » حرفان متعديان بانفسهما ، يقال : « اعتددت هذا الامر خيراً ، وانا احتسبه سعادة ، وهو يحتسب اجر عمله عند الله واحتسب عند الله خيراً »(٢) ويقال « احتسبت ما عند فلان » اي اختبرته . فلما ضمنوها معنى العبء بالشيء عدوهما تعدية « عبأ به » فقالوا : فلان لايُعتد به ولا يحتسب به ، اي لا يعبأ به ولا يُبالى به(٣) . وكذلك لما ضمنوا « احتسب » معنى « انكر » عدوه تعديته ، نحو « احتسب فلان على فلان » اي انكر عليه قبيح عمله . وقالوا في قوله تعالى : « فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » : اي تعتدون بها ، فحذف الوسيط وهو الباء ، واوصل الفعل الى مفعوله بنفسه . وهذا مايسمى الحذف والايصال . قيل انه قياسي ، والجمهور على انه سماعي .

---

(١) مولى : اسم امرأة

(٢) اي قدّمه او عده فيما يدخر

(٣) يقال بالاه وبالى به ، فهو يصل الى مفعوله بنفسه وبالباء . وتعديته بنفسه افصح كما في الاساس . الا ان اكثر ما يعدى مجهولاً بالباء .

ومتى أشرب الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما تعدى تعديته او لزم لزومه كما قدمنا . فلا نرى من يقول « تعهد له بكذا » بمعنى ضمن له به مخطئاً ، لان ضمن تتعدى بالباء كما تتعدى بنفسها ، فما تضمن معناها فله حكمها . وقد يعدي الكتاب تعهد في هذا المعنى بنفسها كما تتعدى ضمن بنفسها ايضاً فيقولون « تعهد الشيء » بمعنى ضمنه و « تعهد له نجاح العمل » اي ضمن له نجاحه .

ولا وجه لجعل الاستاذ المنذر تعهد متعدية باللام في قولهم « تعهد له » فانما تعديتها بالباء الداخلة على مذكوراو مقدروهو الشيء المضمون نفسه وقد دخلت في قولهم « تعهد له » على المضمون له . فتعديتها في كلامهم انما هي بالباء الداخلة على المفعول به غير الصريح لا باللام الداخلة على مافعل الفعل لاجله . الا ترى انك ان قلت « تعهد له الشيء » كان جائزاً وكان الفعل واصلاً الى المفعول به بنفسه ، فان ادخلت عليه الباء كما يفعلون وصل الى مفعوله بها ولا شأن للام في ذلك .

٥ — اهداه واهدى اليه وله

وجعل منه « اهداه » قال : والصواب « اهدى اليه »

قلت : يقال « اهدى له الشيء ، واهداه اليه » فهو يتعدى الى من يهدى له بالحرفين . ويتعدى الى مايهدى من شيء بنفسه كما رأيت . اقول : والهدية مايهدى اي يقدم امام الحاجة في مِهْدًى (بكسر الميم وفتح الدال) اي طبق ، من هداه اذا تقدمه كما يتقدم الهادي المَهديَّ (بفتح الميم وكسر الدال وتشديد الياء اسم مفعول) ومن ذلك الهادي

للمتقدم والعنق ، ومنه هوادي الليل لاوائله .

٦ – اعتقده وبه

وجعل منه « اعتقد به » قال : والصواب « اعتقده »

قلت : ان اللغويين لم يذكروا هذا الحرف الا متعدياً بنفسه لذلك جعل الاستاذ اعتقد به خطأ لانه لم يرد في كتب اللغة . ونحن نسلّم بخطأ « اعتقد به » إن اراد الكاتب انها بمعنى صدّقه ولا نسلم بخطئه ان اراد معنى « آمن به » . فالاعتقاد ان تضمن معنى الايمان جازت تعديته بالباء ، لان الفعل تختلف تعديته باختلاف استعماله ليتضح معناه المراد . وقد قالوا « اعتقد بالله والاعتقاد بالله » بمعنى آمن به والايمان به . ألا ترى ان « دعا » في معناها الاصلي وهو النداء في قولك « دعوت فلاناً » لا تتعدى الا الى مفعول واحد ، فاذا اردت بها معنى التسمية في قولك « دعوت ابني فلاناً » اي سميته فلاناً تعدت الى المفعولين لتضمنها معنى سمى كما تقول « سميته فلاناً » . وفرقٌ بين ان تقول « عرّفتك الشيء » وبين ان تقول « عرّفتك بالشيء » لان الاول معناه اعلمتك الشيء وقد كنت تجهله ، والثاني معناه جعلتك معرّفاً به فكأنه علامة تُعرف بها . وقد وضّح هذا المقام (ابن سيده) صاحب (المخصص) في السفر الرابع عشر في الصفحة السبعين فما بعدها فليرجع اليه من اراد توسعاً وفضل ايضاح .

٧ – وصله ووصل اليه

وجعل منه « وصله » قال : والصواب « وصل اليه »

اقول : اراد انه خطأ اذا كان بمعنى « بلغه وانتهى اليه » ومصدره

« الوصول » اما انه ان كان بمعنى « لأم » ضد قطع ومصدره « الوصل » فهو يتعدى بنفسه من غير ما منازع فيه . واقول : ان صاحب القاموس ذكر انه بمعنى بلغ وانتهى يتعدى بنفسه وبالى ، قال : « وصل الشيء واليه : بلغه وانتهى اليه » . غير ان اصحاب اللسان واساس البلاغة ومختار الصحاح لم يذكروه في هذا المعنى الا متعدياً بالى . فلعل هذا الحرف في هذا المعنى يتعدى بنفسه وبالى ، وصاحب القاموس حجة . وعدم ذكر غيره تعديته بنفسه لا ينهض دليلاً على خطئه لانهم لم ينصوا على انه لايتعدى الا بنفسه . اما انا فلا ينشرح صدري الا لتعديته بالحرف . على انه ان جازت تعديته بنفسه فتعديته بالحرف افصح ، فاني لم أره متعدياً بنفسه في شعر من يوثق به او نثره .

٨ — امله وامل به

وجعل منه « امل به » قال : والصواب « امله »

قلت : وهو حق ان ارادوا معنى « رجاه » وليس بحق ان قيل « امل به الخير والمعروف » فتكون الباء للاستعانة ، ويكون مفعول امل ما بعد المجرور بها ، كما تقول « بلغت بك ما اريد ، وفتحت بالمفتاح الباب ، ونلت بعزيمتي مرادي » . ولا حرج على من يقول « املت به » بحذف المفعول به ان كان المقام يعينه او كان مقتضى الحال يستدعي حذفه ، ويكون المعنى « املت به كذا » لان الباء هنا للاستعانة كما قدمنا . اما ان ارادوا بقولهم « املت به » معنى « املته ورجوته » فهو خطأ لان هذا الحرف يتعدى الى المرجو بنفسه .

٩ – وقع عليه ووقعه

وجعل منه «وقّع عليه». قال: والصواب «وقعه»

قلت: والصواب «وقع فيه» قال في مجاز الاساس: «وقد وقّع في كتابه توقيعاً» وقال في لسان العرب والقاموس والمختار: «والتوقيع ما يوقّع في الكتاب» وقال في لسان العرب: «التوقيع في الكتاب الحاق شيء فيه بعد الفراغ منه» قال: وقال الازهري: «توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب ان يُجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول». فانت ترى انهم لم يذكروا التوقيع في الكتاب الا واصلاً الى مابعده بفي، ولم يذكروه واصلاً اليه بنفسه. ولعله سرى الى الاستاذ ذلك من صاحب اقرب الموارد (وهو لا يوثق به ولا يخالفنا في ذلك الاستاذ المنذر» حيث قال: «وقّع العهد وهو المعروف بالفرمان: رسم عليه طغراء السلطان» على انه قال بعد ذلك: «وقع في الكتاب: أجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة وحذف الفضول» اه فأصاب في الاخرى واخطأ في الاولى.

واقول: ان التوقيع في الشيء راجع الى معنى التأثير فيه. قال في اللسان وغيره: التوقيع اصابة المطر بعض الارض واخطاؤه بعضاً وقيل: هو انبات بعضها دون بعض. قال الليث: اذا اصاب الارض مطر متفرق اصاب واخطأ فذلك توقيع في نبتها» اه كلام الليث: «والتوقيع الدّبر[1]. وقال في الاساس: «سكين وقيع وموقع: حديد[2] ووقعه

(١) الدبر، بفتحتين: هو ما يصيب الدابة في ظهرها واطراف عظامها من تأثير الركوب فيها ٢ حديد: اي محدود ومحدد، من حد السكين وحددها اذا سنها.

القين بالميقعة [1] . وقال في اللسان والقاموس : « التوقيع اقبال الصيقل [2] على السيف بميقعته يحدده » . فكل ذلك راجع الى معنى التأثير ، وهذا راجع الى معنى الوقوع بالمعنى الاصلي وهو السقوط لان الواقع يؤثر غالباً فيما وقع عليه . والتوقيع في الكتاب مأخوذ من توقيع المطر ، كما قال بعضهم ، او من التوقيع بمعنى الدَّبَر (بفتحتين) كما قال الازهري . ونرى انه مأخوذ من توقيع السيف والسكين ونحوهما فالحداد لا يزال يؤثر في ذلك حتى يجعله ماضياً صالحاً للاستعمال . وهكذا الموقع لا يزال ينظر في كتابه ويهذبه وينقيه حتى يجيزه . فالتوقيع في الكتاب مأخوذ منه سواء أكان بالحاق شيء فيه بعد الفراغ منه ام كان بزيادة شيء يدل على امضاء الكتاب واجازته ، ام كان ما يريده الناس اليوم من وضع اسم الكاتب او المكتوب عنه في ذيل الكتاب دلالة على امضائه وانفاذه . فكل ذلك تأثير في الكتاب . قال في اللسان : « فكأنّ الموقع في الكتاب يؤثر في الامر الذي كتب فيه الكتاب ما يؤكده ويوجبه » اه فان قيل ان اخذه من توقيع السيف يوجب عليك تعديته بنفسه لانه يقال : وقع الحداد السيف (بالتخفيف والتشديد) اقول : ان استعماله في معناه الجديد

---

(١) القين ، بفتح فسكون : الحداد . والميقعة ، بكسر الميم : المطرقة ، وهي ايضا المسن الطويل يوقع عليه اي يحدد ، وكذلك هي خشبة القصار يدق عليها . والفعل من ذلك : « وقع فلان النصل يقعه » اذا سنه وحدده ، فهو واقع والنصل وقيع .

(٢) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها . يقال : صقل السيف ونحوه اي جلاه وكشف صدأه والشيء صقيل ومصقول . والفاعل صاقل وصقال وصيقل . والصيقل ايضا : السيف نفسه . وميقعة الصيقل : مسنه

حوّل وجه تعديته ، لان معناه اثر فيه ، واثر يتعدى الى المؤثر فيه بفي . على اني لا امنع تعديته بنفسه كاصله المنقول عنه ، وان لم يذكرها اللغويون .

فان قيل : ألا يجوز ان يقال « وقع على الكتاب » كما هو المستعمل اليوم ؟ اقول : ان التوقيع اليوم يراد به اجازة الكتاب بوضع اسم الكاتب او المكتوب عنه . فان قالوا وقّع على الكتاب فقد ارادوا معنى « وضع عليه توقيعه » ولا تنصرف اذهانهم الى غير هذا . ولا ارى في ذلك بأساً لاختلاف تعدية الفعل باختلاف معناه ، كما قالوا « ضرب القاضي على يد فلان ، اذا حجر عليه ومنعه التصرف . وضرب على يديه بمعنى امسك . وضرب في الارض : خرج تاجراً او غازياً او سافر او اسرع او ذهب . وضرب الليلُ : طال . وضرب الشيء : تحرك . وضرب بيده : اشار . وضرب الدهر بينهم فرّقهم . وضرب الرجلُ : اشبه اهله من آبائه وامهاته » . ومعلوم ان ضرب في الاصل من الافعال المتعدية ، وقد انصرفت الى اللزوم في هذه الامثلة . على ان من حروف الجر ما يقوم بعضها مقام بعض بضربٍ من المجاز . وفي القرآن الكريم : « ولأصلبنكم في جذوع النخل » اي عليها ، أقيمت الظرفية مقام الاستعلاء بجامع التمكن من الشيء . وقولهم « وقّع عليه » من اقامة الاستعلاء مقام الظرفية بجامع التمكن ايضاً . كما أُقيم الاستعلاء مقام الالصاق في قول الشاعر

امرّ على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

اشارة الى معنى التمكن ، وانما اراد « امر بالديار »

١٠ - امضاه وامضى عليه

وجعل منه « امضى عليه » قال : والصواب (امضاه)

قلت : ان ارادوا معنى « انفذه » فالصواب ما قال . وان ارادوا معنى « وضع عليه امضاءه » فلا مانع من ذلك لاكتساب هذا الحرف معنى اصطلاحياً جديداً . والامضاء في الاصل مصدر « امضى فلان الامر » اى انفذه ، ومنه امضاء الحاكم الحكم و « امضى البيع » اي اجازه ، ومنه امضاء الرسائل ونحوها بوضع اسم الكاتب او المكتوب عنه دلالة على انفاذها واجازتها ، على ان الاولى ان تعدى « امضى » بنفسها كما هو الاصل وكما هو مصطلح كثير من الناس حتى العوام منهم . اما « مضى » الثلاثية المجردة فهى بهذا المعنى متعدية بعلى لا غير ، تقول « مضى على البيع » اي اجازه . ولا مانع من ان يقال « مضى على الكتاب » كما يقول كثير من الناس ، كما يقال « مضى على البيع » .

١١ - حداه وحدابه

وجعل منه (حدا به) وعدّ ذلك خطأً صوابه (حداه) لانها تتعدى بنفسها لا بالحرف .

قلت : كلاهما جائز . قال في لسان العرب : « حدا الابل وحدابها يحدو حَدْواً وحُداءً « بضم الحاء في الاخير » : زجرها وساقها وتحادت هي : حدا بعضها بعضاً . قال الجوهري : والحدو . سوق

الابل والغناء لها». وقال في القاموس والتاج : « حدا الابل وحدا بها حدواً بالفتح ، وحُداء ، كغراب ، وحِداء ككتاب ، ولم يذكر الجوهري الاخيرة : زجرها وساقها » اه اقول : ولم ينصوا على ان احداهما افصح من الاخرى

١٢ - مسه ومسّ به

وجعل منه (مس به) : قال والصواب (مسه)

قلت : تختلف تعدية هذا الحرف باختلاف معناه : فان قلت « مسست الشيء » تعدى بنفسه . وان قلت « مسستُ الشيء بيدي ومسست جسدي بالماء » عديته الى الاول بنفسه والى الآخر بالباء . وان قلت « مست الحاجة الى كذا » بمعنى الجأت اليه ، عديته بالى . وان قلت «مست بك رحم فلان» اذا كان بينكما رحم واشجة اى قرابة قريبة ، عديته بالباء . وقد لا يتعدى ، نحو « رحم ماسة » اي قرابة قريبة ، ونحو « حاجة ماسة » اي مهمة .

ومس يمس من باب (علم يعلم) بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المضارع . وهي اللغة الفصيحة ، وبها نزل القرآن الكريم قال تعالى : « لا يمسه الا المطهرون » بفتح الميم . تقول مسست الشيء (بكسر السين) امسه (بفتح الميم) وقد يقال : مسسته ، بفتح السين أمسه (بضم الميم) والفتح والضم في المضارع انما هو للسين الاولى ، وقد نقلت حركتها الى الميم للادغام .

نقد الصفحة الثانية

١٣ – قات وأقات وقائت ومقيت

وجعل منه « مقيت » بضم الميم ، قال : والصواب « قائت »

قلت : يقال « قاته يقوته فهو قائت ، وأقاته يُقيته فهو مُقيت » بمعنى اعطاه قوته . قال في اللسان : ومن اسماء الله « المقيت » هو الحفيظ . وقيل هو الذي يعطي اقوات الخلائق ، وهو من اقاته يُقيته اذا اعطاه قوته ، وأقاته ايضاً : حفظه . وفي التنزيل : « وكان الله على كل شيء مقيتاً » اه كلام اللسان . فانت ترى انه يقال « قاته فهو قائت واقاته فهو مقيت » . والمقيت بمعنى الحفيظ هو من القوت لان من قات فقد حفظ . ويأتي المقيت بمعنى المقتدر ، قال الشاعر

ثم بعد الممات ينشرني من   هوَ على النشر يا بني مقيت

اي مقتدر . قال في اللسان : « قال الفراء : والمقيت المقتدر والمقدّر كالذي يعطي كل شيء قوته . قال الزجاج : المقيت القدير » اه قلت : والاكثرون على ان معنى المقيت (الذي هو من اسماء الله الحسنى) الحفيظ لانه حفيظ على عباده ، وقولهم هو الحق .

١٤ – الاحناء والحنو والحني

وجعل منه « احناء الرؤوس » قال : والصواب حنوها (بفتح فسكون)

قلت يقال « الحنوُ والحنيُ والحناية » الاولى من الواوي (حنا

يحنـو) والاخريان من اليائي (حنى يحني) ولم يُسمع (أحنى) بهذا المعنى ، وانما قالوا « حنت المرأة على اولادها تحنو حنواً (بضم الحاء والنون وتشديد الواو) وأحنت عليهم » اي عطفت عليهم بعد زوجها فلم تتزوج بعد ابيهم ، كما في لسان العرب . فاحناء الرؤوس لاوجه له فالصواب « الحنو » كما قال الاستاذ او الحنيُ او الحناية .

١٥ - التشكيل والتنظيم

وجعل منه « تشكيل الدولة » قال : والصواب « تنظيمها »

قلت : « الشكل » بفتح الشين و كسرها معناه « الشبه والمثل وما يوافقك ويصلح لك ، تقول : « هذا من هواي ومن شكلي » و« الشكل » ايضاً : صورة الشيء المحسوسة والمتوهمة ، وهو ايضاً : الطريقة والمذهب و « شكّله تشكيلا » صوّره ، و « تشكل الشيء » تصور كما في اللسان والقاموس . فاذا قالوا « شكل فلان الحكومة او الدولة وتشكلت الحكومة » فهو راجع الى معنى تصويرها وتصـورها اي جعلها على شكل خاص واخذها طريقة خاصة ، فمن صوّر الشيء فقد نظمه ورتبه وعُني به عناية المنظم في تنظيم الامور . فالصورة لا بد ان تُسلك في نظام قدّره لها المصور . فلا بأس ان يقال « تشكيل الدولة كما يقال « تنظيمها وترتيبها وتكوينها » ونحو ذلك .

على ان للتشكيل معنى لايعطيه معنى التنظيم ، فالتنظيم ترتيب شيء موجود وتهذيبه . والتصوير ايجاد شيء على مثال شيء محسوس او متوهم . فالتشكيل اليق بالمعنى المراد اليوم من التنظيم . واقول :

ينبغي ان يقال « تشكيل الحكومة » ان ارادوا معنى انتخاب رجال يقومون باعمالها (والتنظيم لا يفي بهذا المعنى) وان يقولوا « تنظيمها » ان ارادوا معنى « اصلاحها وتهذيبها وترتيب اعمالها » والتشكيل يفي بهذا المعنى ايضاً . على انه ينبغي التفريق في الاستعمال رغبة في الايضاح والتسهيل على الناس .

١٦ — قبله واقتبله الخ

وجعل منه « افتهم واختشى واقتبل واحتار » قال : ولم يُسمع « افتعل » من هذه الافعال . والصواب استعمال المجرد منها : فهم وخشي وقبل وحار .

قلت : قد سُمع « اقتبل » في غير معنى « قبل » قال في اللسان : « اقتبل الكلام والخطبة اقتبالاً : ارتجلها وتكلم بهما من غير ان يُعدّهما . وتكلم قبلًا (بفتحتين) اي بكلام لم يكن اعدّه . ورجز قبلًا اي انشده رجزاً لم يكن أعده . وتكلم فلان قبلًا فأجاد . والقبل ان يتكلم بكلام لم يكن استعدّه [1] . ثم قال بعد ذلك : ويقال : « اقتبل امره اذا استأنفه » ثم قال : « قال الفراء : اقتبل الرجل اذا كاس بعد حماقة » اهـ فانت ترى انه سُمع « اقتبل » من هذه المادة في غير معنى « قبل »

---

(١) هكذا عبارته « استعده » جعله واصلاً الى مفعوله بنفسه . والمعروف فيه وصوله اليه باللام ، يقال « استعدّ للامر » وفي مادة « عدد » منه : « قال ثعلب : يقال استعددت للمسائل وتعدّدت » غير انه قال قبل ذلك : « واعداد الشيء واعتداده واستعداده وتعداده احضاره » فيفهم منه ان « استعد » بمعنى احضر يتعدى بنفسه لتضمنه معناه . والفعل في ضمن معنى فعل آخر تعدى تعديته او لزم لزومه وهذا سر من اسرار ادب اللغة يخفى على كثير من المتأدبين .

وهل يقال « اقتبل وافتهم واختشى واحتار » بمعنى « قبل وفهم وخشي وحار ؟ » اقول : قد اشتهرت هذه الالفاظ اشتهاراً يحملنا على قبولها لجريانها على القياس الصحيح . وقد جاءت في كلام كثير ممن لهم مكانة في الادب ، من قبل ومن بعد . وقد سمى بعض الفقهاء كتابه (رد المحتار) — ويُراد بالمزيد من هذه الافعال المبالغة في الفهم والخشية والقبول والحيرة . ولهذا نظائر مسموعة : كشدّ على قِرْنه واشتد عليه ، اي حمل . وجرّ الشيء واجتره . وفك الرهن من يد المرتهن وافتكه . وعزم الامرَ وعليه واعتزمه وعليه . وخاره واختاره . ونَدَبه الى الامر وله وانتدبه له . وحمل الشيء واحتمله . وبعثه وابتعثه . ونهبه وانتهبه . وقضبه واقتضبه . وجذبه واجتذبه . ونقده وانتقده . وغصبه واغتصبه . وغيرها كثير يضيق عنه هذا المجال . وحسبك من القلادة ما احاط بالجيد . وفي « افتعل » من هذه الافعال مايزيد على معنى المجرد منها .

١٧ – الوقف والتوقيف والايقاف

وجعل منه « توقيف المجرم » قال : والصواب « وَقْفه »

قلت : التوقيف بهذا المعنى ليس بخطأ ، وهو محكيٌّ ، وكذا « الايقاف » لكنّ الفصيح ان يقال « وقفه وقفاً » لا « وقفه توقيفاً » ولا « اوقفه ايقافاً » . وفي القاموس : « وقف وقوفاً : دام واقفاً . ووقفته انا وقفاً ، كوقّفته (توقيفاً) وأوقفته (ايقافاً) اهـ غير ان وقّفه توقيفاً واوقفه ايقافاً ليسا بالمختارين عند كثير من اللغويين . واللغة العالية : « وقفه

وقفاً » وهي لغة القرآن الكريم . ومما جاء شاهداً على « اوقفه » قول الشاعر :

وقولها ، والركاب موُقَفةٌ أقِمْ علينا اخي ، فلم أُقِمِ

وعن ابي العلاء انه قال : « لو مررت برجل واقف فقلت له : ما أوقفك ههنا ؟ لرأيته حسناً . وحكي ابن السكيت عن الكسائي : ما أوقفك ههنا ؟ وأي شيء أوقفك ههنا؟ أيْ ايّ شيء صيّرك الى الوقوف (راجع تاج العروس ولسان العرب)

اقول: والسر في مجيء « اوقفه ايقافاً ووقفه توقيفاً » ان « وقف » يكون فعلاً لازماً ، ومصدره الوقوف . ويجيء فعلاً متعدياً ومصدره الوَقْف . فمن قال اوقفه ووقّفه (بالتضعيف) رجع الى معنى « وقف وقوفاً » فعدّاه بالهمزة او بالتضعيف . اما ان أُريد بالتوقيف معنى التكثير في الفعل او الفاعل او المفعول ، فهو فصيح جائز من غير ما كراهة ولا رداءة ، كما سنقصه عليك . واما قولك : « وقّفت فلاناً على الامر وعلى خطئه وعلى ذنبه توقيفاً واوقفته عليه ايقافاً » بمعنى اطلعته عليه فهذا مجاز ، وهو صحيح فصيح . قال في التاج : قال الخليل ابن احمد (شيخ سيبويه) في (كتاب العين) وقال في اللسان : قال الليث : « الوقف مصدر قولك : وقفتُ الدابة ووقفت الكلمة وقفاً . وهذا مجاز . فاذا كان لازماً قلت : وقفتُ وقوفاً . فاذا وقفت الرجل على كلمة قلت : وقفته توقيفاً » اه .

وتجيء « أوقف » في الفصيح فعلاً لازماً بمعنى « سكت » وبمعنى

« أقصر واقلع وامسك » (كما في اللسان والتاج) تقول كلمتهم ثم أوقفت اي سكت . وكل شيء تمسك عنه تقول فيه أوقفت . ويقال « كان على امر فاوقف » اي أقصر ، و « اوقفتُ عن الامر الذي كنت فيه » اي اقلعت عنه وامسكت عنه . قال الطرِمّاح :

قلَّ في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراضِ
جامحاً في غوايتي ، ثم أوقفت — رضاً بالتقى ، وذو البر راضي

واذا انعمنا النظر نرى ان « أوقف » في هذه الامثلة وما يماثلها متعد في المعنى ، وان كان في الصورة لازماً . لانك ان قلت : « كلمتهم ثم أوقفت » فالمعنى « أوقفت نفسي عن الكلام » وكذا سائر الامثلة . وسيأتي فضل بيان لذلك في الكلام على « كفَّ » في اواخر هذا الكتاب .

ثم اقول : ان أريد بالتوقيف معنى التكثير في الفعل او الفاعل او المفعول ، فهو سائغ جائز ، لامجال للقول برداءته او عدم فصاحته ، لانه موافق للقواعد ولنظائره . فلك ان تقول : « وقفت » بالتضعيف اذا كثر منك الوقوف ، وهذا في التكثير في الفعل . فان كان وقوفك قليلاً قلت « وقفت » بالتخفيف ولك ان تقول « وقَّف القوم توقيفاً » تدلُّ على كثرتهم . وهذا من التكثير في الفاعل ، ومنه قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

فان كانوا قليلًا قلت : « وقف القوم » بالتخفيف، الا اذا اردت التكثير في الفعل . ولك ان تقول : « وقّفت المجرمين » بالتشديد ، تدل على كثرتهم . وهذا من التكثير في المفعول ، فان كانوا قليلًا قلت « وقفتهم » بالتخفيف . الا اذا اردت معنى تكثير الفعل . وهذا جائز وان كان الموقوف واحداً ، تقول « وقفت المجرم توقيفاً ووقفت زيداً » تريد معنى أطلتُ وقوفه .

وباب « فعّل تفعيلًا » هو للتكثير غالباً : اي للدلالة على كثرة الفعل او الفاعل او المفعول . جاء في الشافية وشرحيها للرضي ونقره كار ما خلاصته بتصرف وايضاح وزيادة في الامثلة وبسط في البيان : « وباب « فعّل » للتكثير غالباً ، اي لتكثير فاعله اصل الفعل ، إما بالنسبة الى المفعول نحو « غلقت الابواب تغليقاً ، وقطعت الثياب تقطيعاً » ولا يقال ذلك لباب واحد او ثوب واحد ، بل يقال أغلقت وقطعت (بالتخفيف) ولك ان تقول « غلقت الباب تغليقاً وقطعت الثوب تقطيعاً » اذا اكثرتَ من فتحه واغلاقه ، او جعلته قطعاً كثيرة ، فيكون من التكثير في الفعل . واما ان يكون التكثير بالنسبة الى الفاعل نحو « موّتت الابل تمويتاً » اي كثر فيها الموتان . ولا يقال « موت الجمل والشاة لانه لا يتصور فيها التكثير ولا في فعلها ، لانه لا يستقيم تكثير هذا الفعل بالنسبة الى جمل واحد او شاة واحدة . ولك ان تقول « موتُّ زيداً » مجازاً ، اي اتعبته شديداً او أضنيته وبرّحت به تبريحاً او عذبته تعذيباً . وهذا من التكثير في الفعل مجازاً ، وعليه قول الشاعر :

فعروة مات موتاً مستريحاً فها انا ذا أموتُ كل يوم

يريد أعذّب – واما ان يكون التكثير بالنسبة الى الفعل نفسه، نحو «جوّلت تجوالاً وطوفت تطويفا وتطوافاً» اي اكثرت من الجولان والطواف. ومنه قول الشاعر الذي سبق ذكره. وقولك «غلقت الابواب تغليقاً» يجوز ان يُتصور فيه معنى التكثير في الفعل والمفعول. وقولك «طوفت وجولت» لا يتصور فيه الا التكثير في الفعل، اما في الفاعل فلا، لانه واحد، واما في المفعول فهو لازم لا مفعول له، وان قلت «طوف القوم وجولوا» فهذا يجوز ان يتصور فيه معنى التكثير في الفعل والفاعل» — قال الرضي: «تقول: «ذبحت الشاة (ذبحاً بالتخفيف) ولا تقول ذبحتها (تذبيحاً) بالتشديد) واغلقت الباب مرة، ولا تقول غلّقت (بالتشديد) لعدم تصور معنى التكثير في مثله. بل تقول ذبّحت الغنم (تذبيحاً) وغلقت الابواب (تغليقاً) وقولك: جرّحته (تجريحاً) أي اكثرت جراحاته. واما جرحته (جرحاً بالتخفيف) فيحتمل التكثير وغيره قال الفرزدق

ما زلت افتح ابواباً وأغلقها حتى رأيت ابا عمرو بن عمّار

اي أفتحها (تفتيحاً) وأُغلقها (تغليقاً)» اهـ. يريد ان المخفف يستعمل للتكثير ولغيره. فاذا أرادوا النص على معنى التكثير شددوا. وقد يقولون «فَعَلَ» بالتخفيف والمقام مقام تكثير، فتكون الحال هي التي تعين المراد. ثم قال: «ان التكثير يكون في المتعدي كما في غلق (تغليقاً) وقطع (تقطيعاً). وقد يكون في اللازم كما في جوّل

وطوّف وموّت » اهـ .

وكل ما لا معنى للتكثير فيه لا يجوز فيه « فعّل تفعيلاً » .

ويأتي هذا الباب ايضاً للتعدية ، نحو « فرّحته تفريحاً وكرّمته تكريماً » وللنسبة الفاعل الى اصل الفعل نحو « فسّقه تفسيقاً ، وبدّعه تبديعاً ، وكفّره تكفيراً وجهّله تجهيلاً » اي نسبه الى الفسق والبدعة والكفر والجهل . وهذا راجع الى معنى التعدية ، لانك اذا نسبته الى الفسق مثلاً فكأنك جعلته فاسقاً — وللسلب والازالة نحو « جلّدت البعير تجليداً ، وقرّدته تقريداً » اي ازلت جلده وقراده[1] — او بمعنى الصيرورة نحو « قيّح الجرح تقييحاً » اى صار ذا قيح ، و « عجّزت المرأة تعجيزاً وعوّنت تعويناً ، وثيّبت تثييباً » اى صارت عجوزاً وثيباً[2] وعَواناً[3] . ونحو « روّض المكان ترويضاً » اى صار روضاً و « نوّر الشجر تنويراً » اي صار ذا نور[4] . وهل يقال « زهر

---

(١) القراد بضم القاف : دويبة تعلق بالبعير ونحوه ، وهي كالقمل للانسان . والواحدة قرادة . والجمع قردان ، بكسر فسكون . (٢) الثيب بكسر الياء مشددة : المرأة التي فارقت بعلها بموته او بطلاق . ويقال للرجل المتزوج ثيب ايضاً . وكل من ليست بكراً فهي ايضاً ثيب . ويقال « ثيّبت المرأة » كما يقال ثيّبت » . ونرى انها راجعة الى معنى « ثاب يثوب » اذا رجع . وقد سميت بذلك لرجوعها بعد طلاقها او موت زوجها الى بيت اهلها ، فهي من الاجوف الواوي لا اليائي ، وان قال صاحب القاموس : انّ « ذكره في ث و ب وهم » وعلى ذلك المحققون من العلماء . وقد جزم كثير منهم انه من الواوي . وقال صاحب النهاية : « اصل الكلمه من الواو ، لانه من ثاب يثوب اذا رجع » اهـ واصلها « ثيوب » كسيد اصله « سيود » من « ساد يسود » قلبت الواو ياء لسبقها بياء ساكنة ، ثم أدغمت فيها . وجمعها ثيبات للانثى ، وثياب للذكر والانثى ، كسيد وسيائد وجيد وجيائد وعيّل وعيائل (٣) العوان : المتوسطة سناً من كل شيء ، وهي الوسط بين الحدثة والمسنة . وتسمى « النصف » ايضاً بفتح النون والصاد . والفعل منها عانت المرأة تعون عوناً اي صارت عواناً (٤) النور بفتح فسكون : الزهر ، او الزهر الابيض . والواحدة

الشجر تزهيراً؟ (كما يقول الناس قياساً على نوّر تنويراً) لم يُسمع ولم ينصوا عليه، لكن القياس لا يأباه. وانما قالوا «ازهرَ وازهارّ وازهرّ» (بتشديد الراء في الاخيرتين) — او لتصيير المفعول على حاله التي هو عليها، نحو «مصّر المصر تمصيراً» و «كوّف الكوفة تكويفاً» و «بصّر البصرة تبصيراً» — او بمعنى عمل الشيء في الوقت المشتق منه الفعل، «هجّر تهجيراً» اي سار في الهاجرة [1]. و «صبّح تصبيحاً» اي اتى صباحاً و «صبّح القوم تصبيحاً» اي اتاهم صباحاً و «صبحت فلاناً» اي قلت له: عم صباحاً، او حييته بالسلام صباحاً. و «مسى تمسية» اي اتى في المساء، و «مسى به الليل تمسية» اذا جاء مساء، و «مسيته تمسية» اذا قلت له: كيف امسيت؟ و «مساك الله بالخير» تدعو له ان يجعل مساءه خيراً. وتقول «غلّس تغليساً» اي اتى في الغلس [2] — او بمعنى السير والمشي الى الموضع المشتق منه الفعل، نحو «غوّر تغويراً» و «فوّز تفويزاً» و «كوّف تكويفاً» اي مشى الى الغور والمفازة والكوفة، او بمعنى اتاها.

١٨ — رَعَبه وأرعبه وراعب ومُرعب

وجعل منه «خطب مرعب» قال: والصواب «راعب»

قلت يقال «راعب ومُرَعّب ومُرعب» الاول من «رعَبه يرعَبه رُعباً» بفتح العين في الماضي والمضارع، والرُّعب مضموم الراء. والثاني من «رعّبه يرعّبه ترعيباً وترعاباً» والثالث من «أرعبه

نورة كما ان الواحدة من الزهر زهرة.

(١) الهاجرة نصف النهار في القيظ حين يشتد الحر. وهي ايضاً شدة الحر. ويقال ايضاً هجر النهار تهجيراً اي اشتد حره (٢) الغلس بفتحتين ظلمة آخر الليل.

يُرعبه إرعاباً » وقد نصَّ المصباح على جواز تعديته بالهمزة ، غير أن الجمهور لا يجيزون تعديته بها ، وعلى رأيهم مشى الاستاذ . غير ان « أرعبه » محكية ، قد حكاها ابن طلحة الاشبيلي وابن هشام اللخمي (كما في تاج العروس) أما « رعّبه ترعيباً وترعاباً » فقد ذكره لسان العرب والقاموس والتاج ، ولا ريب ان استعماله مجرداً متعدياً بنفسه افصح ، واستعماله مضعفا خير من استعماله بالهمزة ، لنص الجمهور على منع هذا . ولا نرى من يستعمله مخطئاً لان بعض اللغويين يرى جوازه .

١٩ - لامه وألامه ومَلوم ومُلام

وجعل منه « ملام » بضم الميم . قال : والصواب « مَلوم »

قلت : يقال « لامه يلومه فهو مَلوم ، وألامه يُليمه فهو مُلام » كما في المصباح ولسان العرب وتاج العروس . قال معقل بن خُويلد الهذلي :

حمدت الله أن أمسى ربيعٌ بدار الهون مَلحياً مُلاما

وقال في اللسان « لامه وألامه ولوَّمه بمعنى لامه » وأنشد بيت معقل هذا . وانشد على « لوَّمه » بيت عنترة :

رَبذٍ يداه بالقداح اذا شتا هتّاكِ غايات التجار مُلوَّمِ(١)

اي يكرم كرماً يلام من أجله . قال ابو عبيدة : « لُمت الرجل وألمته بمعنى واحد » وتجيء « ألام » فعلاً لازماً ، تقول « ألام الرجل فهو مُليم » اذا اتى مايلام عليه .

---

(١) ربذ يداه بالقداح اي يداه خفيفتان باجالة قداح الميسر ، من الرَّبذ (بفتحتين) وهي الخفة . والغايات الرايات . واراد بالتجار الخمارين . وكانوا يرفعون رايات يُعرفون بها ليقبل الناس عليهم .

٢٠ – ساقه واساقه ومَسوق ومُساق

وجعل منه « مساق » قال : والصواب « مَسوق »

قلت : قد ذكر اللغويون « ساقه واساقه » بمعنى واحد ، والمفعول من الاول « مَسوق » ومن الآخر « مُساق » راجع المصباح ولسان العرب والمخصص فى « باب ماجاء على « فعلت وافعلت باتفاق المعنى » و كتاب (فعلت وافعلت) للزجاج في باب « فعلت وافعلت والمعنى واحد » .

٢١ – مَشيد ومُشاد ومُشيد

جعل منه « مُشاد » بضم الميم : قال : والصواب « مَشيد » (وضبطه الاستاذ بفتح الميم).

قلت : « المشيد » بالفتح والتخفيف هو المطلي بالشيد (بكسر الشين) وهو ماطلي به حائط من جص ونحوه ، يقال « شاد الحائط يشيده » اذا جصصه وطلاه بالشيد كما في القاموس . وهو ايضا المبني بالشيد ، كما في مفردات الراغب . واما المطوّل من البناء فهو « المشيد » بوزن مؤيد ، اسم مفعول من « شيّد البناء » اذا طوله . وهذا مايريده الناس من قولهم « مُشاد » وقد يكون « المشيد » بالفتح والتخفيف بمعنى المطوّل ، قال الراغب في قوله تعالى « وقصر مَشيد » اي مبني بالشيد ، وقيل هو المطوّل ، وهو يرجع الى الاول اه وفي الكشاف « المشيد » المجصص او المرفوع البنيان . اه والمعنى الاول هو الاصل ومعنى الرفع راجع اليه لان البناء لايجصص الابعد رفعه . والاحسن ان يقال في البناء المرفوع « مُشيد » بالضم والتشديد . اما « مُشاد »

فليس من رفع البناء وتطويله في شيء، لان الاشادة هي رفع الصوت

٢٢ - باع واباع ومبيع ومُباع

وجعل منه مباع قال : والصواب « مبيع »

قلت : ان كان من البيع فالمفعول منه « مبيع » ولا يقال « مُباع » وان كان من الاباعة فلا يقال الا « مباع » يقال : اباع السلعة، اذا عرّضها للبيع، قال الشاعر :

ورضيت آلاء الكميت فمن يُبع
فرساً فليس جوادنا بمباع

اي فليس بمعرّض للبيع . والغالب ان من يقول « مباع » انما يريد المعنى الاول، وهو خطأ كما قال الاستاذ والصواب « مَبيع »

٢٣ - مدين ومُدان ومديون

وجعل منه « مدان » قال : والصواب « مدين »

قلت « مُدان » ليس بخطأ، قال في القاموس : « رجل دائن ومَدين ومديون ومُدان وتُشدّد داله (اي دال مدان) وقال في اللسان : « رجل دائن ومَدين ومديون ومُدان عليه الدين . وقيل : هو الذي عليه دين كثير . قال الجوهري : « رجل مديون كثر ما عليه من الدين ومِديان اذا كان عادته ان يأخذ بالدين ويستقرض » ثم قال في اللسان : قال الشيباني « أدان الرجل » اذا صار له دين على الناس . وقال ابن سيده : أدان فلان الناس : أعطاهم الدين واقرضهم . وبه فسر بعضهم قول ابي ذؤيب :

أدان وأنبأه الاولونَ   بان المُدان مليّ وفيّ

واقول : دان الرجل : استدان فهو دائن ودان غيره اعطاه الدين كأدانه فهو دائن ومُدين (بضم الميم) والآخذ « مَدين » (بفتح الميم ، وقد جاءت على القياس) ومديون (على الاصل وهي لغة تميم) ومدان (بضم الميم وتخفيف الدال) وادّان (بتشديد الدال) : استدان فهو « مدّان » وهو الذي يعترض الناس ويستدين ممن امكنه ان يستدين منه .

***

نقد الصفحة الثالثة

٢٤ – نصيح وناصح ونصوح

وجعل منه « نصوح » قال : والصواب « نصيح »

قلت : « وناصح » ايضا . واما « التوبة النصوح » فهي الصادقة الخالصة التي لا يرجع صاحبها الى ماتاب عنه ولا ينوي الرجوع ، من « نصحَ الشيءُ نصوحا » بمعنى خلص ، و « نصحت توبته » خلصت من شوائب العزم على الرجوع . فالشيء « نصوح » والتوبة « نصوح » ايضا ، لان « فعولاً » بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث . قلت : ومن ذلك قول العامـة « فلان ناصح ، ونصح فلان » يريدون معنى « سمين وسمنَ » فكأنه خلص من شوائب مايمنع السمن فسمن .

والنصح بمعنى الوعظ افصح مايتعدى باللام ، يقال « نصح له نصحاً (بفتح النون وضمها) ونصاحة ونصاحية » اذا وعظه واخلص له المودة . وقد يتعدى بنفسه فيقال « نصحه » . وتأتي « نصحه ايضاً بمعنى « خاطه » قال في الاساس : « ونصح الخياط الثوب اذا انعم خياطته ولم يترك فتقاً ولا خللاً ، شبه ذلك بالنصح . ومنه « المنصح والمنصحة » (بكسر الميم) اي المخيط والمخيطة . ويقال : « انتصح الرجل » اي قبل النصح ، و « انتصحته » اعتددته ناصحاً ، يقال : « انتصح كتاب الله » اي اقبل نصيحته .

واقول : قول الاساس ان نصح الخياط مأخوذ من نصح الواعظ غير مسلم ، واننا نعتقد العكس لان الالفاظ المادية سابقة للالفاظ المعنوية وقد نُقل مايدل على معنى مادي الى ما يدل على المعاني غير المادية بضرب من المجاز حتى صار حقيقة في المعنى الآخر (راجع مقدمة ديواننا في الكلام على « الشعر في اللغة والاشتقاق » في الصفحة السابعة منه)

٢٥ — رحيم ورحوم

وجعل منه « رحوم » قال والصواب « رحيم »

قلت : يقال « رحيم ورحوم » بمعنى « راحم » قال في لسان العرب « رحيم فعيل بمعنى فاعل ، كما قالوا « سميع » بمعنى سامع و « قدير » بمعني قادر . و كذلك « رجل رحوم ، وامرأة رحوم » اه . وقال في مستدرك التاج : رجل رحوم وامرأة رحوم « اي رحيم » اه .

٢٦ — طموح وطامح

وجعل منه « طموح » قال والصواب « طامح »

قلت يقال : « بحر طموح الموج » اي مرتفعه ، و« بئر طموح الماء » اي مرتفعة الجمة (بضم الجيم وفتح الميم مشددة) وهو ما اجتمع من مائها ، و « فرس طامح الطرف طامح البصر وطموحه » اى مرتفعه (راجع اللسان والتاج) فأي حرج على من يقول « طموح » للانسان وان اوردوه في تمثيلهم وصفاً للفرس والبصر والجمة ، فالتمثيل لايدل على وجوب استعمال الكلمة فيما جاءت فيه من المثال كما لا يخفى .

٢٧ — صبوح وصبيح وصُباح

وجعل منه « صبوح » قال والصواب « صبيح »

قلت : ويقال ايضاً : صُباح (بضم الصاد) اي جميل . والانثى بالهاء (صبيحة وصُباحة) والجمع « صِباح » . وقد صبح (بضم الباء) صَباحة (بفتح اوله) قال الليث : « الصبيح الوضيء الوجه » اه وأما « الصبوح » بفتح الصاد فهو شراب الصباح من لبن او خمر ، يقال منه « صبحته » اي ناولته ذلك ، و « اصطبح » القوم اذا شربوا الصبوح ، و «صبوح الناقة وصُبحتها » (بضم الصاد) قدر ما يُحتلب منها صبحاً ، ويقابل ذلك « الغبوق » وهو شراب العشية . ويُطلق الصَبوح على طعام الصباح ، والغبوق على طعام العشاء . واصل الصبوح والغبوق في الشرب ثم استعملا في الاكل . ومنه « الصُبحة » بضم فسكون وهي ماتعللت به غدوة ، و «التصبيح»

وهو الغداء اي طعام الصباح ، يقال « قرّب اليّ تصبيحي » وفي حديث المبعث : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتيماً في حجر ابي طالب وكان يُقرّب الى الصبيان تصبيحهم فيختلسون ويكفُّ » اي يقرّب اليهم غداؤهم (راجع اللسان والتاج) والصبحة والتصبيح هو مايسمى اليوم « الترويقة »

٢٨ — وفير وفخيم ووفر وفخم

وجعل منه « وفير وفخيم » قال : والصواب « وفر وفخم » بفتح فسكون .

قلت : « وفر وفخم » هو ماورد في كتب اللغة ، ولا ريب ان « فعـلاً بفتح فسكون في الصفات اصله في الكثير الغالب « فَعِل » بفتح فكسر ، وهذه اصلها « فعيل » فخففوها بحذف حرف المد فورثته الكسرة ، ثم خففوا هذه بالاسكان ، وقد تُنوسي الاصلان (راجع مقالنا : كيف نشأت الحركات في اللغة العربية في العدد الثالث من مجلة « الكشاف ») غير ان السليقة ترجع الى الاصل دائماً وان خالفت طرق التعليم . فعدم ذكر « وفير وفخيم » في كتب اللغة ، او عدم روايتها في شعر او نثر قديمين لايدل على ان ذلك غير جائز ولامقبول فهما مقبولان في الذوق والسمع قياساً على ماورد من نظائرها مما لم يخفف بحذف حرف المد ثم بحذف الحركة التي ورثته ، مثل : « بهيج وجميل وسعيد وعظيم وحقير و كبير وصغير وطويل وقصير وكثير وقليل » وغيرها كثير لا يكاد يحصى .

٢٩ — العوائد والعادات

وجعل منه « عوائد » قال : والصواب « عادات »

قلت : العوائد جائزة منصوص عليها . وقد جاءت في كلام بعض فصحاء الكتّاب القدماء . وهي في تقدير انها جمع « عائدة » بمعنى العادة ، من عاد يعود اذا رجع . والعادة تعاود صاحبها . وليست جمعاً لعادة على الصحيح . قال في تاج العروس : « ومن جموع العادة عوائد ذكره المصباح وغيره ، وهو نظير حاجة وحوائج . نقله شيخنا . والذي صرّح به الزمخشري وغيره ان العوائد جمع عائدة لا عادة » اه .

ثم اني ارى ان العادة مخففة من العائدة ، كما جعلوا الحاجة مخففة من الحائجة . لكن صدري لا ينشرح الا لجمعها على «عادات وعاد» ولا استعمل « العوائد » الا جمعاً لعائدة ، بمعنى الصلة والمعروف ، وهي اسم لما عاد به عليك المفضل من صلة او معروف . قال ابن سيده : «العادة : الصلة والمعروف يُعاد به على الانسان » اه — او اسم فاعل للمؤنث من العود بمعنى الرجوع ، او من العيادة ، وهي زيارة المريض . ولا ارى من يستعمل العوائد بمعنى العادات مخطئاً .

ولهذه المناسبة نقول : ان « عوّد وتعوّد » يتعديان بلا واسطة ، يقال : «عوّدته الخير فتعوّده» ولا يقال : عوّدته عليه فتعوّد عليه .

٣٠ — الامور والاوامر

وجعل منه « اوامر » قال : والصواب « امور » وقال في الحاشية واوامر بالمعنى المعروف جمع آمرة ، وهي مصدر ايضاً لا جمع امر في الاصح .

قلت : ان الناس حين يقولون (الاوامر) لا يذكرون مفردها فنقول لهم : انكم اخطأتم في جمع الامر على اوامر . وانما جاءت الاوامر

في اللغة جمعاً فاستعملوها . ولا يضرُّهم ان كانت جمعاً لآمر او آمرة .
على ان الامر بمعنى الآمرة يجمع على اوامر ايضاً ، كما ستعلم .

والآمرة والامر والامار (بكسر الهمزة في الاخيرة) مصادر « امره يأمره . ولا تكون الآمرة الا بمعنى الامر ضد النهي ، اي الامر بانشاء شيء واحداثه ، وجمعها « اوامر » قال في اللسان : « والآمرة : الامر وهو احد المصادر التي جاءت على « فاعلة » كالعافية والعاقبة والجازية اهـ . واما « الامر » فله معنيان : احدهما أنه كالآمرة ، مصدر « امره يأمره » كما تقدم ، وهو الامر المراد به الأمر بالشيء ضد النهي عنه ، وهذا يُجمع على « اوامر » . قال في اللسان : « وأمرته بكذا امراً ، والجمع الاوامر » ، وهذا تصريح بجمع الامر على « الاوامر » ويجمع ايضاً على « امور » على الاصل كما في التاج نقلاً عن الازهري والمحكم . والآخر انه اسم بمعنى الحال والشأن والحادثة ، وهذا جمعه « امور » لا غير قال في اللسان : « والامر واحد الامور ، يقال : امر فلان مستقيم واموره مستقيمة . والامر : الحادثة ، والجمع امور ، لا يُكسر على غير ذلك » اهـ

والناس اليوم وقبل اليوم يفرقون بين جمع الامر ضد النهي ، وبين جمعه بمعنى الحال والشأن والحادثة ، فيقولون في الاول « اوامر » وفي الثاني « امور » . قال في التاج : « وقد وقع في مصنفات الاصول الفرق في الجمع ، فقالوا : الامر اذا كان ضد النهي فجمعه « اوامر » واذا كان بمعنى الشأن فجمعه امور . وعليه اكثر الفقهاء ، وهو الجاري في

ألسنة الاقوام، وحقق شيخنا في بعض الحواشي الاصولية ما نصه: اختلفوا في واحد امور واوامر فقال الاصوليون: ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على «اوامر» وبمعنى الفعل او الشأن يُجمع على «امور» ولا يُعرف من وافقهم الا الجوهري في قوله: امره بكذا امراً وجمعه اوامر. وفي المصباح: جمع الامر (اي ضد النهي) اوامر. هكذا يتكلم به الناس. ومن الائمة من يصححه» اه

ولا ريب ان «الاوامر» في الاصل جمع «آمرة» مصدر «أمره يأمره» واطلاق من أطلق من اللغويين والاصوليين جمع الامر على اوامر تساهل. وحق الامر بمعنى ضد النهي أن يُجمع على امور، كما يُجمع عليها وهو بمعنى الشأن والحادثة. وقد نصوا عليه. لكن الاصوليين وبعض اللغويين كالجوهري وصاحب اللسان جمعوه، وهو بمعنى ضد النهي، على اوامر. فكأنهم اكتفوا بجمع الآمرة عن جمعه على «امور» دفعاً لالتباسه بالامر بمعنى الشأن والحادثة. وعلى كل حال فتكون الاوامر في جمع الامر ضد النهي من باب جريان الجمع على غير لفظ مفرده، كالحوائج في جمع الحاجة، والعوائد في جمع العادة وما كان كذلك فنرى انه اسم للجمع لا جمع. فالاوامر والعوائد والحوائج جمع لآمرة وعائدة وحائجة، واسماء جموع للامر والعادة والحاجة.

ومن قال من الناس: الاوامر جمع الامر ضد النهي لم يكن مخطئاً. وانما يكون متساهلاً، متبعاً في ذلك اطلاق الاصوليين

وبعض اللغويين وتساهلهم ؛ كما يتبعهم الاستاذ في كثير من مثل هذا وغيره في كثير من مباحث كتابه .

٣١ — الحوائج والحاجات

وجعل منه « حوائج » قال : والصواب « حاجات » وقال في الحاشية : اما حوائج فقد ورد استعمالها قديماً كقول الشاعر :

نهار المرء امثل حين يقضي حوائجه من الليل الطويل

وهو شاذ نادر ، كما شذت (شدائد) و (ضرائر) جمع شِدّة وضرّة ، لان (فعلة) لاتجمع على فعائل . اه

قلت : الحوائج جائزة منصوص عليها . وقد وردت كثيراً في نثر من يوثق بكلامهم وشعرهم . نعم ؛ انها شاذة في القياس باعتبارها جمع حاجة (وقد علمت من قبل انها اسم بمعنى جمعها) لكنها ليست شاذة في السماع ولا نادرة في الاستعمال ، كما سترى . وانت خبير انهم جعلوا الكلمة مخالفة للفصاحة اذا كانت شاذة في القياس والاستعمال معاً . اما ان شذت في القياس دون السماع فلم يقل احد من العلماء بعدم فصاحتها ، والا كان كثير من الكلام غير فصيح وقد جعلوا « الحوائج » جمعاً للحاجة بتقدير « حائجة » فهي في الحقيقة جمع لهذه واسم جمع لحاجة . والحاجة مخففة من الحائجة . فوزنها في الحقيقة « فاعلة » لهذا صح ان تجمع على « فواعل » باعتبار الاصل ، والجمع يرد الاشياء الى اصولها ، فراعوا في جمعها على «حوائج» الاصل ، واعتبروا في جمعها على « حاجات » لفظها الحاضر . وقد يجمعون الاسم جمع نظيره في المعنى ، يحملونه في الجمع عليه وان لم

يكن من لفظه ولا وزنه ولا مادته . قال في التاج نقلاً عن السهيلي في مادة (حرر) : « وانما جُمعت حُرة على حرائر لانها بمعنى كريمة وعقيلة، فجمعت كجمعهما » اه فما بالك اذا كان من معناه واشتقاقه معاً .

ثم ان تمثيل الاستاذ الحوائج بالشدائد والضرائر غير موافق، لان الاولى (فاعلة) في الاصل ، والأخريين احداهما (فِعلة) بكسر فسكون ، والاخرى (فَعلة) بفتح فسكون . الا ان اراد تمثيلها بهما من حيث الشذوذ

وانا نرى ان الشدائد والضرائر اسمان لجمع شدة وضرة وهما في الاصل جمعان لشديدة وضريرة . اما شديدة وشدائد فواضح . قال في التاج : « والشدة والشديدة : مكاره الدهر ، وجمعهما شدائد، فان كان جمع شديدة فهو القياس، وان كان جمع شدة فهو نادر »اه ونقول هو جمع لشديدة واسم جمع لشدة — واما (الضريرة) فنرى انها كانت تستعمل في معان (كما سترى) منها «الضرة» بالمعنى المعروف اليوم . وقياس جمعها ضرائر ، ثم خففوها الى « ضَرة » كما خففوا غيرها من الالفاظ ، واهملوا هذا المعنى منها ، وبقي جمعها يدل على معنى جمع الضرة ، كما يدل على اصلها المخففة هي عنه (اعني الضريرة) قال ابن سيده (في المخصص ج : ١٤ : ص ١١٦) : ومن الشاذ قولهم ضرة وضرائر ، جمع ضريرة » اه

ونزيد المقام بياناً فنقول : انهم قد خففوا (ضريرة) بحذف

حرف المد فصارت (ضررة) بفتح فكسر ، ثم خففوا هذه باسكان الراء الاولى وادغموا . وبقيت (الضرائر) جمعاً للاصل الذي تولدت منه (الضرة) فاكتفوا بجمع الاصل (اي الضرائر) عن تكسير ضرة ، كما اكتفوا بضرة بمعناها المعروف عن اصلها (وهو الضريرة) حتى تنوسي هذا المعنى الذي كان للضريرة وهو احد معانيها ، وبقيت لغيره من المعاني . وهكذا الشأن في غيرها مما خفف من الالفاظ وكان جمعه جارياً على غير لفظه .

وفي العربية اسماء كثيرة خففت وبقيت جموعها لمخففها ، كالثياب يرثها الورثة ، فيلبسونها فتكون ضافية عليهم ، لانها لم تكن لهم وانما كانت لآبائهم ، فلبسوها ولم يهذبوها لتكون مناسبة لاجسامهم. من تلك الاسماء : « الضرائر والشدائد والليالي والاهالي والاراضي » للضرة والشدة والليلة والاهل والارض . وهي في الاصل جمع ضريرة وشديدة وليلاة واهلاة وارضاة . اما الشديدة فبقيت لمعنى مخففها (اي الشدة) ، واما الضريرة فلم تبق لمعنى مخففها (اي الضرة) وبقيت لغيره من المعاني التي سنقصها عليك ، واما الليلاة والاهلاة والارضاة فقد اخذت تقل في الاستعمال رويداً رويداً حتى أهملت فنسيت وبقي مخففها (اي الليلة والاهل والارض) وانما يدل على الاصل جموعها الباقية التي قالوا انها شاذة لجريانها على مفردها الحاضر الوارث للاصل . جاء في المخصص (ج : ١٤ ص : ١١٥) : ومن الشاذ قولهم : « أهلٌ واهالٍ وليلة وليالٍ » يعني ان ليالٍ ليس بجمع ليلة

على لفظها ولا اهال جمع اهل ، وانما هو على تقدير « ليلاة واهلاة» وان لم يستعمل . وقالوا « لُييلية » فجاءت على « ليلاة » في التصغير كما جاءت عليه في التكسير » اه اقول : قوله « وان لم يستعمل غير مسلم لانهم قد استعملوه في قديم الزمان ، ثم اماته مخففه ، وبقي دليلًا عليه جمعه وتصغيره ، ولا يعقل انهم قالوا « ليال واهال واراض وضرائر » ونحوها الا قالوا قبلها في معناها « ليلاة واهلاة وارضاة وضريرة » وهكذا كل جمع جاء على غير لفظ مفرده فقد أميت مفرده ، أماته ما ورثه ، لكنه بقي يدل على جمع فرعه الوارث اياه . الا ان يكون قد اراد (ابن سيده) بعدم استعماله انه لم يكن مستعملا ايام جمع اللغة ولا في الجاهلية الآخرة التي رويت لنا لغة ابنائها واشعارهم وامثالهم وخطبهم .

اما (الضريرة) لغة فهي المريضة المهزولة . وهي ايضا المصابة بضر (كما في القاموس والتاج) والضرة تكون كذلك بسبب ما ينوبها من الغيرة والحسد ونحوهما . وفي اللسان : « الضرير : المريض المهزول ، والانثى ضريرة » وفي القاموس والتاج : « كل ما خالطه ضر فهو ضرير . والضرير : الغيرة ، يقال : ما اشد ضريره عليها ، اي غيرته ، وانه لذو ضرير على امرأته اي غيرة . والضرير من الناس والدواب : الصبور » اه فالضريرة التي هي اصل في الضرة إما ان تكون بمعنى المريضة المهزولة او المصابة بضر ، واما ان تكون بمعنى الغيرة والمضارة ، وُصف بها على سبيل المبالغة . واما ان تكون بمعنى الصبور

لصبرها على احتمال زوج أخرى لزوجها تقاسمها سعادتها . ثم خففوها فقالوا « ضرّة » واهملوا الضريرة بهذا المعنى وابقوا جمعها . وورث من خلفهم (الضرة والضرائر) فتوهموا الضرائر جمعاً لضرة، وانما هي جمع لضريرة التي أماتها مخففها (اي الضرة) وبقيت هي لغيره من المعاني. فالضرائر بمعنى جمع الضرة انما هي اسم جمع لضرة لا جمع لها . هذا هو الحق الذي لا محيص عنه .

هذا، وان (الحوائج) صحيحة فصيحة، كما قدمنا. وقد وردت في الشعر القديم والمخضرم والعصر الاول للعرب في الاسلام ، فقد استعملها الشماخ والاعشى وابو سلمة المحاربي والفرزدق وهميان بن قحافة وغيرهم (راجع الشواهد على ذلك في لسان العرب والتاج) وقد ورد في الحديث عن ابن عمر : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع اليهم الناس في حوائجهم اولئك هم الآمنون يوم القيامة » وفي الحديث ايضاً : « اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه » وفي الحديث ايضاً : « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان » (راجع لسان العرب والتاج) وقال في اللسان : « وجمع الحاجة حاجٌ وحاجات وحوائج على غير قياس كأنهم قالوا جمع حائجة . قال ابن بري : والنحويون يزعمون انه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم انه سُمع حائجة لغة في الحاجة . قال الاشموني في شرح الالفية : « شذ نحو حاجة وحوائج » قال الصبان في حاشيته عند قوله هذا : « سمع في هذا المفرد « اي حائجة » فيجوز ان يكون حوائج

جمعاً لها واستغني عن جمع حاجة ، كما في الدماميني » اهـ وقال في اللسان : « ومما يزيد ذلك ايضاحاً (اي كون الحاجة تجمع على حوائج) ما قاله العلماء : قال الخليل في « العين » (اسم كتابه المشهور في اللغة) يقال « يوم راحٌ و كبش ضافٌ » على التخفيف من « رائح وضائف » بطرح الهمزة قال (اي الخليل) وكما خففوا الحاجة من الحائجة ، الا تراهم جمعوها على حوائج . فأثبت (اي الخليل) صحة حوائج وانها من كلام العرب ، وان حاجة محذوفة من حائجة وان لم ينطق بها عنده » اهـ كلام اللسان .

فلا مانع من ان يقول الناس حوائج كما يقولون حاجات ولا يضرهم أن كانت جمعاً لحاجة او حائجة . فالعبرة انما هي بالسماع او القياس الصحيح . وقد سرى الوهم في الحوائج الى الاستاذ من الحريري في درة الغواص وقد ردّ عليه ابن بري بما يشفي الغلة (راجع ذلك في التاج واللسان)

٣٢ – الاندية والنوادي

وجعل منه « النوادي » قال : والصواب « الاندية »

قلت : قد ذكر اللغويون ان جمع النادي اندية وجمع الجمع « انديات » واما النوادي جمع نادٍ فهو ، وان لم يرد في كتب اللغة ، جمع صحيح مطابق للقياس كما قالوا « جامع وجوامع وطابق وطوابق وسالف وسوالف وسابق وسوابق » وقد ترك اللغويون كثيراً من امثلة الجموع والمشتقات وغيرها اعتماداً على ما تكفلت به كتب

الصرف . على ان صاحب القاموس قد استعمل (النوادي) في اوائل خطبة كتابه حيث قال : « محمد خير من حضر النوادي » . والنادي اما مأخوذ من « ندى القومُ » اي اجتمعوا ، واما من « ندى فلان القوم » اي جمعهم ، فهو بمعنى الجامع . وهذا اقرب لانه يجمع القوم .

٣٣ عربان واعراب

وجعل منه « عربان » قال : والصواب « أعراب » لانها جمع عرب .

قلت : جاء في لسان العرب في مادة « بذح » : قال الازهري : وقد رأيت من العربان من يشق لسان الفصيل اللاهج بثناياه فيقطعه » اه نقل اللسان ، فانت ترى انه جمع العرب على « عربان » كحمل وحُملان ، ويسعنا ماوسع الازهري . وقد أقرَّ صاحب اللسان ذلك من غير ما انتقاد . وقد نقل كلام الازهري صاحب تاج العروس ايضاً . ونقبل هذا الجمع وان لم يذكره اللغويون في بابه لانهم تركوا كثيراً فلم يذكروه في مظانه وذكروه في غيرها . اما (الأعراب) فهو اسم جنس جمعي لأعرابي . وقال السيوطي في (همع الهوامع) الاعراب « جمع لمفرد لم يُنطق به » اه والاعرابي من سكن البادية من العرب او مواليهم . وقد استعمل القلقشندي في كتابه (صبح الاعشى) كلمة (العربان) في عدة مواضع منه .

***

نقد الصفحة الرابعة

٣٤ — المداخلة والتدخل

وجعل منه « مداخلة الاجانب » قال : والصواب تدخّلهم بتشديد الخاء.

قلت : الدخول والمداخلة والتدخل كل ذلك جائز . يقال « داخله مداخلة » اي دخل فيه و « داخله مداخلة » اي عارضه . وهذا مايعنيه الكتّاب بقولهم « مداخلة الاجانب » قال في اللسان : وفي الصحاح دخيل الرجل ودُخلته بضم الدال : الذي يداخله في أمورهِ ويختص به » اه ومداخلته في اموره هو احتكامه به ومعارضته فيها .

٣٥ - المكاتفة والمكانفة والمعاونة

وجعل منه « مكاتفة القوم » بالتاء. قال : والصواب « معاونتهم او مكانفتهم » (بالنون) .

قلت : قالوا : عاضده معاضدة (من العضد) وظاهره مظاهرة (من الظهر) وسانده مساندة (من السند) وكانفه مكانفة (من الكنف) بالنون وهو الجانب والظل والناحيـة وجناح الطائر ، فكأنَّ كل واحد جعل الآخر في جانبه وظله وناحيته وضم عليه جناحه ويراد بذلك معنى المعاونة والحماية . فلمَ لايقال : « كاتف بعضهم بعضاً وتكاتف القوم بالتاء ؟ » ألانَّ ذلك لم يرد في كتب اللغة ، وهي مقصرة في الشيء الكثير ؟ والمكاتفة والتكاتف اقرب الى الذوق والفهم ولا

يأباها القياس الصحيح .

٣٦ - دهمه وداهمه

وجعل منه « مداهمة الحوادث » قال : والصواب « دهم الحوادث » بفتح فسكون .

قلت : لمَ لايقال : « دهمه دهماً وداهمه مداهمة » كما يقال : « فجأه وفاجأه » نحن نسلم ان كتب اللغة لم تذكر (داهم) وفيها من المعنى مالم تعطه (دهم) فهل من الخطأ ان نقول داهمه اذا اردنا معنى المبالغة وشدة تصوير الحال ؟ لا ارى بذلك بأساً ، كما لا ارى في المكاتفة والتكاتف (بالتاء) بأساً لان الذوق والقياس الصحيح لايأبيان ذلك

نقد الصفحة الخامسة

٣٧ - منائر ومناور

وجعل منه « منائر » قال : والصواب « مناور »

قلت : يقال في جمع منارة « مناور » على القياس و « منائر » على غير القياس . وكلاهما منصوص عليه . ومن همز فقد شبه الاصلي بالزائد كما قالوا « مصائب ومصاوب » في جمع مصيبة (راجع مختار الصحاح والقاموس والتاج ولسان العرب) وقال في اللسان في مادة (نور) : المنار والمنارة موضع النور . والمنارة الشمعة ذات السراج وقال ابن سيده : والمنارة : التي يوضع عليها السراج . والجمع «مناور» على القياس ، و « منائر » على غير القياس . قال ثعلب : انما ذلك لان

العرب تشبه الحرف بالحرف ، فشبهوا منارة وهي « مفعلة » من النور (بفتح الميم) بفعالة فكسروها تكسيرها ، كما قالوا « امكنة » فيمن جعل « مكاناً » من الكون ، فعامل الحرف الزائد معاملة الاصلي ، فصارت الميم عندهم في مكان القاف من قذال . قال : ومثله في كلام العرب كثير . وقال الجوهري : الجمع « مناور » بالواو لانه من النور ، ومن قال « منائر » وهمز فقد شبه الأصلي بالزائد ، كما قالوا « مصائب » والاصل « مصاوب » اه وقال اللسان نحو ذلك في مادة (كون)

نقد الصفحة التاسعة

٣٧ — دوّى الصوت يدوي

وجعل منه « صوت دوى في الأرجاء » قال : لم يستعمل العرب « دوى » الثلاثي بهذا المعنى بل استعملوا « الدويّ » وهذا من نواقص اللغة التي يجب ان تصلح .

قلت : « الدوي » الصوت ، يكون للرعد والريح والنحل والموج ونحوها . وهو صوت ليس بالعالي كما يسمع الصوت من بعيد وقيل هو الصوت مطلقاً . وقالوا في جمعه « أداويّ » ولم تقصر اللغة في فعله ، كما قال الاستاذ ، فقد قالوا « دوّى الصوت يدوّي تدوية » من باب التفعيل . و « دوّى الفحل تدوية » اذا سمعت لهديره دويا (راجع لسان العرب والاساس) . اما « دوى يدوي » من الثلاثي المجرد فلم ار من ذكره من اللغويين . وقد ورد في شعر نسبه صاحب

(شعراء النصرانية) لعنترة بن شداد وهو :

طرقت ديار كندة وهي تدوي   دويّ النحل من ركض الجياد

فان ثبت ان الشعر لعنترة كان ذلك حجة في صحة « دوى الثلاثي المجرد ، وقد استشهد به صاحب (اقرب الموارد) في كلامه على «دوى» في ذيل كتابه ، وانت تعلم انه لا يوثق به ، ولم يعزه الى مأخذ كعادته في ذيله . على ان قياس اللغة لا يأبى « دوى يدوي » بالتخفيف فلا ارى ما يمنع قبوله . فانهم لم يقولوا « دوّى » بالتشديد الا بعد ان قالوا « دوى » بالتخفيف ثم اكتفوا بالمشدد عن المخفف .

وقد قال الاستاذ ان « دوى » المجرد الثلاثي (بفتح الواو) لم يستعمله العرب بهذا المعنى . ونقول : انه لم يرد في كتب اللغة لا في هذا المعنى ولا في غيره . وانما ورد « دوِيَ » بكسر الواو بمعنى مرض

نقد الصفحة العاشرة

٢٨ — المشرع والمشترع والشارع

وجعل منه « يعرف المشرع قيمة السنن » قال : « المشترع » لانه يقال : « اشترع » لا تشرع »

قلت : انهم لا يريدون بالمشرع من يسن القوانين ، وانما يريدون به من مارسها وتعلمها حتى تفقه فيها . واما « المشترع » فيراد به اليوم الشارع الذي يسن السنن وينظم القوانين . واستعمال « الشارع » لهذا المعنى اولى ، لانه هو الوارد في هذا المعنى بكثرة وصراحة وهو

المستعمل في القرآن الكريم : قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً » وقال : « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » قال في اللسان : « والشريعة والشراع والمشرعة هي المواضع يُنحدر الى الماء منها . قال الليث : وبها سمي ماشرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره . والشريعة في كلام العرب مشرعة الماء ، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، وربما شرّعوها دوابهم (بتشديد الراء) حتى تشرعها وتشرب منها » اه وقال : « والشريعة ايضا شاطيء البحر تشرع فيه الدواب . وعن كراع : والشريعة والشرعة ما سن الله لعباده من الدين وامر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر اعمال البر ، مشتق من شاطيء البحر » اه وقال ابو البقاء في الكليات : « والشريعة هي مورد الابل الى الماء الجاري ، ثم استعير لكل طريقة موضوعة بوضع الٓهي ثابت من نبي من الانبياء . ثم قال : « والشريعة اسم للاحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشاً ومعاداً سواء كانت منصوصة من الشارع او راجعة اليه » اه وقال في مختار الصحاح : « والشريعة ماشرع الله لعباده من الدين . وقد شرع لهم اي سنّ » اه وقال الراغب فى مفرداته : « الشرع : نهج الطريق الواضح ، يقال : شرعت له طريقاً . والشرع مصدر ، ثم جُعل اسماً للطريق النهج ، فقيل له « شِرْع » بكسر فسكون ، و« شَرْع » بفتح فسكون ، و« شريعة » واستعير ذلك للطريقة الالٓهية . اه . وفي كتاب التعريفات للجرجاني :

« الشرع لغة عبارة عن البيان والاظهار ، يقال : شرع الله كذا ، اي جعله طريقاً ومذهباً » اه

ولم أرَ (الاشتراع) بمعنى الشرع ، ولا (المشترع) بمعنى الشارع فيما نعرفه من كتب اللغة . والقياس لايأباها ، كما قالوا « حمله واحتمله » وجذبه واجتذبه وقضبه واقتضبه » ونحوها ، وهكذا « شَرَعه واشترعه » كما نقول ايضاً « شرَّعه تشريعاً » من باب التفعيل ، وان انكر الاستاذ هذه في (ص ٤٦) وستعلم انها صحيحة جائزة . وعجيب ان ينكر الاستاذ (التشريع) مع أن له اصلاً منصوصاً عليه ويُثبت (الاشتراع) ولا ورود له في كتب القوم ، حتى ان اللسان والتاج لم يتعرضا له الا في مثالٍ لاينطبق على مانحن فيه ، وهو قولهما : « فلان يشترع شِرعته ، كما يقال : يفتطر فطرته ويمتلئ ملأته ، كل ذلك من شِرعة الدين وفطرته وملأته » اه

ثم ان انكاره « تشرَّع والتشرع والمتشرع » لعدم ورود هذا الاشتقاق في كتب اللغة ، تضييق على الناس . وصدر اللغة ارحب من ذلك . وكل اشتقاق لم يذكره اللغويون ، وكنا في حاجة ماسة اليه ، وكان غير مخالف للاصول والاقيسة الصحيحة ، فلا مندوحة لنا عن تقبله قبولاً حسناً . وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم . وانت ترى ان من تعلم الفقه فقد تفقه . ومن قال « تشرَّع » اذا تعلم الشرائع والقوانين فانما قاسه على « تفقه » ، وهو قياس صحيح لا تأباه اللغة ، وان جفاه بعض ابنائها . ونحن في حاجة اليه ، لان « تفقّه » لاتفي بهذا

المعنى ، ولا تسدُّ مسدّ تشرع . فلا حرج على من يستعملها ، اقتداء بما اشتقهُ السلف الصالح من الالفاظ للمعاني التي الجأتهم اليها الحاجة ، وعملاً بوصيتهم العملية التي يقول لسان حالها : ان اللغة تراث لكم ، فقلّبوه في منفعتكم على وجهٍ مشروعٍ يَصِلكم بالحاضر ، ولا يقطع الصلة بالغابر .

٤٠ — خبر عسى

وجعل منه « عسى داعي اللقاء موجباً شكري » قال : إستعمال خبر عسى اسماً مفرداً غير وارد الا شذوذاً . والصواب يوجب شكري .

اقول : انَّ ما قاله صحيح ، وذلك عام في افعال المقاربة . وشذّ مجيئه مفرداً بعد « عسى » كقول المثل « عسى الغُوَير ابؤساً » وبعد كاد ، كقول تأبط شراً :

فأبتُ الى فهم وما كدت آئباً   وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

واما قوله تعالى : « فطفق مسحاً بالسوق والاعناق » فمسحاً ليس هو الخبر ، وانما هو مفعول مطلق لفعل محذوف هو الخبر ، والتقدير « يمسح مسحاً » غير ان قول الاستاذ « والصواب يوجب شكري » فيه نظر لان الغالب في خبر « عسى » ان يقترن بـ « أن » كقوله تعالى : « عسى ربكم ان يرحمكم » وقوله « عسى ان يهديني ربي » وقوله : « فعسى ان يؤتيني خيراً من جنتك » وقوله « عسى ان يكونوا خيراً منهم » وقوله « عسى ان يكنّ خيراً منهن » . وتجرده منها قليل كقول هدبة العذري :

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فالأولى ان يقال « عسى داعي اللقاء ان يوجب شكري »

***

نقد الصفحة الثانية عشرة

٤١ — واو الحال بعد الا

وصحح قول من يقول « ما اعتلى منبر الخطابة الا وفتن العقول » بقوله : « الا فتن العقول » بحذف الواو . قال : وقد ورد مثل ذلك للبغدادي حيث يقول :

ما آب من سفر الا وازعجه عزم على سفر بالرغم يزمعه

قال الاستاذ : والأولى « الا ازعجه »

قلت : ليس الاولى ذلك ، بل هو الواجب المنصوص عليه والوارد في فصيح الكلام . وهو احد المواضع السبعة التي تمتنع فيها الواو : وذلك ان تقع الجملة الحالية الماضوية بعد « الا » كقوله تعالى : « ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون » ولا عبرة بشذوذ من ذهب الى جواز اقترانها بالواو تمسكاً بقوله :

نعم امرأً هرم لم تعرُ نائبة الا وكان لمرتاع بها وَزَرا

لانه شاذ نادر مخالف للقاعدة وللكثير المسموع في فصيح الكلام منظومه ومنثوره .

نقد الصفحة الثالثة عشرة

٤٢ - المعاطاة والتعاطي

وجعل منه « بين معاطاة راح ومداعبة ملاح » قال : « بين تعاطي » لان وزن « فاعل » من هذا الحرف لايتم به المعنى المراد .

قلت : قال في القاموس : « الاعطاء المناولة كالمعاطاة والعطاء (بكسر العين) وفي لسان العرب : « المعاطاة المناولة » اه وهل يريدون بمعاطاة الراح الا مناولة الكؤوس ، وهي مفاعلة من الجانبين فالمعنى المراد يتم بهذا الحرف ويدل على مايريدون اتمّ دلالة .

نقد الصفحة الرابعة عشرة

٤٣ - الصرود والجرود

وجعل منه « في جرود صنين » قال في « صرود » بالصاد ، جمع صَرْد ، بفتح فسكون .

اقول : قال في القاموس : « الصَّرد » البرد ، فارسي معرب »اه قلت : لعله تعريب « سَرْت » . وقال : « الصرد الخالص من كل شيء ، ومكان مرتفع من الجبال » وقال في اللسان : « الصرد (بفتح فسكون وبفتحتين) البرد ، وقيل شدته . صَرِدَ يصرَدُ صَرَداً (من باب فرِح) فهو صرِدٌ (بكسر الراء) من قوم صردى . وقال الجوهري : الصرد البرد ، معرب . وقال ابو عمرو : الصرد مكان مرتفع من الجبال

وهو ابردها . والصرود (جمع صرد) من البلاد خلاف الجروم (اي المواضع الحارة) وقال في القاموس : « الجَرَد (بفتحتين) فضاء لانبات فيه » وقال في اللسان : « الجَرَدُ من الارض مالاينبت والجمع الاجارد (قلت كانه جمع اجرد) والجرد فضاء لانبت فيه ، وهذا الاسم للفضاء والجُردة بالضم : ارض مستوية متجردة . ومكان جَرْد (بفتح فسكون) واجرد وجَرِد (بفتح فكسر) لانبات فيه ، وفضاء اجرد وارض جرداء وجَرِدة (بفتح فكسر) اهـ

اقول : لابأس ان يقال « جرود صنين » لان تلك الاماكن اجارد لاتنبت . وهذا الجمع (الجرود) اما باعتبار « الجرد » بفتح فسكون غالبةً عليه الاسمية . واما باعتبار « الجرد » بضم فسكون ، وهو في الاصل جمع « أجرد » كأسمر وسمر ، ثم غلبت على « الجُرد » الاسمية فصار بمنزلة اسماء الاجناس ، فصح جمعه على « جُرود » كجند وجنود . واما باعتبار انه مذكر « جُردة » وقد نطقوا بها كما علمت . والعرب لم تقل « جُردة » الا قالت قبلها « جُرْد » فسقط هذا من كلام من نقلت عنهم اللغة من القبائل ، وبقيت في لغات غيرهم ، فسقطت الى من خلفهم ، وبقيت تراثاً لنا حتى يومنا هذا .

٤٤ – البرهة والهنيهة

وجعل منه « بعد برهة من الزمن نهضنا للطعن » قال : بعد هنيهة او بعد زمن يسير . لان البرهة تعني المدة الطويلة .

قلت : من يرجع الى لسان العرب والقاموس والتاج يجد ان البرهة

تكون للزمان الطويل ، والزمان مطلقاً طال او قصر . واقول : غير ان استعمالها للزمان الطويل اكثر ، وهو على لسان الفصحاء ادور . والبرهة بضم الباء وفتحها . ويجدر بمن يستعملها للزمان القصير ان يصفها بما يدل على المراد .

نقد الصفحة الخامسة عشرة

٤٥ — لا يجب ان يظل الانسان — يجب ان لا يظل

وجعل منه « لا يجب ان يظل الانسان » وصححها بقوله « يجب ان لا يظل »

اقول : ان قولهم معناه « لا يجب بقاء الانسان » اي ان بقاءه ليس بالامر الواجب الذي لا محيص عنه . والتصحيح معناه « يجب عدم بقائه » اي ان بقاءه غير جائز . وفرق عظيم بين العبارتين في المعنى ، فلكل منهما موضع ، غير ان الاليق بهذا التعبير استبدال لا ينبغي بـ « لا يجب » فيقال « لا ينبغي ان يظل »

٤٦ — الكلام على كافة

وجعل منه « تحاشدت الجماهير من كافة القرى » قال « من كل القرى » لان كافة لا تستعمل الا حالاً من العقلاء .

اقول : المشهور ان « كافة » لابد من تنكيره ونصبه على الحال وذو الحال من العقلاء ، فانه ورد عن العرب بمعنى الجميع لكنهم استعملوه منكراً منصوباً وفي الناس خاصة . قال في شرح اللباب : « ومن الاسماء مايلزم النصب على الحال استعمالا ، نحو « طراً وكافة وقاطبة »

واستهجنوا اضافتها في كلام الزمخشري والحريري » اهـ ولكن عدم وروده الا كذلك لا يمنع استعماله حالاً من غير العقلاء او معرّفاً بالاضافة او بالالف واللام ، لانه انتقل من معنى الكف اي المنع الى معنى « جميع » المفيدة الاحاطة والشمول . و « جميع » لا يمتنع فيه ذلك على انه قد ورد مضافاً الى غير العاقل في كتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى (بني كاكلة) في قوله « على كافة بيت مال المسلمين » ولما آلت الخلافة الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (كرّم الله وجهه) عُرض عليه هذا الكتاب فنفذ لهم مافيه و كتب بخطه « لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون . انا اول من اتبع امر من اعز الاسلام ونصر الدين والاحكام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورسمت لآل بني كاكلة بمثل مارسم الخ » ذكر ذلك العلامة سعدالدين التفتازاني في شرح المقاصد ، قال والخط موجود في بني كاكلة الى الآن و كفى باستعمال عمر اياها مضافة الى غير العقلاء واقرار امير الفصاحة علي (رضي الله عنهما) تصحيحاً لما انكروه .وقد بسط الشهاب الخفاجي الكلام على ذلك بسطاً شافياً في شرح درة الغواص (ص : ٧٠) فليرجع اليه من شاء

***

١١

نقد الصفحة السادسة عشرة

٤٧ — تعدية خص

وجمل منه «قانون خاص بالسيارات» قال: خاص للسيارات او مخصوص بالسيارات.

قلت: يقال «خصّ به اي اختص به» قال في اللسان «فلان مُخص بفلان اي خاص به» اه فقوله «اي خاص به» صريح في المطلوب، فيكون من «خص الشيء» ضد عم، فهو لازم، لا من «خصه بالشيء» متعدياً. والخاص والخاصة ضد العام والعامة. وان قيل: «قانون خاص للسيارات، كما يقول الاستاذ، فللسيارات ليس متعلقاً بخاص، وانما هو راجع الى قانون لانه متعلق بصفته المحذوفة. والاصل ان يقال «قانون للسيارات خاص بها»

نقد الصفحة السابعة عشرة

٤٨ — الباقة والطاقة والضمة

وجمل منه «باقة زهور» قال «طاقة زهور او ضمة زهور»

قلت: قال في لسان العرب «الباقة من البقل حزمة منه. والطاقة شعبة من ريحان او شعر وقوة من الخيط او نحو ذلك، يقال طاق نعل وطاقة ريحان» اه فالطاقة ليست خاصة بالريحان. ولا نرى من الخطأ

ان يقال باقة زهور ، وان فسروا الباقة بالحزمة من البقل ، فهو نبات كالريحان ، ويكون الاستعمال مجازياً لعلاقة المشابهة . واما « الضمة » التي ذكرها الاستاذ (وقياسها ضم اولها كالحزمة) فلم ارَ من ذكرها من اللغويين . ولا ارى مانعاً منها قياساً على الحزمة ، فهي من الضم كالحزمة من الحزم .

٤٩ — استهدى بمعنى طلب هدية

وجعل منه « استهدى بعض الاعيان » قال : « استهدى من بعض الاعيان »

قلت : الصواب مايقولون . قال في مجاز الاساس : « استهدى صديقه » اه ولم أر من ذكر « استهدى منه » ويكون استهداه بمعنى طلب منه الهداية ، كما يكون بمعنى طلب منه الهدية . قال في الاساس : « استهديته فهداني »

٥٠ — الاخصاء والتخصص والاحصاء والمهارة

وجعل منه « يلقيها الاخصائيون في العلوم » قال : « المتخصصون بالعلوم »

قلت : والصواب « المتخصصون للعلوم او المختصون بها » الاول باللام والآخر بالباء . قال في لسان العرب «اختص فلان بالامر وتخصص له ، اي انفرد به » اه واما « الاخصاء » بالخاء المعجمة ، بمعنى تعلم العلم الواحد فلم ار من ذكره الا صاحب القاموس : قال « وأخصى : تعلم علماً واحداً » واقرّه صاحب التاج ، قال : ونقله الصغاني وهو مجاز » اه اقول : ونفسي غير مطمئنة اليه لاني لم أرَ له وجهاً في الاشتقاق ولا المجاز . وارى ان « الاحصاء » بالحاء المهملة يؤدي هذا المعنى مجازاً ، اكثر مما يؤديه « التخصص والاختصاص » فقد قالوا (كما في لسان

العرب « احصى الشيء (بالمهملة) اي احاط به وفي التنزيل (القرآن الكريم) واحصى كل شيء عدداً اي احاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كل شيء » وفي مفردات الراغب : حصله واحاط به . وفي القاموس وشرحه : احصى الشيء : حفظه ، وفي الحديث « اكلَّ القرآن احصيت ؟ » وقوله للمرأة : « أحصيها » اي احفظيها ، واحصاه : عقله ، وبه فسر الحديث : « ان لله تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة » اي من عقل معناها وتفكر في مدلولها معتبراً في معانيها ومتدبراً راغباً فيها وراهباً . وقال الازهري في تأويله : من احصاها علماً بها وايماناً بها ويقيناً انها صفات الله عز وجل . ولم يرد الاحصاء الذي هو العد » اه وأصل الاحصاء : العدُّ بالحصى ، وقد أُخذ من لفظها ، لانهم كانوا يعتمدون في العد عليها كاعتمادنا فيه على الاصابع (راجع مفردات الراغب) . وفي مستدركات التاج « الاحصاء : الاحاطة »

اقول : واحصاء علم من العلوم بمعنى الاحاطة به لايكون الا بعد أن يتخصص له الانسان وينفرد به . فعلى ذلك يصح ان نقول مثلاً : « احصى فلان علم الكهرباء » اي تخصص له فمهر فيه مهارة تامة

واما تعدية احصى فبنفسها ، تقول : « احصى هـذا العلم » أي احاط به احاطة تامة . ولك ان تنزلها منزلة اللازم ان اردت انه صار فيه ذا احصاء فتقول : « احصى فلان » اي صار ذا احصاء ، و« احصى في هذا العلم وهو ذو احصاء فيه » كما قالوا « اخصب المكان واجدب » اي صار ذا خصب وجذب ، و « اغدَّ البعير » اي صار ذا

غُدَّة و « أضبَ اليوم » اي كثر ضَبابه (بفتح الضاد) فالهمزة تكون حينئذ للصيرورة لا للتعدية . وعلى هذا يصح ان نقول : « احصى في التاريخ ، وهو مُحص في الرياضيات ، ومن المحصين في الادب ، ومن الاحصائيين في علوم الشرع »

ولنا ان نستعمل « المهارة » في هذا المعنى ايضاً ، فنقول : « مهر في الحساب فهو ماهر » قال في اللسان : « الماهر الحاذق في الشيء . والماهر الحاذق بكل عمل . قال ابن سيده : مهر الشيء وفيه وبه يمهر (بفتح الهاء) مهراً ومهوراً ومهارة (بفتح الميم) ومهارة (بكسرها) اه ولا يمهر المرء في علم او صناعة الا بعد ان يفرّغ نفسه لذلك ويحصيه ويحيط به ويتخصص له .

فَلنا (والامر ماذكرنا) ان نقول : « تخصص لهذا العلم وفيه واختص به وفيه واحصاه واحصى فيه ومهره ومهر فيه ومهر به . هذا رأي نعرضه على اهل الاختصاص او التخصص او الاحصاء او المهارة في علوم اللغة العربية ليروا رأيهم فيه .

نقد الصفحة الثامنة عشرة

٥١ — الملق والتمليق والتملق

وجمل منه « احاط به الجهلاء والمملقون » قال « المتملقون » من تملّق اي تودد

قلت : الملق (بفتحتين) الود واللطف الشديد . واصله التليين . وقيل : الملق شدة لطف الود . وقيل الترفق والمداراة . والمعنيان

متقاربان . ملق (بكسر اللام) ملقاً (بفتحها) وتملق وتملقه وتملق له اي تودد اليه وتلطف له ، كما في لسان العرب وغيره . ولا معنى للتمليق في قولهم السابق ان ارادوا به معنى التودد والتلطف او الترفق والمداراة والواجب استعمال « التملق » كما قال الاستاذ . اما ان ارادوا به مجازاً معنى التليين والتلطيف بالقول او الفعل فلا مانع من ذلك ، وقد قالوا « ملّق الشيء تمليقاً » اي ملّسه ولينه . وقال الازهري « ملّقوا وملّسوا » واحد كما في اللسان . و « ملّق الارض والجدار تمليقاً ، ومنه « المالَق » بفتح اللام ، وهو ما يملس به الحارث الارض المثارة ، وهو ايضاً مالج الطيان (بفتح اللام ايضاً) ومملقه (بكسر الميم الاولى وسكون الاخرى) كما في القاموس وفي لسان العرب . فانت ترى ان التمليق هو التمليس والتليين ، فلا بأس ان يقال « ملقه تمليقاً » بمعنى لطفه ولينه بالقول او بفعل ما يرضيه . والامر ايسر من ذلك . والملق (بفتحتين) والتملق والتمليق في معنى اللطف والتلطف والتلطيف انما هو مجاز منقول عن معنى تمليق الارض والجدار .

وبهذا تعلم ان ما انتقده على الشاعر في (ص ٦٢) في قوله :

وأكاد بالتمليق اعطفه　　لو كان يرضيه تملقه

غير وارد . قال الاستاذ « التمليق » خطأ صوابه « التملق » فانت ترى ان الشاعر لم يُرد هنا معنى التودد والتلطف فيقول « التملق » وانما اراد معنى التلطيف والتليين بالقول او الفعل ، كما هو ظاهر ، فلهذا قال « التمليق » ، وتراه قد استعمل « التملق » في آخر البيت

لما اراد معنى التودد الى المحبوب . فهو يقول : اكاد اعطفه عليّ بلين القول لو كان يرضيه التودد اليه والتحبب اليه .

نقد الصفحة التاسعة عشرة

٥٢ – التحاشي والتنزه

وجعل منه « كان يتحاشاه في معظم اوقاته . وجعل الصواب « يتجنبه » قال: لانه يقال تحاشى عن الشيء . اي تنزه عنه .

قلت : وهل يريدون الا هـذا ؟ واي فرق في اللغة بين التنزه والتجنب والابتعاد والتنحي والتحاشي ؟ قال في اللسان : « واذاقلت حاشى لزيد ، هذا من التنحي . والمعنى قد تنحى زيد من هذاوتباعد عنه ، كما تقول « تنحى » من الناحية ، وكذلك « تحاشى » من حاشية الشيء ، وهي ناحيته . قال ابن الانباري : معنى « حاشى » في كلام العرب : اعزل فلاناً من صف القوم بالحشى واعزله بناحية ولاادخله في جملتهم . ومعنى الحشى الناحية اه . وربماوهم الاستاذ في معنى التنزه والتحاشي فظن انهما لا يكونان الا في الامور المعنوية ، لذلك خطأ من يستعمل التحاشي بمعنى التحامي والتجنب والابتعاد اذا كان المتحاشى عنه شيئاً مادياً . وقد علمت ان التحاشي عام . واما التنزه فقد قال في لسان العرب : « التنزه التباعد ، والاسم النزهة (بضم النون) ومكان نزه (بكسر الزاي) ونزيه ، وقد نزه (بكسر الزاي)

ينزه (بفتحها) نزاهة ونزاهية ، وقد نزهت الارض (بكسر الزاي) وارض نزهة (بفتح فسكون) ونزهة (بفتح فكسر) اي بعيدة نائية من الانداء والمياه والغمق (بفتحتين) قال الجوهري : خرجنا نتنزه في الرياض ، واصله من البعد . ويقال : ظللنا متنزهين اذا تباعدوا عن المياه . وهو يتنزه عن الشيء اذا تباعد عنه . وفلان يتنزه عن الاقذار : ينزه نفسه عنها ، اي يباعد نفسه عنها . وفي الحديث «صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخّص فيه فتنزّه عنه قوم » اي تركوه وابعدوا عنه ولم يعملوا بالرخصة » اه فانت ترى ان المادة تدل على البعد . والتنزه والتحاشي والتباعد والتجنب والتحامي تكون في الاعيان والمعاني ، وهي في الاول اصل وفي الثاني فرع . قال في مجاز الاساس : رجل نزه ونزيه عن الريب . ونزّه الله تنزيهاً . وهو يتنزه عن المطامع » اه بقي علينا ان ننظر في تعدية « تحاشى » ولم أر من ذكر وجه تعديتها . وقياسها ان تُعدى بعن حملاً لها على « تنزه » فالأولى ان يقولوا « تحاشى عنه » لا « تحاشاه » ولا ارى مانعاً من تعديتها بنفسها حملاً لها على تجنبه وتحاماه . وان وجد نص على تعديتها بالحرف فلا محيص عنه ، إلاّ ان نحونا نحو التضمين .

***

نقد الصفحة العشرين

٥٣ - سدل واسدل

وجعل منه « اسدل الستار » قال : « سدل الستار » من الثلاثي او « اسبل الستار » من الرباعي .

قلت : « اسدل الستار وسدله » كلاهما جائز ، غير ان « سدله » افصح من «اسدله» وقد نص القاموس والتاج واللسان والمخصص على ان « سدله وأسدله » بمعنى واحد .

نقد الصفحة الحادية والعشرين

٥٤ - خفاه واخفاه

وجعل منه « ظهر الكنز المخفي » قال : الخفي على وزن « فعيل » او المخفى بالمجهول » يريد من اخفاه فالفاعل مُخفٍ والمفعول مُخفى .

قلت : ليس ذلك بخطأ بل هو جائز . وقد جاء « خفاه واخفاه » بمعنى « ستره » فيقال من الاول « مخفيّ » بوزن « مفعول » ومن الآخر « مُخفى» بوزن « مُفعل » كما في القاموس ولسان العرب . ويقال ايضاً « خفاه يخفيه » بمعنى اظهره ، فهو من الاضداد . وبه فسر قوله تعالى : « ان الساعة آتية اكاد أخفيها » في قراءة من قرأ « أخفيها » بفتح الهمزة اي اكاد أظهرها راجع لسان العرب و كتب التفسير .

نقد الصفحة الثانية والعشرين

٥٥ — بعثه وبعث به

وجعل منه « الكتاب الذي بعثه » قال « بعث به » لانه يقال للشخص «بعثه» وللشيء « بعث به »

قلت : قد التبس الامر على الاستاذ . فالمسألة ليست مسألة شخص او شيء ، وانما هي مسألة مبعوث وحده او مبعوث به مع غيره » فالمبعوث به مع غيره شخصاً كان او شيئاً تلزمه الباء تقول « بعثت اليك بولدي » اذا ارسلته مع غيره ، كما تقول « بعثت اليك بكتابي » وذلك ان « بعث » تقتضي مبعوثاً ، فان كان مرسلاً وحده عديت الفعل اليه بنفسه ، وان كان مرسلاً به مع غيره عديته اليه بالباء ، لافرق بين ان يكون المبعوث به شخصاً او شيئاً ، كما رأيت . وقد يذكر في الكلام مبعوثان : احدهما مبعوث بنفسه والآخر مبعوث به مع المبعوث الاول مثل « بعثت فلاناً بولدي او بكتابي » فيعدى الفعل الى الاول بنفسه والى الآخر بالباء » وقد يكون المبعوث بنفسه غير عاقل نحو « بعثت فرسي الى داري بثيابي » ان كان فرسك مما قد تعود ان يذهب الى دارك بنفسه » . فالامر امر مبعوث بنفسه ومبعوث به مع غيره . وسيأتي فضل شرح لهذا . ومنشأ الوهم ما ذكره الحريري في (درة الغواص) حيث قال : « ويقولون : بعثت اليه بغلام وارسلت اليه هدية . فيخطئون فيهما لان العرب تقول فيما يتصرف بنفسه :

« ٥ »

« بعثته وارسلته » وتقول فيما يُحمل بعثت به وارسلت به » اه فأنت ترى ان الحريري لم يذكر الشخص ولا الشيء ، وانما ذكر ما يتصرف بنفسه وما يُحمـل اي ما لا يتصرف بنفسه . والاول ما ينبعث بلا واسطة ، والآخر على العكس . ونقول : ان الذي يفهمه كلام لسان العرب الذي سيأتي ان ما يُرسل وحده يُعدَّى الفعل اليه بنفسه وان كان غير عاقل . وما يُرسل به مع غيره يعدَّى الفعل اليه بالباء وان كان عاقلاً . وقال ابن بري (كما نقل عنه شارح الدرة) : « بعثت يقتضي مبعوثاً ومبعوثاً به ، متصرفاً كان (اي المبعوث به) اولا ، تقول : بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء . وكذا ارسلت ، يقتضي مُرسَلاً ومرسلاً به ، متصرفاً كان (اي المرسل به) او غير متصرف » اه فاحفظ هذا فسيأتي له مزيد بيان . ولم يفرّق القاموس ولا الاساس ولا المختار في التعدية بين ماينبعث بنفسه وبين ماينبعث بواسطة . قال في القاموس : « بعثه ارسله » وقال في الاساس : « بعثه لكذا فانبعث له » وقال في مختار الصحاح : « بعثه وابتعثه بمعنى اي ارسله فانبعث » ونقل شارح الدرة عن ابن جني في شرح ديوان المتنبي نحـو ذلك . وقد فرق صاحب اللسان بين مايُبعث وحده وما يُبعث به مع غيره ، من غير تفرقة بين ان يكون المبعوث شخصاً او شيئاً غير عاقل (كنحو ما نقلناه عن ابن بري) فقال : « بعثه يبعثه بعثاً » : ارسله وحـده ، وبعث به : ارسله مع غيره » اه قلت : وهذا منشأ آخر للوهم ، فالمبعوث به قد يكون شخصاً وقد يكون شيئاً غير عاقل ، تقـول : « بعثت

اليك بولدي » اذا ارسلته اليه مع غيره و « بعثته اليك اذا ارسلته بنفسه اي وحده، كما تقول: « بعثت اليك بكتابي ». ولا تقول (اعتماداً على تفريق اللسان والحريري وابن بري بينهما » (بعثت كتابي اليك) لانه لا يبعث وحده، كما لا تقول « بعثت اليك فلاناً المريض لتداويه » اذا بعثت به مع غيره، بل تقول « بعثت به اليك » او بعثت زيداً به » على انك ان قلت « بعثت اليك بولدي او بكتابي » فلا بد ان يكون هناك مبعوث بنفسه مقدر، والتقدير « بعثت فلاناً اليك بولدي او بكتابي » كما تقول : « بعثت فلاناً بحاجتي وبعثته بهدية » ونحو ذلك فالباء انما تلزم المبعوث به مع غيره، سواء أكان شخصاً ام شيئاً، وسواء أذكرت المبعوث بنفسه الذي ارسلته بالشخص او الشيء أم لا، كما علمت . على اننا لا نرى الباء تلزم المبعوث به مع غيره إلا اذا ذكر معه مبعوث متصرف نحو « بعثت اليك زيداً بولدي او بكتابي » فان لم يذكر الا مبعوث واحد (وان كان غير متصرف) فلا تلزمه الباء نحو « ارسلت اليك هدية » وذلك لما علمت من اطلاق القاموس والاساس والمختار معنى «البعث» من غير التفات الى المبعوث أمرسل هو وحده او مع غيره . غير ان التفريق اولى بلا ريب . اما المبعوث بنفسه اي وحده فلا وجه لدخول الباء عليه، لافرق بين ان يكون عاقلاً او غير عاقل، تقول « بعثت فرسي الى داري » ان كان فرسك قد تعود ان يرجع اليها وحده بلا قائد . ولهذا عابوا على المتنبي قوله :

فآجرك الآله على عليل بعثت الى المسيح به طبيبا

ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتني فيها اديبا

لانه أدخل الباء على ضمير العليل (المجازي) وهو مبعوث وحده لامع غيره . قال الحريري في الدرة : « ومن تأول له اراد ان العليل لاستحواذ العلة على جسمه وحسه قد التحق بحيز ما لايتصرف بنفسه فلهذا عدّى الفعل اليه بحرف الجر كما يعدّى الى مالا حس له ولا عقل» اهـ اقول : ليس هذا التأويل بحق ولا مستحسن ، اذ لم يكن المبعوث عليلًا حقيقة ، وانما وصفه بذلك مجازاً كما ستعلم . ومن عرف سبب القصيدة التي منها هذا البيت يعلم فساد هذا التأويل : وذلك ان عليّ ابن محمد بن سيار بن مكرم التميمي كان له وكيل يتعرض للشعر فأنفذه الى ابي الطيب يناشده ، فتلقاه ابو الطيب وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب الى علي قصيدته التي مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيبا

ومنها البيتان السابقان . فانت ترى ان ابا الطيب جعل نفسه كالمسيح (عليه السلام) الذي كان يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى ويحيي الموتى باذن الله ، وجعل هذا الشاعر كعليل جاء ليداوي المسيح الذي من شأنه ان يُداوِي، لا ان يُداوَى . وهذا على حد قولهم « كناقل الماء الى هجر والتمر الى خيبر » . وخير تأويل يصحح بيت المتنبي ماذكره شارح الدرة ، قال : وقد حُمِل كلام المتنبي على انه جعله (اي الوكيل المبعوث) من جملة الطُّرَف والتحف المهداة اليه (وهي لاترسل بنفسها وحدها) ويشهد له مابعده، وهو قوله :

ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتني فيها اديبا

اقول : ومثل بعث « أرسل » في استعماله ، تقول : « ارسلته » اذا ارسلته بنفسه و « ارسلت به » اذا ارسلت به مع غيره و « ارسلت زيداً بولدي او بكتابي » . وقد علمت ان من اللغويين من لم يفرقوا بين المرسل وحده والمرسل به مع غيره ، وأن الاولى التفريق ، وان من لم يفرق ليس بمخطيء ، وانما هو قد اتبع غير الأولى . ومما يدل على ان الباء تدخل على المبعوث به مع غيره وان كان شخصاً قول النابغة الجعدي :

فان يكن ابن عفان امينا فلم يبعث بك البر الامينا

اي فلم يبعث البر الامين بك . والباء في هذا البيت لازمة ، سواء أقلنا بوجوب التفريق بين ما يرسل وحده وما يرسل مع غيره ام لا ، لانه قد ذكر المبعوث به غير المتصرف والمبعوث المتصرف معاً .

٥٦ — حكموهم وحكموا عليهم

ويجعل منه « حكموهم قروناً طوالاً » قال : « حكموا بينهم او حكموا عليهم

قلت : « حكموهم » صحيح بالمعنى الذي يريدونه وهو « ملكوهم واستحكموا فيهم » لانه يقال « حكمه (بالتخفيف) وحكمه (بالتشديد) واحكمه : اذا منعه مما يريد ، وكذا منعه من الفساد ، كما في اللسان والقاموس . والعرب تقول : « حكمت واحكمت وحكّمت » بمعنى منعت ورددت و كففت ، كما في اللسان . ومن كان في يده امر منع الناس مما يريدون او منعهم من الفساد فهو قد حكمهم وملكهم

واحتكم فيهم . واما « حكم بينهم او عليهم » فهو بمعنى قضى بينهم او عليهم » فهو الحاكم اي القاضي . وهذا مالا يريدونه بقولهم « حكموهم » فان ارادوا معنى القضاء قالوا « حكم بينهم او عليهم » كما لا يخفى ، كما يقولون « حكم له » اي قضى له . وكل ذلك مأخوذ من « الحكمة » محركة ، وفسرها في القاموس بما احاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذاران . وقال في لسان العرب : « الحكمة حديدة في اللجام تكون على انف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راكبه . وقال ابن شميل : « الحكمة حلقة تكون في فم الفرس » قلت : وهذا اقرب وكانت العرب تتخذها من جلد ونحوه لان قصدهم الشجاعة لا الزينة . ويقال « حكم الفرس واحكمه : جعل للجامه حكمة . اقول : وليس الحكم بمعنى القضاء او المنع اصلاً في « الحكمة » وليس « حكم » بمعنى « قضى او كف و منع » اصلا لحكم الفرس اذا جعل للجامه حكمة » كما قالوا . لان الالفاظ بمدلولها المادي سابقة لها بمدلولها المعنوي . فالحكم من « الحكمة » وليست الحكمة من الحكم .

***

نقد الصفحة الخامسة والعشرين

٥٧ – العالة والعيل والعائل

وجعل منه « تركه عالة على المجتمع الانساني » قال : « العالة جمع عيّل » بالتشديد كسادة وسيد . والصواب : تركه عيلاً على المجتمع . ويقال تركهم عالة عند الجمع » .

اقول : ان « العالة » جمع « عائل » لا جمع « عيل » بتشديد الياء مكسورة ، كما ستعلم . وهي ايضاً اسم بمعنى الفقر والفاقة والحاجة ؛ كما في اللسان والتاج . فعلى هذا يصح ان يقال « فلان عالة » اي عائل من باب الوصف على سبيل المبالغة ، او على تقدير مضاف ، اي ذو عالة وهذا كثير وارد نظيره في كلام الفصحاء الذين يحتج بهم : كحديث : « هل بقي احد من قرابتها ؟ » اي اقاربها ، او من ذوي قرابتها . قال ابن الاثير في النهاية : وفي حديث عمر : « الا حامى على قرابته » اي اقاربه ، سُموا بالمصدر كالصحابة اه . ومثل العالة « العيلة » فهي بمعنى الفقر . ومنه قوله تعالى : « وان خفتم عيلة » اي فقراً (كما في كتب التفسير واللسان والتاج) وعلى هذا يصح ان يقال ايضاً : « تركه عيلة » اي عائلا ، او ذا عيلة . وقد جاءت العيلة وصفاً للجمع . قال في اللسان : « وهو عائل وقوم عيلة » اه .

ثم ان « العيّل » يكون للجماعة ويكون للواحد ، وليس هو

مفرداً خالصاً . فمن استعماله للواحد ما جاء في حديث حنظلة الكاتب : « فاذا رجعت الى اهلي دنت مني المرأة وعيّل او عيلان » .ومن استعماله للجماعة ماجاء في حديث ابي هريرة : « ماوعاء العشرة ؟ قال رجل يُدخل على عشرة عيّل وعاء من طعام » يريد على عشرة انفس يعولهم .وقول الشاعر :

سلام على يحيى ولا يُزْجَ عنده   ولا ، وان ازرى بعيّله الفقر

وقد اضطربوا فيه من جهة افراده وجمعه : قال في اللسان : « وعيال الرجل وعيله : الذين يتكفل بهم . وقد يكون العيل واحداً » اه فدل على غلبة الجمعية عليه . ثم قال : « والعيل واحد العيال . وقد يقع على الجماعة » اه . فدل على غلبة الافرادية عليه (راجع مادة عول) وقال في مادة (عيل) وعيال الرجل وعيله الذين يتكفل بهم ويعولهم . وقد يكون العيل واحداً » فصرح بغلبة الجمعية عليه . وقال في القاموس « العيل والعيال : من تتكفل بهم » اه فصرح بانه جمع . ونرى انه من الالفاظ التي يستوي فيها الواحد والجماعة . : كالفُلك (بضم الفاء) والجنب (بضمتين) والعدو والضيف والدلاص [1] والهجان [2] والولد [3] وما كان كذلك استوى فيه المذكر والمؤنث ايضاً . ولم نرَ « العيل » قد لحقته تاء التأنيث ، فهذا يدل على مانقوله . واطلاق اسم المفرد أو الجمع عليه انما هو باعتبار موضع استعماله .

(١) الدلاص ، بكسر الدال : الدرع الملساء اللينة
(٢) الهجان ، بكسر الهاء : البيضاء الكريمة من الابل . يقال ناقة هجان وابل هجان
(٣) الولد ، يكون بالتحريك ، وبضم فسكون ، وبكسر فسكون ، وبفتح فسكون

وخلاصة هذا التحقيق أنه يصح ان يقال « تركه عائلاً على المجتمع وعيّلا وعالة وعَيلة . فان كانوا جماعة قيل « تركهم عالة وعيالاً وعيّلاً وعَيلة »

....

اما المادة اللغوية فيقال (كما في اللسان والقاموس والتاج والنهاية): عال يعيل عَيلا وعيلة (من الاجوف اليائي) اي افتقر، ومنه الحديث: « ما عال مقتصد ولا يَعيل » وقول أحيحة بن الجلاح:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يَعيل

والعائل: الفقير، ومنه الحديث: « ان الله يُبغض العائل المختال » وجمعه « عالة » ومنهُ الحديث: « أن تترك ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تتركهم عالةً يتكففون الناس » اي فقراء. والعيّل: الفقير. وجمعه « عيائل » وهو من عال يعيل. واصله « عَيْيِل » بيائين أولاهما ساكنة والأخرى مكسورة، أدغمت احداهما في الأخرى. ويكون واوياً من « عال يعول » واصله « عَيول » بفتح فسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وهو حينئذ بمعنى من تعوله من عيالك، اي تمونه وتُنفق عليه كما سيأتي.

ويقال « عال الرجلُ عياله يعولهم وأعالهم وعيّلهم اي قام بما يحتاجون اليه من قوت وكسوة وغيرهما. ومنه الحديث: « وابدأ بمن تعول » اي بمن تمونه وتلزمك نفقته من عيالك. فان فضل شيء فليكن للاجانب. قال ابن بري: « العيال » ياؤه منقلبة عن الواو

(اي اصله عِوال بكسر العين) لانه من عالهم يعولهم اذا كفاهم معاشهم ، وكأنه في الاصل مصدر أريد به المفعول . اقول : وهو قول في نهاية التحقيق ، واراه لم يعدُ الصواب .

ويقال : أعوَل واعال واعيل وعال: اذا كثر عياله ، او صار ذا عيال . واعولت المراة واعيلت: ولدت اولاداً . وبناء «اعيل» منظور فيه الى لفظ العيال لا الى اصله ، كما قالوا في جمع عيد «أعياد» ولو رجعوا الى الاصل لقالوا « اعواد » لان العيد اصله « عِود » بكسر فسكون ، لانه من عاد يعود . ويقال « رجل مُعيَّل »بتشديد الياء مفتوحة اي ذو عيال ، قلبت فيه الواو ياء طلباً للخفة ، واصله « معوَّل » بتشديد الواو . والناس يقولون « مُعيل » بضم فسكون فكسر ، نظروا فيه الى « أعيل ». وفي التاج : رجل مُعيَّل كمعظم . ويقال فيه ايضاً مُعيل كمكرم (بضم فسكون فكسر) اهـ والعائل ايضاً : من يعول عياله ، اسم فاعل من عالهم يعولهم . والعيّل ايضاً : من تعوله ، وجمعه « عيائل » من عالهم يعولهم .

واصل المادة يدل على معنى الثقل . ومنه العول وهو ما يثقل من المصيبة ، يقال : » ويلهُ وعولَهُ » ويقال : « ما عالك فهو عائل لي » اي ما يهمك ويثقلك . ومنه « التعويل » وهو الاعتماد على الغير فيما يَثقل . ومنه « العيال » لتحمل ثقل مؤونتهم وتربيتهم ، وعالهم تحمل ثقل ذلك (راجع مفردات الراغب) . ونرى ان « عال يعيل والعائل والعيلة(من الاجوف اليائي) هو من هذا الباب لما في الفقر من الثقل

واحتمال الضيم والمشقة . وربما كان الاصل فيه الواو ، قلبوهـا ياء تخفيفاً ، كما قلبوا واو « معيَل » وأعيل والله اعلم .

...

وقول الاستاذ : ان العالة جمع عيل « تساهل » تبع فيه اطلاق اللغويين وتساهلهم ، وكثيراً ما يتساهلون في امر الجموع اعتماداً على قواعد التصريف . وانما العالة جمع « عائل » لا غير . لان (فعلَة) بالتحريك جمع لصفة المذكر العاقل عـلى وزن (فاعل) الصحيح اللام : «كامل وكملة وساحر وسحرة وبارّ وبررة وسافر وسفرة» وما كان منه معتل العين تقلب عينه الفاً : كعالة وعائل وباعة وبائع وحاكة وحائك وخانة وخائن . واصلها « عوَلة او عيلة وبيعة وحوكة وخونة » بالتحريك في الجميع « أعلَّت الواو واليـاء . بقلبهما الفاً لتحركهما وانفتاح ما قبلهما ، كما هو القياس . وسنذكر انه ورد جملة من معتل العين بالواو المجموع على « فعلة » مصححاً غير مُعلّ متى جاء موضعه من هذه النظرات ، ونفيض في سبب ذلك .

والعائل يجمع قياساً على « عالة وعُيّل وعُيّال » بضم العين وفتح الياء مشددة في الاخيرين) غير اني لم أر من ذكر العيّال لكنهـا القياس . فان « فعّالاً » جمع قياسي لصفة المذكر من وزن « فاعل » الصحيح اللام : «كقائم وقوام وصائم وصوام وكاتب وكـتاب» وكثيراً ما يتركون الجموع القياسية اعتماداً على كتب التصريف . وقد صرح اللسان في مادة (عول) بان « العيل » لا يجمع على عالة . قال

عن كراع : وقد يكون العيل واحداً والجمع عالة . قال وعندي انه جمع عائل ، على ما يكثر من هذا النحو . واما « فيعل » فلا يكسر على « فعلة » البتة » اهـ وقال في مادة (سود) والسيد: الرئيس . وقال كراع : وجمعه سادة، ونظّره (بتشديد الظاء) بقيم وقامة وعيل وعالة. قال ابن سيده : وعندي ان سادة جمع سائد، على ما يكثر من هذا النحو . واما قامة وعالة فجمع قائم وعائل، لا جمع قيم وعيل كما زعم، وذلك لان « فيعلاً » لا يجمع على « فعلة » (بالتحريك)

قلت : والعيل على وزن « فيعل » واصله « عيول » ان كان من « عال يعول » او « عييل » بيائين أولاهما ساكنه والاخرى مكسورة أدغمت احداهما في الاخرى، ان كان من عال يعيل . واما « عيول » فقد قلبت واوه ياء لسبقها بياء ساكنة ثم أدغمت فيها . ومثله « سيد» واصله « سيود »وقياس جمع « عيل وسيد » ونظائرهما على « فياعل » كعيائل وسيائد . فان « فياعل » جمع للاسم او الصفة على وزن « فيعل او فيعلة » كصيرف وصيارف وحيعلة وحياعل . وكذا « عيل وعيائل وسيد وسيائد وجيد وجيائد » فان اصلها « عيايل او عياول وسياود وجياود » ابدلت الياء والواو من الهمزة ، لانه اذا توسطت الف « مفاعل » بين حرفي علة في اسم صحيح الآخر أبدل ثانيهما من الهمزة — وليست عيائل واشباهها على وزن « فعائل » لان همزة هذه منقلبة عن حرف مدزائد ، وفي نحو عيائل وسيائد منقلبة عن حرف علة اصلي غير مد . على ان وزن « فعائل » انما يكون جمعاً لكل

رباعي مؤنث قبل آخره حرف مد، سواء أكان مؤنثاً بالعلامة : كصحيفة وصحائف وسحابة وسحائب وحلوبة وحلائب وحبارى وحبائر، ام مؤنثاً معنوياً كشمال وشمائل وعُقاب وعقائب وعجوز وعجائز وكسعيد علماً لمؤنث وسعائد »

نقد الصفحة السابعة والعشرين

٥٨ — القطارات والقاطرات والقُطُر

وجعل منه « في احدى القطارات » قال في احدى القاطرات او في احدالقُطُر، بضمتين جمع قطار ككتاب وكتب وجدار وجُدُر ونظام ونُظُم »

قلت : قوله « او في احد القطر » صحيح، ويجوز في احد القطرات ايضاً بضمتين . قال في اللسان: « قطار الابل والجمع قُطُر وقُطُرات » اهـ فكأنّ القطرات جمع الجمع . واما القاطرات جمع قاطرة فلا معنى لها هنا لانها اسم فاعل من «قطر الابل يقطرها» اذا قرّب بعضها الى بعض على نسق واحد . فالقاطر من يقطر، والقاطرة من تقطر . وهذا عمل من يقرّب القطار ويشد بعضه الى بعض على نسق واحد . وربما صح اطلاق القاطرة على عجلة البخار التي تجر القطار، كما يسميها الناس اليوم، ولا أرى بذلك بأساً . وأمّا القطارات فصحيحة لانها جمع قطارة .

والقطار بمعناه اليوم مأخوذ من قطار الابل : قال في اللسان : « والقطار ان تقطر الابل بعضها الى بعض على نسق واحد . وتقطير

الابل من القطار . وقطر الابل يقطرها (بضم الطاء في المضارع) قطراً (بفتح فسكون) وقطّرها تقطيراً : قرّب بعضها الى بعض على نسق . وتقاطر القوم : جاؤوا أرسالاً ، وهو مأخوذ من قطار الابل ، وجاءت الابل قطاراً اي مقطورة . والقطارة والقطار : ان تُشدّ الابل على نسق واحداً خلف واحد » اه ونرى ان القطار راجع الى القطر (بفتح فسكون) وهو المطر ، وجمعه قِطار . فقطار الابل هو في الاصل جمع قَطْر ، فكأن كل واحد منها قطر . سميت بذلك لتتابعها كما يتبع المطر بعضه بعضاً . وعلى ذلك يصح ان نسمي كل عجلة من عجلات القطار قَطْراً (بفتح فسكون) والجمع قطار ، فالقطار لجماعة المقطورات والقطر للواحدة منها ، والقطر هذا يكون اما مفرد القطار ، واما مصدراً اريد به معنى المفعول لانه مقطور . وقَطْرُ الابل ونحوها وتقطيرها مأخوذ من قطر الماء وتقطيره . يقال « قطر الماءُ وقطرته انا يتعدى ولا يتعدى . وتقطير الماء : إسالته قطرة قطرة » وتقاطر القوم اما مأخوذ من قطار الابل كما قالوا ، واما من قطار المطر . لانه يقال قطر الماءُ والدمع وغيرهما من السيال وتقاطر » . فان قلنا بالاول فهو مجاز منقول عن مجاز . وان قلنا بالآخر فهو مجاز منقول عن الحقيقة رأساً .

٥٩ — قبله وقبل به

وجعل منه « لايقبل به بعلاً لابنته » قال : « لايقبله او لايرضى به »

قلت : القبول في اللغة معناه الاخذ والرضا . وهو في هذا المثال بمعنى الرضا . ولم يذكره اللغويون بالمعنيين الا متعدياً بنفسه ، غير انه

لامانع من تعديته بالباء وهو بمعنى الرضا ، كما تتعدى « رضي » بنفسها وبالباء تقول : « رضيت الشيء ورضيت به » . و كثيراً ما يُعدون فعلاً تعدية فعل آخر بمعناه ، ولهذا شواهد كثيرة : الا ترى انهم قالوا « علم الشيء » اي عرفه ، و « علم به » اي شعر به ، و « عرف الشيء » علمه و « عرف به » اقرّ به ، و « عرف له » اقرّ له . ولما كانت « قبل » تحتمل معنى « اخذ » ومعنى « رضي » جنح الكتاب او كثير منهم الى تعديتها بالباء حيث ارادوا بها معنى « رضي به » ليعينوا المعنى الذي يريدونه منها ولا حرج عليهم في ذلك ، لانهم لم يخرجوا على اصول اللغة ومناحي كلام العرب . الا ترى ان « اخذ » لما ضمنوها معنى « رضي » عدوها بالباء فقالوا « اخذ برأي فلان » اي رضي به .

والقبول بمعنى الاخذ او الرضا راجع الى معنى « قَبَلَ الشيء » بفتح الباء ، اذا استقبله . قال في اللسان : « قبلت الشيء ودبرته (بفتح الباء فيهما) اذا استقبلته او استدبرته » اه اقول : وان من اراد اخذ شيء او رضيه توجه اليه مستقبلا اياه . فلما ارادوا به معنى الاخذ والرضا حولوا صيغته الى « فَعِل » بكسر العين . والاصل في ذلك كله ان « القُبْل » بضم فسكون معناه الوجه . فاذا قالوا « استقبله » فالمعنى « حوّل اليه قُبْله » اي وجهه . ولهذا قالوا « أَقْبِلْ قُبْلَك » اي اقصد قصدك واتوجه نحوك ، و « كان ذلك في قُبْلِ الشتاء وفي قُبل الصيف » اي اولهما . ومن ذلك التقبيل ، أخذ من « القُبْل » اي الوجه ، كما أخذ اللثم بمعنى التقبيل من اللثام الذي يوضع على الفم . ثم صارا عامين

في كل تقبيل : في وجه او فم او غيرهما .

نقد الصفحة الثامنة والعشرين

٦٠ – الارياح والرياح والارواح

وجعل منه « الارياح » قال « الرياح او الارواح » ولم يسمع « ارياح » في كلام البلغاء . »

قلت « الريح » اصلها « روح » بكسر فسكون ، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ؛ واذ كان الجمع يرد الاشياء الى اصولها رُدَّت الياء الى الواو . فقالوا « ارواح » و « الرياح » اصلها «رواح» بكسر الراء ، قلبت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة في جمع على وزن « فِعال » وأُعلت في مفرده . ومثلها « الديار » جمع دار واصلها « دوَر» بالتحريك . وكذا تُقلب ياء في هذا الوزن ان سكنت وان لم تُعل في المفرد : كثوب وثياب وسوط وسياط . فان صحت ولم تسكن فلا تقلب : كطويل وطوال . قال الجوهري : « الريح واحدة الرياح . وقد تجمع على ارواح ، لان اصلها الواو ، وانما جاءت الياء (يعني في رياح) لانكسار ما قبلها . واذا رجعوا الى الفتح عادت الواو ، كقولك « اروح الماء وتروحت بالمروحة » اه . وقال الميداني في (نزهة الطرف) : « وقالوا ارياح في جمع ريح . والقياس أرواح » . فانت ترى انهم قالوا « ارياح » كما قالوا « أرواح ورياح » جمعوها باعتبار لفظ مفردها

الحاضر « ريح » خشية الالتباس بجمع « روح » قال ابن هشام في شرح « بانت سعاد » : من العرب من يقول « ارياح » كراهية الاشتباه بجمع « روح » كما قالوا في جمع « عيد اعياد » كراهية الاشتباه بجمع عود » اهـ و « عيد » اصله « عِوْد » نقول قد يرجعون في بناء الكلمة الى لفظها لا الى اصلها كما قالوا « اعال الرجل واعول واعيل » اذا كثرت عياله . وفي النهاية : قال الزمخشري : « فأما اعيل فانه في بنائه منظور الى لفظ « عيال » لا الى اصله » كقولهم « اعياد وأقيال » اهـ وقال في القاموس : « الريح جمعها ارواح وارياح ورياح وريح كعنب وجمع الجمع اراويح واراييح » وقال في مختار الصحاح : « جمع الريح رياح وارياح . وقد يجمع على ارواح » وقال في المخصص : « الريح نسيم الهواء انثى . والجمع ارواح . قال ابو حنيفة : وارياح . وعلى هذا قيل « اراييح » والكثير رياح » اهـ اقول : والمختار جمعها على « رياح » وهو اكثر وروداً في فصيح الكلام . ولم ترد الريح في القرآن الكريم الا مجموعة على رياح . فمن اراد الافصح فليصر الى جمعها على « رياح » ومن جمعها على ارياح او ارواح فلم يعدُ الفصيح .

***

نقد الصفحة التاسعة والعشرين

٦١ — التداني — السفاسف

وجعل منه « لايتدانون الى هذه السفاسف » قال : « يتصوبون او يتسفلون »

قلت : ولو صحح تصريفه فقال « لايدنون منها » لكان اولى . واما « تدانى » او « تَدَنّى » فلا يصلحان هنا ، اما « التداني » فهو التقارب يقال « تدانى القوم » اذا دنا بعضهم من بعض . واما « التدني » فهو الدنو قليلاً ، يقال « تدنى فلان » اي دنا قليلاً .

وقد سكت الاستاذ عن « السفاسف » فلم ينتقدها ، وهي ليست من كلام العرب ، ولم يذكرها احد من اللغويين . وقد رأينا الاستاذ في كثير من المواطن يخطئ الكتاب في استعمالهم مالم تنص عليه كتب اللغة . أما انها ليست من كلامهم فلأنها ان كانت جمعاً لسفساف (بفتح السين) فالقياس جمعه على « سفاسيف » وان لم يذكروا له جمعاً . وانما لم يرد « السفساف » مجموعاً ، ولم يذكر له اللغويون جمعاً لانه في الاصل مصدر ، والمصادر لاتثنى ولا تجمع الا اذا ختمت بالتاء . وجمعه غير مختوم بها موقوف على السماع . فان سمع الجمع عللوه باختلاف الانواع ، وان لم يُسمع عللوا عدم سماعه بانه مصدر . على اننا ممن يقول بجمع المصدر غير باقٍ على مصدريته رفعاً للحرج ، والحاجة اليوم داعية الى التوسعة على الكتاب . وقد ذكر لسان العرب « السفساف » مراداً به اسم الفاعل مؤنثاً بالتاء ، قال : « والسفسافة : الريح التي

تجري فويق الارض » اه فاذا جاز تأنيث السفساف وهو في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ، فلمَ لايجوز تثنيته وجمعه مجرداً عن معنى المصدرية ؟ والامران سواء . وقد سمع جمع المصدر غير مختوم بالتاء ، فاذا جمعنا المصدر لانكون خرجنا على اصول العربية . فعلى هذا يجوز جمع « السفساف » على ما تجمع عليه نظائره قياساً وهو « فعاليل » فنقول « سفاسيف » لا « سفاسف » وانما قلنا انه في الاصل مصدر لان قياس مصدر فعللَ « الفعللة » بفتح الفاء و « الفعلال » بفتحها وكسرها : كالزلزلة والزلزال والوسوسة والوسواس . وقد ورد « سفسف » قال في لسان العرب : « المسفسفة والسفسافة : الريح التي تجري فويق الارض . قال الشاعر :

« وسفسفت مُلاّحَ هَيْف ذابلا [1] » اي طيرته على وجه الارض » اه

وقياس مصدر سفسف « السفسفة والسفساف » وقد صرّح بالسفسفة لسان العرب حيث قال : « والسفسفة : انتخال الدقيق بالمنخل ونحوه » اه وهذا لايمنع ان يكون السفساف اسماً كما يكون مصدراً وقد قلنا ان قياس جمعه مراداً به الاسم « سفاسيف » ولك ان تجمعه على « سفاسفة » كجحجاح وجحاجحة وغطريف وغطارفة بحذف المد وتعويض التاء منه . ولم يذكر احد من اهل اللغة « السفاسف » جمعاً

(١) الملاح : نبات من الحمض ، والهيف : الريح الحارة ، او هي ريح حارة تأتي من جهة اليمن . وقيل : هي كل ريح حارة ذات سموم تعطش وتيبس . واضاف الملاح اليها لمناسبة انها تيبسه .

لسفساف ولا لغيره ، بل لم يتعرضوا لها ، اذ لو كان لها مفرد لكان « سفسفاً » وليس في كلامهم « سفسف » الا اسماً لابليس . ولضرب من النبت في لغة يمانية . ونرى انه مخفف من سفساف . وفي القاموس اسم ابليس السفيف بوزن امير . وذكر اللسان الاسمين . وقياس ما كان على وزن « فعلال » وما اشبهه ان يجمع على « فعاليل » واما « الزلازل والوساوس والبلابل » فانما هي جمع « زلزلة ووسوسة وبلبلة » وليست جمعاً لزلزال ووسواس وبلبال ، كما قد يتوهم .

فالخلاصة ان « السفاسف » لا اصل لها في الاستعمال ولا في القياس . والافصح ان يستعمل السفساف مفرداً كما ورد في الحديث . وسنذكره ولك ان تجمعه على « سفاسيف وسفاسفة » تتبع في ذلك قياس نظائره وان لم يذكروا له جمعاً . ومن زعم ان « فعلالاً » يجمع على « فعالل » فقد خالف السماع والقياس وعلماء اللغة والتصريف . وما ورد من ذلك مجموعاً بحذف حرف المد مما يشابهه في الوزن فهو لضرورة الشعر كقوله:

أهمّ بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا: تعدَّ واغزُ وسط الاراجل

قال في اللسان في مادة (رجل) : قال ابن بري : « الاراجل هنا جمع « أرجال » وأرجال جمع راجل مثل صحب واصحاب واصاحيب ، الا انه حذف الياء من « الاراجيل » لضرورة الشعر » اه اقول اما النثر فلا ضرورة فيه ، لذلك قالوا ان المفاتح جمع لمفتح لا جمع لمفتاح لان جمع هذا مفاتيح . أمّا اجازة بعضهم مثل ذلك فلم يلتفت اليه المحققون

واما معنى السفساف فقال في اللسان : « والسفساف ما دق من

التراب . والمسفسفة : الريح التي تثيره . والسفساف : التراب الهابي . وسفساف الشعر (بكسر الشين) رديئه . وشعر سَفساف : ردي. . وسفساف الاخلاق : رديئها ، شُبهت بما دق من سفساف التراب . والسفساف : الردي. من كل شي. . وكل عمل دون الاحكام (بكسر الهمزة) سفساف . وقد سفسف عمله » اه اي لم يُحكمه . ونحو ذلك في القاموس . وفيه : « وسفسف : انتخل الدقيق . وسفسف عمله : لم يبالغ في إحكامه . وقال في مختار الصحاح : « والسفساف الردي. من كل شي. ، والامر الحقير . وفي الحديث : « ان الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها » وفي رواية : ويبغض » اه قلت : وهي رواية النهاية لابن الاثير . وفي النهاية « وفي حديث آخر : « ان الله رضي لكم مكارم الاخلاق وكره لكم سفسافها » قال : وهو الامر الحقير والردي. من كل شي. ، وهو ضد المعالي والمكارم . واصله مايطير من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا أثير » اه فانت ترى ان السفساف ورد في الحديثين مفرداً في مقابلة جمع مذكور معه. وفي هذا دليل على ان استعماله مفرداً اولى وافصح ، وهو في مقام الجمع يفيد معنى الجمعية كما يفيد معنى التثنية في مقامها ، وكما يدل على المذكر والمؤنث بلفظ واحد كما هو شان المصادر .

فان قيل : ألا يجوز ان تكون « السفاسف » جمعاً لسفسف مخففاً من سفساف ؟ قلت : لو جاء السفسف في كلامهم لجاز ، لكنه لم يرد مخففاً ، ولو لم تُقيد اللغة بالكتابة والرواية لخففوه كما خففوا غيره قبل

تقيدها . ألا ترى انهم قالوا « السفساف والسفسفة » وهل هـذه الا مخففة من « السفسافة » ولولا ان قُيدت لغة العرب لصارت الى اسقاط المدود ، ولرأينا كثيراً من الجموع والمصادر وغيرها عـلى غير الصيغ الحاضرة .

وان قيل : الا يجوز ان تكون جمعاً للسفسفة مصدر « سفسف » ؟ والمصادر المختومة بالتاء تجمع قياساً كما ذكرت آنفاً . بل جوّزت جمع كل مصدر لم يُرَد به معـنى المصدرية . وقياس جمعها « السفاسف » كالزلزلة والزلازل والوسوسة والوساوس . قلت : لما خرجوا بالسفساف عن معنى المصدرية وارادوا به معاني أخر تقرب من معناه الاصلي ، اجزنا جمعه بهذا الاعتبار . وقلنا ان الاولى بقـاؤه مفرداً كما ورد في الاستعمال هكذا . واما « السفسفة » فلم نكد نراهم استعملوها الافي سفسفة الدقيق اي انتخاله ، وسفسفة الريح اي جريانها فُويق الارض وسفسفة العمل اي عدم احكامه . فلم يخرجوا بها عن معنى المصدرية واما « السفساف » فاخرجوه الى معان عدة كما رأيت . لهـذا اجزنا جمعه ولم نُجز جمعها . فان قيل : ان الناس قد اخرجوا السفسفة عن معنى المصدرية الى معنى دنيء الامور وحقيرهـا ورديئها ، وجمعوها على « السفاسف قياساً ، كما اخرج اسلافهم معنى السفساف الى هذا المعنى . افلا يجوز لهم ذلك ؟ قلت لست ممن يلجأ الى الاعنات والتضييق ، وخصوصاً بعد اشتهار « السفاسف » لكني اميل الى استعمال المفرد المشهور (السفساف) فان ابى الناس الا ما تعودوه قلنا لهم ان اجدادكم

العرب لم يكونوا يعرفون «السفاسف!!!»

وقد آن لنا ان نبين ما ربما كان منشأ الوهم في « السفاسف » وذلك ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس : « اني اخاف عليك سفاسفه » قال ابن الاثير في النهاية : هكذا اخرجه ابو موسى في السين والفاء ولم يفسره . وقال : ذكره العسكري بالقاف والفاء، ولم يورده ايضاً في السين والقاف . والمشهور المحفوظ من حديث فاطمة انما هو « اخاف عليك قسقاسته » وهي العصا . فاما « سفاسفه » و« سقاسقه » بالفاء والقاف فلا اعرفه » اه فانت ترى الاضطراب في رواية الحديث، وان المشهور المحفوظ « قسقاسته » بقافين وسينين ؛ فلا شاهد فيه . وقد نقل صاحب اللسان كلام النهاية وسكت عنه والسكوت اقرار .

ومما يؤيد ان الرواية الصحيحة هي « قسقاسته » لا « سفاسفه » ما جاء في النهاية في مادة (قسقس) قال : « في حديث فاطمة بنت قيس : قال لها : أمَّا ابو جهم فاخاف عليك قسقاسته . القسقاسة : العصا . اي انه يضربها بها ، من القسقسة وهي الحركة والاسراع . وقيل : اراد الأسفار ، يقال « رفع عصاه على عاتقه » اذا سافر ، و « ألقى عصاه » اذا اقام « اي لا حظَّ لك في صحبته لانه كثير السفر قليل المقام ». وفي رواية : « اني اخاف عليك قسقاسته العصا » اي تحريكه اياها ، فزاد الالف ليفصل بين توالي الحركات » اه وفي لسان العرب في مادة (قسس) والقسقاس : العصا . وقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين خطبها ابو جهم ومعاوية : « اما ابو جهم

فاخاف عليك قسقاسته » القسقاسة : العصا . قيل في تفسيره قولان: احدهما انه اراد قسقسته اي تحريكه اياها لضربك ، فأشبع الفتحة فجاءت الفاً (اي اشبع فتحة القاف الثانية من القسقسة مصدر قسقس فصارت قسقاسة) والقول الآخر انه اراد بقسقاسته عصاه . ثم اورد اللسان كلام النهاية الذي ذكرناه . اقول وتفسير « اخشى عليك قسقاسته » بأخشى عليك اسفاره اقرب . وهذا من كنايات العرب .

***

نقد الصفحة الرابعة والثلاثين

٦٢ - المواطن

وجعل منه « المواطن » اسم فاعل من « واطنه » اي ساكنه .

قلت: القياس لا يأباه وان لم يذكره اللغويون بهذا المعنى . ولا بأس باستعماله قياساً على « ساكنه وجاوره » ولا غضاضة على اللغة في أن يستعمل الكتاب كلمات اشتهرت بينهم لم تكن خارجة عن القياس الصحيح والاشتقاق المقبول . ولا يضام الناس ان تجري على اقلامهم الفاظ مأنوسة واضحة المعنى ، مطابقة للقياس ، موافقة لمناهج العرب في كلامها .

***

نقد الصفحة السادسة والثلاثين

٦٣ = اسوة حسنة في كذا

وجعل منه « لنا اسوة حسنة في كثير من النقاد » قال : « اسوة حسنة بكثير من النقاد »

قلت : ما يقول الاستاذ في قوله تعالى في القرآن الكريم : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » وقوله : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه » وقوله : « لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة » اظن ان في هذه الآيات برهاناً قاطعاً لا يحتاج معه الى دليل آخر . ونعتقد ان الاستاذ لو اطلع على هذه الآيات لم يجر قلمه بالانتقاد . وفي الاساس « في فلان اسوة » وفي اللسان والتاج : « لي في فلان اسوة ، اي قدوة » ويجوز في الاسوة والقدوة ضم اولها و كسره .

والامر الذي دعا الاستاذ الى النقد أنه رأى فعل التأسي والائتساء في كتب اللغة متعدياً بالباء ، فقد قالوا : « ائتسى به وتأسى به » اي جعله اسوة واتبع فعله واقتدى به ، و « أسوته به » اي جعلته له اسوة . فلما رأى قول الكتّاب : « لنا اسوة حسنة في كثير من النقاد » ظن ان « في » هنا للتعدية وقد استعملها الكتاب مكان الباء فغلّطهم بهذا الاستعمال . و « في » هنا لم تخرج عن معنى الظرفية .

ولا تجوز الباء هنا (في الآيات السابقة وفي قولهم : لنا اسوة

حسنة في كثير ' اي لا يقال : بكثير) لانها حينئذ تكون ولا متعلق لها . وتعلقها بالاسوة غير جائز لوجوه :

الاول : ان الاسوة هنا اسم خالص للاسمية مجرد عن معنى الحدث فلا يعمل في غيره . قال صاحب الكشاف في تفسير (سورة الممتحنة) عند قوله تعالى : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم » : الاسوة اسم المؤتسى به ' اي كان في كلامهم مذهب حسن رضيّ بان يؤتسى به ويُتبع اثره » اهـ وهذا نص صريح على انها في مثل هذا الاسلوب من الكلام اسم خالص

الثاني : لو سلمنا ان « الاسوة » هنا مصدر كالائتساء والتأسي لم يجز تعلق الجارّ بها في مثل هذا الكلام لان من شرط إعمال المصدر ان لا يكون موصوفاً قبل العمل (وتعلق الظرف بالفعل او شبهه ضرب من العمل فيه كما لا يخفى) والاسوة في كلامهم وفي آية : «قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم » موصوفة قبل العمل ' لتقدم الصفة وهي « حسنة » على المعمول (اي الجار والمجرور) حتى انك لو وضعت « الائتساء » نفسه وهو مصدر مكان الاسوة لما جازت الباء ' لما علمت .

الثالث : ان قلت : « لي في فلان اسوة » احتمل معنيين : الاول انك تجعله موضعاً للقدوة ووعاء لها وظرفاً ' اي ان فيه خصلة من حقها ان يُؤتسى بها وتُتبع ويُقتدى بها . الثاني انك تجعله نفس القدوة ' اي انه هو في نفسه اسوة يُقتدى بها وقدوة تُتبع ' وانه

هو مؤتسى به ومتبع فيجب التأسي به واتباعه ، وذلك كما تقول « في هذا الخاتم مثقالاً ذهبٍ ، اي هو هذا القدر من الذهب . راجع ما قاله الكشاف والبيضاوي في قوله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة في (سورة الاحزاب) فلو وضعت الباء موضع «في» في مثل هذا المقام لم تحتمل الا الظرفية تجوزاً (اي معنى في) لانها هي المعنى الذي يقتضيه الاسلوب .

بقي علينا ان ننظر في متعلق حرفي الجر (اللام وفي) في مثل هذا التركيب : فاسوة في الآيات اسم لكان . (واللام وفي) متعلقان بخبرها المقدر . واسوة في قولهم « لنا اسوة حسنة في كثير » مبتدأ و«لكم وفي كثير » متعلقان بخبره المقدر . وهذا الاعراب على حد ما تقول : « كان لك في غير هذا فائدة — ولك في هذا عبرة — ولك في سيرة الماضين موعظة — ولك في قلبي منزلة »

نقد الصفحة الثامنة والثلاثين

٦٤ = تقدير الخبر بعد مجرور « ربَّ »

واعترض على الشاعر في قوله :

فربَّ مصفد منهم وكانت   تساق له الملوك مصفدينا

قال رب حرف جر زائد [1] . والمجرور بعدها مرفوع محلاً على الابتداء و (منهم) صفة مصفد . ولا يجوز تقدير الخبر . بل يجب حذف الواو فتكون جملة « كان » خبر المبتدأ »

(١) والصواب شبيه بالزائد . ولعلّ كلمة شبيه قد سقطت في الطبع .

اقول : اليس قول هذا الشاعر الحديث مثل قول اخيه القديم :

الا ربَّ مولود وليس له اب وذي ولد لم يَلْدَهُ ابوان

وما المانع من تقدير الخبر في بيت ذاك كما هو مقدر في بيت هذا وسيأتيك مزيد بيان وفضل شرح لهذين البيتين .

على انه لم يقل احد بعدم جواز تقدير الخبر بعد مجرور رب . بل الواقع خلافه ، فقد نصوا على ذلك . ومن ابيات الشواهد :

ربَّ رفد هرقتهُ ذلك اليومَ وأسرى من معشر أقيال

قال العيني في شرح الشواهد الكبرى عند شرحه هذا البيت واعرابه : « رب » حرف جر ، و« رفد » مجرور به ، و«هرقته» جملة من الفعل والفاعل والمفعول وقعت صفة لرفد ؛ و«اسرى » عطف على قوله « رفد » و « من معشر » يتعلق بمحذوف ، اي واسرى كائنين من معشر ، وهي صفة لاسرى ، و« اقيال » صفة لمعشر . والتقدير : رب رفد مُهراق ضممته الى اسرى ، ورب اسرى كائنين من معشر اقيال ملكتهم . قال : والاستشهاد فيه على ان « رب » استعمل فيه للتكثير . وفيه استشهاد آخر وهو حذف جواب «رب» وذلك في قوله « رب رفد هرقته » اي « رب رفد مهراق ضممته الى اسرى » اهـ

وقال البغدادي في « خزانة الادب» وهي شرح شواهد الكافية عند شرحه هذا البيت ما خلاصته : هذا شاهد على ان الاكثر مراعاة الاصل في وقوع صفة مجرور « رب» جملة فعلية . فجملة « هرقته » صفة « لرفد » ولا جواب لرب ، لان معنى الكلام تام لا يفتقر الى شي .

سوى الصفة » اه المراد منه

فانت ترى انه يجوز حذف جواب رب الذي هو خبر المبتدأ المجرور بها لفظاً . وانت خبير انهم جعلوا الجملة صفة وقدروا الخبر مع امكان جواز جعلها خبراً هنا ، لان البلاغة المعنوية تقتضي ذلك ، لِما فيه من افادة تمكين المعنى في نفس السامع .

وجواب « رب » في بيت الشاعر الذي انتقده الاستاذ مقدر ، وهو خبر المبتدأ . والتقدير : فربّ مصفد منهم فعلوا به كذا و كذا . ولك ان تستغني عن التقدير كما قال البغدادي والمحققون من العلماء ، لان الكلام تام لا يفتقر الى شيء بعده . ولك ان تجعل مجرور « رب » هنا فى موضع النصب على انه مفعول بـه لفعل محذوف ، والتقدير « وربَّ مصفد منهم رأيت » فيسقط بذلك الاعتراض من اساسه . والواو في قوله « وكانت » هي واو الحال ، والجملة حال من مصفد ، كما هي في قول الشاعر :

الا ربَّ مولودٍ ، وليس له اب   وذي وَلَدٍ لم يَلْدَهُ ابوان

قال السيوطي في شرح شواهد المغني جملة « وليس له اب » حالية او صفة ، والواو لتأكيد الصفة بالموصوف اه

والكلام في قول الشاعر الحديث على تقدير « قد » لان الجملة الماضيّة الحالية المثبتة التي لم تقع بعد « الا » ولا قبل « او » تلزمهـا « قد » ظاهرة او مقدرة على رأي البصريين الا الاخفش . فالظاهرة

كما في قوله تعالى : « وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا » وقول امريء القيس :

فجئتُ وقد نَضتْ لنوم ثيابها   لدى الستر الاّ لبسةَ المتفضلِ

والمقدرة كقوله تعالى : « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا » اي وقد قعدوا ، فالجملة حال من الواو في « قالوا » ، قال البيضاوي في تفسيره : « حال مقدرة بقد ، اي قالوا لاخوانهم قاعدين عن القتال » اه وقوله عز وجل : « قالوا ، واقبلوا عليهم : ماذا تفقدون »

اما الجملة الماضية المنفية فتمتنع فيها قد ، فلا يقال : « جئت وما قد طلعت الشمس » بل « جئت وما طلعت » — وكذا تمتنع في الماضية المثبتة الواقعة بعد « الاّ » او قبل « او » فالاولى كقوله تعالى : « ما يأتيهم من رسول الاّ كانوا به يستهزئون » وشذ قول زهير :

نعم امرءًا هرم لم تعرُ نائبة   الاّ وكان لمرتاع بها وزَرا

والثانية كقول الشاعر :

كن للخليل نصيراً ، جار او عدلا   ولا تشحَّ عليه جاد او بخلا

وحيث امتنعت الواو امتنعت « قد » ايضاً وحدها او مع الواو ، فلا يقال « ما جئت الا قد طلعت الشمس » و « ما جئت الا وقد طلعت [1] » وشذ قول قيس بن الخطيم :

متى يأت هذا الموت لم يلف حاجة   لنفسي الاّ قد قضيتُ قضاءها

ثم ان مذهب البصريين الا الاخفش لزوم « قد » مع الماضي

(١) قال الرضي : « ان الواو وقد » قد يجتمعان بعد « الاّ » نحو « ما لقيته الا وقد اكرمني » كما في حاشية الصبان على الاشموني لكن هذا ليس بالمختار.

المثبت الذي لم يقع بعد « الا » ولا قبل « او » لزوماً مطلقاً ، سواء أربط بالواو وحدها ، نحو « جاء زيد وقد طلعت الشمس » ام بالضمير وحده ، نحو « جاء زيد قد سافر ابوه » ام بالواو والضمير معاً ، نحو « جاء زيد وقد سافر ابوه » . فان لم تكن ظاهرة فهي مقدرة ، كما في قوله تعالى : « او جاؤوكم حصرت صدورهم » اي قد حصرت ، وقوله « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا » اي وقد قعدوا .

ومذهب الكوفيين والاخفش من البصريين لزومها مع المرتبط بالواو وحدها (اي حيث الرابط الواو وحدها ولا ضمير يعود على صاحب الحال) نحو « جاء زيد وقد طلعت الشمس » في هذه الصورة وحدها تلزم « قد » جملة الماضي الحالية هي والواو معاً . ويجوز اثباتها وحذفها في الجملة المرتبطة بالضمير وحده ، او بالضمير والواو معاً . ومذهبهم هو المختار الذي عليه المحققون من العلماء ، لكثرة وقوعها حالا بدون « قد » والاصل عدم التقدير لا سيما فيما كثر استعماله (راجع الاشموني وحاشية الصبان عليه ومبحث « قد » في مغني اللبيب والباب الخامس منه في مبحث حذف « قد ») . فمثال حذفها مع المرتبطة بالضمير وحده قوله تعالى : « هذه بضاعتنا رُدَّت الينا » وقوله : « او جاؤوكم حصرت صدورهم » . ومثال حذفها مع المرتبطة بالواو والضمير معاً قوله تعالى : « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا » وقوله : « قالوا واقبلوا عليهم : ماذا تفقدون » وقوله : « أنؤمن لك واتبعك الارذلون » ومثال اثباتها مع المرتبطة بالضمير دون الواو قول النابغة الذبياني :

وقفت بربع الدار قد غير البلى   معارفها والسارياتُ الهواطلُ

ومثال اثباتها مع المرتبطة بالضمير والواو معاً قوله تعالى : « أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون » . ومن حذفها مع المرتبطة بالضمير وحده دون الواو قول ابي صخر الهذلي :

واني لتعروني لذكراك هزة   كما انتفض العصفور بلّله القطرُ

وقول لبيد بن ربيعة :

وتضيء في وجه الظلام منيرة   كجمانة البحري سُلّ نظامها

ويجوز في جملة « بلّله القطر » ان تكون صفة للعصفور ، وفي جملة « سل نظامها » ان تكون صفة لجمانة ، باعتبار أنّ مصحوب « ال » الجنسية في حكم النكرة ، اي كما انتفض عصفورٌ بلّله القطر ، وكجمانة بحريٍ سُلَ نظامها . كما قالوا في قوله :

ولقد امرّ على اللئيم يسبني   فمضيت ثُمّت قلتُ : لايعنيني

حيث جعلوا جملة « يسبني » صفة للئيم ، وجوزوا ايضاً ان تكون حالاً باعتبار التعريف اللفظي . وكلاهما جائز . وجعلها حالاً اولى من جهة اللفظ ، وجعلها صفة اليق من ناحية المعنى .

ثم ان الكثير من جهة الاستعمال في الجملة الماضية المثبتة التي لم تقع بعد « الا » ولا قبل « او » ان تقترن بالواو وقد والضمير . ويقل تجردها من الواو وقد معاً . واقل منه تجردها من « قد » دون الواو (وهذه الصورة تماثل قول الشاعر الذى انتقده الاستاذ ، وقد جاءت

في القرآن الكريم كما علمت) واقل من هـذا تجردها من الواو دون « قد » وقد تقدمت امثلة ذلك كله .

فان لم يكن ضمير يربطها بصاحب الحال وجبت الواو و « قد » معاً ، نحو « جاء زيد وقد طلعت الشمس » فلا يقال جاء زيد طلعت الشمس » ولا « جاء قد طلعت » لخلو الجملة الحالية حينئذ من الرابط (اي الضمير او واو الحال) ولا يقال : « جاء زيد وطلعت الشمس » لان « قد » تلزم مع الواو بالاجماع حيث لا رابط الا الواو وحدها .

٦٥ - الاعتراض على عمرو بن كلثوم

وقد اعترض الاستاذ على الشاعر المتقدم ذكره ايضاً في قوله السابق :

فرب مصفد منهم وكانت   تساق له الملوك مصفدينا

قال : « ورود كلمة (تساق) بالتأنيث و (مصفدين) بجمع المذكر السالم مخالف للاصول . والصواب : كان الملوك يساقون مصفدين او كانت الملوك تساق مصفدة ومثله قوله :

واصبحت الرعاة بكل ارض   على حكم الرعية نازلينا

قال : والصواب واصبح الرعاة نازلين او اصبحت الرعاة نازلة . قال : وقد مر مثل ذلك لعمرو بن كلثوم في معلقته حيث يقول :

اذا بلغ الفطام لنا صبي   تخر له الجبابر ساجدينا

والصواب : « يخر » وقد تكون هذه من هفوات النسخ » اه قوله

اقول : هذا اعتراض غريب . ولم يقل احد من العلماء بمخالفة ذلك للاصول . ولا ادري من اين اتى الاستاذ بهذا ؟ وقول عمرو بن كلثوم قد اجمع الرواة والشراح على روايته هكذا « تخر له الجبابر ساجدينا » ولم يعترض احد عليه . بل لم يشر واحد منهم الى ان ذلك مخالف للاصول

او انه من تحريف النسخ ونحن نرويه كذلك عن شيخنا الامام العلامة اللغوي المحدث بحر العربية الخضم (الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي) المعروف في مصر بالشنقيطي الكبير ، يوم كنا نتلقى عنه المعلقات السبع في داره بمصر عام واحد وعشرين وثلاثمائة والف للهجرة . والشيخ أعلم علماء عصره في اللغة والادب ، واكثرهم اطلاعاً واوسعهم محفوظاً ، واتقنهم لهما رواية ودراية ، واجلهم تحقيقاً وتدقيقاً . بل لم ترَ الدنيا مثله بعد (ابن منظور) صاحب لسان العرب و (السيد المرتضى الزبيدي) شارح القاموس . ومن يطلع على ما كتبه تعليقاً على كتاب (المخصص) لابن سيده من النقد الصحيح والتحقيق الدقيق يعلم منزلة الشيخ في اللغة والادب .

ثم ان شيخنا هذا (رحمه الله ورضي عنه) يقول : ان الرواية الصحيحة في بيت عمرو بن كلثوم هي :

اذا بلغ الرضيع لنا فطاماً   تخرُّ له الجبابر ساجدينا

وهذا ما نرويه عنه . وهذا ما أثبتناه في كتابنا (رجال المعلقات العشر) وهي رواية الزوزني شارح المعلقات . ورواية الخطيب : « اذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌ » ورواية محمد بن خطاب : « اذا بلغ الفطام لنا رضيعٌ »

فبيتا الشاعرين العصريين صحيحان . ولهما في عمرو بن كلثوم اسوة حسنة .

***

نقد الصفحة التاسعة والثلاثين

٦٦ – النسائم والنسمات والنواسم والنياسم

وجعل منه « النسائم » قال : والصواب « النسمات جمع نسمة ، او النواسم جمع ناسمة ، او النياسم جمع نيسم » اي بوزن حيدر .

قلت : او الأنسام جمع نسم (بالتحريك) ونسيم بوزن (امير) كما في تاج العروس واللسان . اما « النسمات » جمع نسمة (بالتحريك) فليست في شيء من معنى النسيم ، كما ذكر الاستاذ ، وانما هي نَفَس الروح (النفس هنا بفتح النون والفاء) وهي ايضاً الانسان . ولعل النسمة بمعنى الريح او نفسه سرت الى الاستاذ من قول صاحب القاموس : « النسم نفس الروح كالنسمة ، ونفس الريح اذا كان ضعيفاً كالنسيم والنيسم » اهـ فتوهم ان قوله « ونفس الريح اذا كان ضعيفاً » راجع الى النسم والنسمة معاً . وانما هو راجع الى النسم وحده لانه هو المفسر ، وانما ذكر « النسمة » ليدل على اشتراكها والنسم في معنى نفس الروح ، كما هي قاعدة القاموس في مثل ذلك . فالنسمة كالنسم في هذا المعنى وحده . ثم ذكر للنسم معنى آخر وهو نفس الريح اذا كان ضعيفاً ، ويشاركه في هذا النسيم والنيسم » لذلك ذكرهما بعد هذا المعنى ، اي والنسيم كالنيسم في دلالتهما على نفس الريح . ومن تروّى في عبارة القاموس يتضح له هذا . ومن رجع الى

تاج العروس (شرح القاموس) نجدانه لما اراد ان يذكر «نفس الريح» اعاد ذكر «النسم» وحده دون النسمة. ولم يذكر احد من اللغويين فيما نعلم «النسمة» بمعنى الريح او نَفَسه.

واما «النواسم» جمع ناسمة، فلم يذكروها ايضاً، وانما ذكروا «الناسم» بمعنى المشرف على الموت. ولعل الاستاذ اشتقه من «نسمت الريح نسماً ونسماناً» وذلك جائز، وان لم يذكروه، لاننا على رأي من يقول: ماقيس على كلام العرب قياساً صحيحاً فهو من كلامهم.

ولعلّ للاستاذ وجهاً في (النسمات) باعتبار انها جمع (نسمة) بفتح فسكون، للمرة من «نسمت الريح» غير انهم لم يذكروها، كما لم يذكروا (النواسم). والاستاذ يحرص على المنصوص عليه كل الحرص. ولم أرهما في كلام من يُعتَد به من جهة الاستشهاد. كما لا أرى استعمالها خطأ. وانما ذكرتهما لأذكّر الاستاذ أن ليس كل ما أهملوا النصَّ عليه يُحظر استعماله، وانما يُحظر منه ما ليس له وجه صحيح في القياس. وقد استعمل العلامة المقري صاحب (نفح الطيب) النواسم والنسمة (بفتح فسكون) في كتابه قال (ج ١ : ص ٩) «لم أنسَ تلك النواسم، التي ايامها للعمر مواسم» وقال في الصفحة التي بعدها:

اذا نسمة الاحباب منها تنسمت تَطيب بها أسحارنا والأصائل

وقد سمى بعض العلماء كتاباً له (نسمات الاسحار)

***

نقد الصفحة الاربعين

٦٧ — تكرار (بين) مع المظهر

وجعل منه « بين قلبي وبين جفونها » قال : والصواب « بين قلبي وجفونها » بحذف (بين) الثانية ولا تكرر الا مع المضمر « بيني وبينك »

قلت الذي يقتضيه كلامهم أنه يجب تكرار « بين » اذا اقتضى الكلام عطف مضمرين احدهما على الآخر نحو « بيني وبينك » او عطف مضمر على مظهر نحو « بيني وبين زيد » او مضمر على مظهر نحو « بين زيد وبيني » اما في الصورتين الاولين فَلِأَنَّ مصحوب «بين» الاولى مضمر مجرور فلا يعطف عليه الا باعادة الجار . واما في الصورة الاخيرة فلأن مصحوب «بين» الثانية مضمر مجرور ، والمضمر المجرور لا يكون الا متصلاً فلا يصلح عطفه بغير اعادة الجار ، فلا يقال «بين زيد وكَ » تريد « بين زيد وبينك »

اما تكرارها مع غير المضمر (بان كررت في كلام فيه عطف مظهر على مظهر) فمن العلماء من اجازه بقبح (راجع كليات ابي البقاء في مادة بين وسند كره) . ومنهم من اجازه بلا قبح على سبيل التأكيد وهو المعوّل عليه لوروده في فصيح الكلام . قال ابن بري (كما نقله الخفاجي في شرح الدرة) : « اعادة بين هنا جائزة على جهة التأكيد ، وهو كثير في كلام العرب ، كقول الاعشى :

بين الاشج وبين قيس باذخ بخٍ لوالده وللمولود

وقال عدي : « بين النهار وبين الليل قد فصلا »

وقال ذو الرمة :

بين النهار وبين الليل من عقـد على جوانبه الاوساط والهدب

قلت : ومنه قول عنترة :

طال الثواء على رسوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحرمل

فاعادتها مع مضمر واجبة كما علمت ، ومع مظهرين جائزة كما رأيت غير ان الأولى ترك التكرار معها ، وليس تكرارها خطأ صوابه عدمه .

قال الراغب في مفرداته : « ولا يستعمل (بين) الا فيما له مسافة نحو بين البلدين (وعبارة التاج بين البلدان) او له عدد ما : اثنان فصاعداً نحو بين الرجلين وبين القوم . ولا يضاف الى ما يقتضي معنى الوحدة الا اذا كرر (اي مع المضمر) نحو : « ومن بيننا وبينك حجاب – فاجعل بيننا وبينك موعـداً) اه . اقول : اما مع المظهر فالتكرار نحو « بين زيد وبين عمرو » او العطف على مصحوبها بالواو وهو الاولى نحو « بين زيد وعمرو »

وقال في اللسان : تقول « هو بيني وبينه » ولا يعطف عليـه الا بالواو لانه لا يكون الا من اثنين . ثم قال : « وقد علمنا ان هذا الظرف لا يضاف من الاسماء ، الا لما يدل على اكثر من الواحد او ما عطف عليه غيره بالواو دون سائر حروف العطف ، نحو « المال بين القوم ، والمال بين زيد وعمرو » اه

وقال ابو البقاء في كلياته : « بين كلمة تنصيف وتشريك ، حقها ان تضاف الى اكثر من واحد ، واذا أضيفت الى الواحد وجب ان يُعطف عليه بالواو (هذا مع المظهر اما مع المضمر فتكرر مع العطف بالواو) نحو بين زيد وعمرو ، وبين عمر وقبيح (اي بتكرار بين مع المظهر وقد علمت انه غير قبيح) واما « بيني وبينك » فبين فيه مضاف الى مضمر مجرور ، وذلك لا يعطف عليه الا باعادة الجار . وقد جاء التكرار مع المظهر » اه

ولزيادة الفائدة نقول : قد علمت انـه اذا أُضيف (بين) الى الواحد وجب العطف عليه بالواو دون سائر حروف العطف . فلا يقال « المال بين سعيد فخالد » لان « بين » لا يقع الا على اثنين فصاعداً ، فلا ينبغي ان يكون العطف معها الا بالواو ، كما تقول « اختصم زيد وعمرو » ولا يصح ان تقول « فعمرو » ، و كذلك لا يُفرَّق بينهما ، فلا يقال « بين زيد درهم وعمرو » لان كل ما طلب اثنين لم يُفرَّق فيه بين الواحد وصاحبه . واما قول (امريء القيس) في مطلع معلقته :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

فقد قال (ابن هشام) في (المغني) : « زعم الاصمعي ان الصواب روايته بالواو لانه لا يجوز « جلست بين زيد فعمرو » وأُجيب بان التقدير « بين مواضع الدخول فمواضع حومل » كما يجوز بين العلماء فالزهاد » اه

وذكر (الوزير ابو بكر عاصم بن ايوب) في شرح (ديوان امريء

القيس) ان (الاصمعي) رواه «بين الدخول وحومل» بالواو ليستقيم الاسلوب معها . قال : واما من رواه بالفاء فانه جعل (الدَّخول) اسم مكان يشتمل على منازل مفترقة تكتفي به بين ، كأنه اذا قال «بين الدخول» اراد «بين منازل الدَّخول» فيكون الكلام مكتفياً ، فيجوز له ان ينسق (يعطف) بما شاء من حروف النسق (العطف) كما تقول : «نزلنا بين بغداد فالكوفة» ويجوز ان تكون الفاء بمعنى (الى) فيكون المعنى «ان سقط اللوى ما بين الدَّخول الى حومل» كما تقول «هي احسن الناس قرناً فقدَماً» يريدون «ما بين قرن الى قدَم» اه

وقد ذكر (ابو البقاء) في الكليات ان الفاء تكون بمعنى الواو وثم وأو والى وللتعليل والتفصيل . وفي المغني لابن هشام عن بعض البغداديين ان الفاء نائبة عن (الى) وصحت اضافة (بين) الى الدخول لاشتماله على مواضع ، او لان التقدير «بين مواضع الدخول» اه

اقول : ان جعل الفاء هنا بمعنى الواو اولى من كل تقدير ، لانها قد تكون كذلك . قال (ابن هشام) في المغني : «وتارة (تكون الفاء) بمعنى الواو كقوله : «بين الدخول فحومل»

وفي (المغني) ايضاً : «وقال الفراء : انها (اي الفاء) لا تفيد الترتيب مطلقاً . وقال الجرمي : لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الامطار بدليل قوله «بين الدخول فحومل» وقولهم «مُطرنا مكان كذا فمكان كذا» وان كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد» اه

وكلام الجرمي معقول ، وقول الفراء «انها لا تفيد الترتيب مطلقاً»

مع قوله : « ان الواو تفيد الترتيب » غريب كما قال ابن هشام .

اقول : وكلام الجرمي في جعلها لا تفيد الترتيب في البقاع والامطار يرجع الى جعلها بمعنى الواو في ذلك . وهذا ما نميل اليه فلا يحتاج الكلام معه الى تقدير وتأويل .

فان قيل : ان الشاعر في قوله :

فبينا نحن نرقبه اتانا   مُعلّقَ وفضةٍ وزنادِ راعِ

قد اضاف «بين» الى جملة (نحن نرقبه) وهي لا تضاف الا لما يدل على اكثر من واحد من الاسماء او ما عطف عليه غيره بالواو دون سائر حروف العطف . والجملة لا تضاف الى هذا الظرف . فالجواب ان هنا واسطة محذوفة ، وتقدير الكلام « بين اوقات نحن نرقبه اتانا » اي « بين اوقات رقبتنا اياه » والجمل مما يضاف اليها اسماء الزمان ، نحو « اتيتك زمنَ الحجاجُ اميرٌ ، وأوانَ الخليفةُ عبدُ الملك » ثم انه حذف المضاف الذي هو (اوقات) فصحت اضافة الجملة الى ما كانت (اوقات) مضافة اليه وهو (بين) واذا حذف المضاف قام المضاف اليه مقامه ، كقوله تعالى : « واسأل القرية » اي اهلها (راجع لسان العرب وتاج العروس في مادة بين) ومثل ذلك حديث : « بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل » والتقدير « بين اوقات كوننا عند رسول الله »

والالف في (بينا) زائدة والاصل (بين نحن) فأشبعت الفتحة فصارت الفاً ، كما في اللسان والتاج . ولك ان تكف (بينا) عن الاضافة

بعد لحاق الالف اياها ، كما تُكفُّ (بينما) بسبب (مـا) . ولك ان تجعلهما (اي بينا وبينما) ظرفين للمفاجأة ، ويضافان الى جملة من فعل وفاعل او مبتدأ وخبر ، فيحتاجان الي جواب يتم به المعنى كما عُرف في العربية ، (راجع تاج العروس)

اقول وربما كان كفهما عن الاضافة اولى من اضافتهما ، واولى من تقدير صاحب اللسان والتاج وغيرهما ، لانـه اذا دار الامر بين التقدير وعدمه فعدم التقدير اولى .

نقد الصفحة السادسة والاربعين

٦٨ - التشريع

وجعل منه « التشريع » (بمعنى شرع الانظمة وسن القوانين) في قوله :

انا ام التشريع قد اخذ الرُّو   مان عني الاصول في كل حد

قال : التشريع من انواع البديع . والصواب هنا « الاشتراع »

قلت : غريب ان ينكر الاستاذ « التشريع » هنا بهـذا المعنى ويثبت « الاشتراع » في « ص ١٠ » والاول اولى في الاستعمال لوروده واضحاً في كتب اللغة بمعنى التوضيح والتبيين فيحمل مجازاً على سن الشرائع وبيانها . والآخر (الاشتراع) اشار اليه اللسان والتاج اشارة في مثال لاينطبق على شي، مما نحن فيه (كما علمت في الكلام عـلى المشترع والمتشرع والشارع) « ص ٤٨ »

قال في القاموس : « أشرع الطريق : بينه كشرّعه تشريعاً » اه وهل تشريع الشرائع والسنن والنُّظم (بضم النون والظاء) الا تبيانها

وتوضيحها ؟ واي مانع يحول بيننا وبين استعمال التشريع بهذا المعنى استعمالا مجازياً ؟ وقد استعمل « التشريع » في كتب العلم ، وقلّ من يستعمل « الاشتراع » . فان لم تصرح كتب اللغة بالتشريع بهذا المعنى فهي لم تصرح ايضاً بالاشتراع بهذا المعنى ولا بما يقرب منه كما صرحت به في التشريع . فاجازة الاشتراع وانكار التشريع تحكّم . ولعل « الاشتراع » بهذا المعنى سقط اليه من (اقرب الموارد) وهو لا يوثق به . على اني لا امنع الاشتراع بهذا المعنى كما علمت وان لم يذكروه لان قياس اللغة لا يأباه .

وقد سمى بعض فحول العلماء كتاباً له (تاريخ التشريع الاسلامي) وهو المرحوم العلامة الشيخ محمد الخضري .

ثم ان كلمة « التشريع » مما يستعمله علماء (اصول الفقه) بمعنى تشريع الاحكام ، وهذا شيء من كلامهم : قال الامام الجلال المحلي في شرح (جمع الجوامع) في كلامه على شرح (الكتاب الثاني في السنة) بعد كلام مانصه : (ج ٢ ص ٦٠) « لان الاصل عدم التشريع فلا يُستحب لنا » اه وقال الامام الشوكاني في كتابه (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول) في بحث السنة (ص ٣١) : « اعلم انه قد اتفق من يُعتد به من اهل العلم على ان السنة المطهرة مستقلة بتشريع الاحكام الخ » وقال في « ص ٣٣ » : « القسم الثالث ما احتمل ان يخرج عن الجبلة الى التشريع بمواظبته عليه على وجه معروف الخ » ثم قال بعد كلام : « وفي هذا القسم قولان للشافعي ومن معه : هل

يُرجع فيه الى الاصل، وهو عدم التشريع، او الى الظاهر وهو التشريع» اه ونحو ذلك في كتاب (حصول المأمول من علم الاصول ص ٤٣) فانت ترى انه يسع علماء القانون اليوم ماوسع علماء الفقه واصوله من قبل .

نقد الصفحة الحادية والخمسين

٦٩ — الوجدان والضمير

قال في هذه الصفحة بعد ذكر قول القائل :

وقاض له عقل رصين وخاطر   سريع واقدام وصحة وجدان

« يقصد بالوجدان (بكسر الواو) الضمير ، في حين انه مصدر كالوجود » .

وقال في (ص ٧٢) جاء في القاموس « وتأتي وجد بمعنى علم ، فتكون من افعال القلوب ومصدرها الوجود . ولو ترك الوجود مصدر وجد الاصلية بمعنى ادرك وجعل الوجدان مصدر وجد القلبية لصح اسناد الفعل اليه ، وبالتالي يصح استعمال الوجدان بمعنى الضمير » اه

قلت ليس في القاموس شيء من هذا ، ولم يتعرض الفيروزابادي لمجيء « وجد » بمعنى « علم » و كذا لسان العرب . وما ادري من اين اتى الاستاذ بهذا النص ؟ لاريب ان كتب النحو وبعض كتب اللغة والتفسير ذكرت ان « وجد » تأتي بمعنى علم كما ستعلم .

وانت خبير ان اصل المادة يدل على الاصابة والادراك في الامور الحسية الظاهرة ، فكما نقلوا الادراك الحسي الى الادراك المعنوي القلبي فقد نقلوا الوجدان والوجود الى الادراك الباطني ، ثم الى معنى

الضمير . واي حرج عليهم في ذلك ؟

اما الوجدان مصدراً لوجـد القلبية (اي التي بمعنى علم) فقد ذكر السيوطي في (همع الهوامع) (ج ١ : ص ١٤٩) ان وجد بمعنى علم يتعدى لمفعولين ومصدره « وجدان » عن الاخفش ، و « وجود » عن السيرافي . وقد نقل الزبيدي في مستدرك التاج كلام همع الهوامع ايضاً . اه

ثم انّ الوجدان قد اصبح من المُصطلحات العلمية كما هـو من مصطلحات الصوفية . قال في كتاب التعريفات للجرجاني : « الوجدانيات ما يكون مُدْرَكه بالحواس الباطنة » اه وقد جعلوا من التصديقات البديهية « الحسيات » كالعلم بان الشمس مضيئة والنـار حارة ، و « الوجدانيات » كعلم كل احد بجوعه وشبعه (راجع كتاب محصل افكار المتقدمين والمتأخرين للامام فخر الدين الرازي ص ٦)

قال الراغب في مفرداته : « الوجود اضرب : وجـود باحدى الحواس الخمس نحو وجدت زيداً ، ووجدت طعمه ، ووجدت صوته ، ووجدت خشونته (ووجدت ريحه . وقد سها الراغب عن هذا المثال او ذلك سهو من الناسخ او الطابع) ووجود بقوة الشهوة ، نحـو وجدت الشبع . ووجود بقوة الغضب ، كوجود الحزن والسخط ، ووجود بالعقل او بواسطة العقل ، كمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة . وما يُنسب الى الله تعالى من الوجود فبمعنى العلم المجرد ، اذ كان الله منزهاً عن الوصف بالجوارح والآلات ، نحو « وما وجدنا لا كثرهم

من عهد — وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » اه

ولوجد ستة معانٍ : الاول العلم ، وتتعدى لمفعولين ، كقوله تعالى : « ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى » — الثاني : الاصابة والادراك . وتتعدى لمفعول واحد كقوله عز وجل : « ولم يجدوا عنها مصرفاً » — الثالث : الغضب . وتتعدى بحرف الجر (على) كقولك « وجدت على الرجل » اذا غضبت عليه — الرابع : الايسار اي الاستغناء ولا تتعدى ، كقولك « وجدت » اي صرت ذا مال ، بمعنى ايسرت واستغنيت — الخامس : الحزن . ولا تتعدى ، كقولك « وجدت » اي حزنت . ففي الغنى تقول « وجدت » وفي الحزن تقول « وجدت » ايضاً والقرينة هي التي تعين المعنى المراد (اقول ويقال « وجدت المال » تعديها بنفسها وهذا راجع الى معنى ادراكه واصابته ، ومن لوازم ذلك الايسار والاستغناء) — السادس : الحب . وتتعدى بحرف الجر (الباء) نحو « وجدَ زيد بفلانة » اي احبها (راجع مستدرك التاج) .

فالوجدان بمعنى العلم والادراك القلبيين ثم بمعنى الضمير منقول عن الوجدان الحسي ، اي الاصابة والادراك . كما نقلوا الادراك الحسي الى الادراك القلبي . وقول (همع الهوامع) الذي مرَّ بك : ان الوجدان مصدر لوجد القلبية كما نقل عن الاخفش صريح في المطلوب .

اما الضمير فقد قال الراغب في مفرداته : « والضمير ما ينطوي عليه القلب ويدق على الوقوف عليه ، وقد تسمى الحافظة لذلك ضميراً .

وقال ابو البقاء في (الكليات) : الضمير في اللغة : المستور ، فعيل بمعنى مفعول . أُطلق على العقل لكونه مستوراً عن الحواس . وقال في القاموس وشرحه (تاج العروس) ولسان العرب : « الضمير السر وداخل الخاطر ، والجمع ضمائر . وأضمره اخفاه . وأضمرت الارض الرجل : غيبته إمّا بسفر او موت ، وقال الليث : الضمير . الشيء الذي تضمره في قلبك » ومن معاني الضمير : العنب الذابل . يقال : أطعمونا من ضميركم . وقال الصغاني : هو ماضمر من العنب فليس زبيباً ولا عنباً . وأضمرت في نفسي شيئاً والاسم الضمير . والمضمر الموضع والمفعول . قال الاحوص بن محمد الانصاري :

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ودّ يوم تبلى السرائر
وكل خليط لا محالة انه ... الى فرقة يوماً من الدهر صائر
ومن يحذر الامر الذي هو واقع ... يُصبهُ — وان لم يَهوَهُ — مايحاذر

واضمرت الشيء : اخفيته ، وهوى مضمر وضمر (بفتح فسكون) مخفيّ .

نقد الصفحة الثانية والخمسين

٧٠ = الاغراب والغرباء

قال في (ص ٥٢) بعدذكر قول القائل :

ما انت بالعلم المنشود نرفعه ... فوق الحمى حيثما الاغراب تحتكم
قد ينظم المرء شعراً كلفوه به ... وفي الحشى غير ما يجري به القلم

« الغريب يجمع (على) غرباء . » اه

قلت كان الاستاذ قداجاز في (ص ٢٩) ان يكون الاغراب جمعاً لغُرُب (بضمتين) فكأنه لم يشأ ان يكون هنا كذلك . قال في اللسان : « رجل غُرُب بضم الغين والراء وغريب : بعيد عن وطنه » وقال : « رجل غريب : ليس من القوم . ورجل غريب وغُرُب ايضاً بضم الغين والراء . وتثنيته غُرُبان (بضمتين) قال طهمان بن عمرو الكلابي :

وانيَ والعبسيَّ في ارض مذْحِجٍ غريبان شتى الدار مختلفان
وما كان غضُّ الطرف منا سجيةً ولكننا في مَذحجٍ غُرُبانِ

ومثل ذلك في القاموس وشرحه . وانت خبير ان « فُعُلا » بضمتين يجمع على « افعال » قياساً اسماً وصفة : كعنق واعناق وجنب واجناب . قال ابن الحاجب في (الشافية) : ونحو جُنب (بضمتين) على أجناب » قال الشارح (الرضي) قوله « ونحو جنب على اجناب » فُعل (بضم الفاء والعين) في الصفات في غاية القلة ، فلا يكسر الا على « افعال » وانما اختاروه لخفته » اه ونحو ذلك في شرحها للسيد عبدالله بن محمد الحسيني المعروف بنقره كار .

وان رأيت الناس يقولون : « غريب وأغراب » فانما هو تساهل تبعوا فيه بعض اللغويين في قولهم : « نجيب ونُجب ونُجباء وانجاب » والاخير انما هو جمع النَّجْب بفتح فسكون ، بمعنى النجيب . وكذلك « غريب وغُرباء واغراب » فالاغراب انما هي جمع « غُرُب » وكثيراً ما يتساهلون في امر الجموع . والمدار في ذلك على القياس العرفي .

وان نتابعهم في تساهلهم نقل : « الاغراب جمع غريب » كما قالوا : « الانجاب جمع نجيب ، والاحباب جمع حبيب ، والاشهاد جمع شهيد ، والامجاد جمع مجيد » ونحو ذلك .

وقد نقد الاستاذ « كلفوه به » لان الناظم عدى « كلف » الى المفعول الثاني بالحرف ، وهذا حق ، لانه يتعدى الى مفعوليه بنفسه ، يقال : « كلفته الامر ، وكلفته ما يشق عليه » قال في الاساس : « كلفه الامر فتكلفه » وقال في النهاية لابن الاثير : « كلفه الشيء تكليفاً اذا امره بما يشق عليه » .

وسكت الاستاذ عن تسمية ما ينظمه الانسان مكلَّفاً او متكلفاً شعراً . وانما الشعر ما تشعر به النفس ، فيجري به اللسان او القلم كلاماً صادقاً موافقاً للحق والشعور . وما سوى ذلك فهو نظم . واكثر هذا كذب وزور ورثاء ، وليس من الشعر في شيء .

٧١ - بيتان للكميت

قال : وخير ما نختم به هذا الفصل بيتان للكميت الشهير :

ومن لا يُغمّض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبُ
ومن يتتبع جاهداً كلَّ هفوةٍ يجدها فلا يسلم له الدهرَ صاحب

قال : « جزم (يجدها ويسلم) فيه نظر نترکه لاولي النظر »

قلت : ليس في ذلك نظر : فيجدها مجزوم لانه جواب الشرط و (يسلم) مجزوم بالعطف على الجواب ، والمعنى « من يتتبع كل هفوة فانه يجدها فلا يسلم له صاحب » اي « من تتبع هفوات الناس وجدها فكان من ذلك ان يجفوه الاصحاب فلا يبقى له صاحب ، اذ لا يسلم

من الهفوات والعيوب احد » .

ولعل توقف الاستاذ ناتج من ظنه ان جملة (يجدها) في موضع النعت لهفوة ، واذ ذاك فلا معنى لجزم الفعل . ونقول : لو جعلت نعتاً لم يبقَ من معنى لقوله (يتتبع جاهداً) اذ لا معنى لتتبع الشيء بعد وجوده ولقياه كما لا يخفى ، وانما هو يتتبع هفوات الناس جاهداً باحثاً منقباً ليجدها » .

نقد الصفحة الثامنة والخمسين

٧٢ - السرى والسير

وجعل منه « تسري القوة في الاسلاك » قال : « تسير ، لان سرى لمشي الليل » .

قلت : « تسري » في مثل هذا الاسلوب ، افضل واولى ، وابلغ في المعنى وارشق في اللفظ . ولا يمنع كون « سرى » لمشي الليل ان يُستعمل في كل سير لا يُشعر به . وقد جاء في كتب اللغة والفقه استعماله في غير سير الليل مجازاً مما يقرب جداً من سريان القوة في الاسلاك . قال في اللسان والقاموس : « سرى عرق الشجرة يسري في الارض سَرياً (بفتح فسكون) : دبَّ تحت الارض » وفي التاج « سرى همه : ذهب » وفي المصباح : « قد استعملت العرب « سرى » في المعاني تشبيهاً لها بالاجسام مجازاً واتساعاً . وقال الفارابي : سرى فيه السم والخمر ونحوهما » . وقال السرقسطي : « سرى عرق السوء في

الانسان ». ومن ذلك قول الفقهاء : « سرى الجرح الى النفس » اي ألمهُ حتى حدث منه الموت ، و « قطع كفه فسرى الى ساعده » اي تعدى اثر الجرح و « سرى التحريم . وسرى العتق » بمعنى التعدية . وهذه الالفاظ جارية على السنة الفقهاء وليس لها ذكر في الكتب المشهورة ، لكنها موافقة لما تقدم » اه . وفي المحكم : « واستعار بعضهم « السرى » للدواهي والحروب والهموم » والغالب على مصادر ما تقدم « السراية والسريان (راجع مستدرك التاج في هذه المادة)

والسرى في الاصل سير عامة الليل . وقيل : سير الليل كله . قال ابو زيد : « ويكون اول الليل واوسطه وآخره » يقال منه : سرى يسري سُرًى (بضم ففتح) ومَسْرًى (بفتح فسكون) وسُرْية (بضم فسكون) وسراية (بكسر السين) وسَرى وأسرى بمعنى واحد ، والأخرى لغة الحجاز . وقد جاء بهما القرآن الكريم . قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وقال : « والليل اذا يسر » وقال : « فاسر باهلك » وقال : « فاسر بعبادي ليلًا » (قُرِئَ بقطع الهمزة ووصلها في هاتين الآيتين) . وسرى وأسرى بمعنى . والهمزة ليست للتعدية ، ولذلك عُدّيَ بالباء . وهما بمعنى سار الليل عامته . وقيل : سرى لاول الليل . وأسرى لآخره (كما في الكليات لابي البقاء) . والتأويب : سير النهار كله . والاسآد : سير الليل والنهار كله . والسير يكون في الليل والنهار على الراجح من اقوالهم وليس خاصاً بسير النهار .

وسرى المتعدي بالباء يفهم منه شيئان : احدهما صدور الفعل من فاعله ، والآخر مشاركة الفاعل لما دخلت عليه الباء . فاذا قلت : «سريت بزيد اوسافرت به» كنت قدوجد منك السير والسفر مصاحباً لزيد ومشاركاً له فيه . فاذا ادخلت عليه الهمزة فقلت « أسريت به » افاد إيقاع الفعل على المفعول من غير مشاركة في الفعل ؛ ويكون المعنى « جعلته يسري او صيرته سارياً او حملته على السير » . وقديكون « أسرى » الداخلة عليه الهمزة متعدياً بنفسه . فيكون المعنى إيقاع الفعل بالمفعول لا غير ، فهو كأسرى به من ناحية المعنى (راجع في ذلك كله الكليات وحاشية الجمل على الجلالين في التفسير ولسان العرب والقاموس)

اما قوله تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً » فذكرُ الليل مع ان الاسراء لايكون الا ليلاً للتأكيد كقولهم : « سرت أمس نهاراً والبارحة ليلاً » كما في الصحاح . وقال السخاوي في تفسيره : انما قال ليلاً ، والاسراء لايكون الا بالليل ، لان المدة التي اسري به فيها لاتُقطع في اقلّ من اربعين يوماً فقُطعت في ليل واحد ، فكأن المعنى « سبحان الذي اسرى بعبده في ليل واحد من كذا الى كذا ، وهو موضع التعجب . وانما عدل عن ليلة الى ليل لانهم اذا قالوا : سرى ليلة كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة بالسُّرى ، فقيل « ليلاً » اي في ليل . وقال الزمخشري : « اراد بقوله « ليلاً » بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام

(وبيت المقدس من الشام) مسيرة اربعين ليلة . وذلك لان التنكير قد دلّ على معنى البعضية » وقال نحو ذلك البيضاوي (راجع الكشاف والبيضاوي والتاج ولسان العرب وشرح الدرة للخفاجي)

والسُّرَى يؤنث ويذكر . ولم يحكِ اللحياني فيه الا التأنيث ، كما في اللسان ، كأنهم جعلوه جمع « سُرية » بضم فسكون ، وكذلك قولهم في « الهدى » كأنهم جعلوه جمع « هدية » وعلى تأنيثها شواهد من الشعر مذكورة في كتب اللغة .

ومن « السرى » جاءت كلمة « السريّة » للقطعة من الجيش وجمعها « سرايا » قال في اللسان نقلاً عن التهذيب : واما السرية من سرايا الجيش فانها فعيلة بمعنى فاعلة ، سميت بذلك لانها تسري ليلاً في خفية لئلا يُنذَر بهم العدو فيحذروا او يمتنعوا . يقال « سرّى (بتشديد الراء) قائدُ الجيش سريّة الى العدو اذا جرّدها وبعثها اليهم ، والمصدر التسرية » اه والسرية طائفة من الجيش يبلغ اقصاها اربعمائة . وقيل غير ذلك . يقال : « خير السرايا اربعمائة رجل » وقيل : سميت سرية لان رجالها يكونون خلاصة العسكر وخيارهم ، مأخوذة من الشيء السري اي النفيس . ومنه فلان سريّ من السراة . والاول اقرب واولى . ولا يمنع انها سميت بذلك في الاصل ان تُطلق على كل قسم من الجيش يبلغ عدده عددها او نحوه .

اقول : و « السرايا » بالمعنى المعروف اليوم (اي بمعنى دار الحكومة وقد يلفظونها سراي) اصلها من سرايا الجيش ، سُميت بذلك لانها

كانت مركزاً لسرايا الجيش . ثم صار الناس يسمون كل دار عظيمة سرايا ، خصوصاً اذا كانت من دور الملوك والامراء والعظماء ، تشبيهاً لها بدار الحكومة لعظمها واتساعها .

وكان العرب يسمون مركز الجند « الثُكنة » بضم الثاء وسكون الكاف (ولا تقل ثكنة بفتحهما كما يقول العوام وبعض الخواص) والجمع « ثُكَن » بضم الثاء وفتح الكاف . قال في اللسان : « وثُكن الجند مراكزهم ، واحدها ثكنة . وقال الليث : الثكن مراكز الاجناد على راياتهم ، ومجتمعهم على لواء صاحبهم ، وان لم يكن هناك علَم ولا لواء ، وواحدها ثكنه » اه والثكنة في الاصل الراية والعلَم والعلامة ولما كان مركز الجند لا يخلو في الغالب من راية او علامة يُعرفون بها سُمي « ثكنة » وتجمع ايضاً على « ثُكنات » بضمتين ، او بضم ففتح او بضم فسكون ، كما هي القاعدة في نظائرها . ويسميها الناس اليوم «القشلة والقشلاق» . وفي الحديث « يحشر الناس يوم القيامة على ثكنهم » فسره ابن الاعرابي فقال : على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم . وقيل : على راياتهم في الخير والشر . وقيل : على ماماتوا عليه من الخير والشر .

وفي بيروت (من سواحل الشام) محلة من محلاتها القديمة تدعى « الثكنات » والناس يلفظونها بالتاء المثناة على عادتهم في اكثر الثاءات وهم يفتحونها هي والكاف . وهي في سفح مركز الجند القديم المعروف بالقشلة . ولعلها كانت قديماً مراكز للجنود كما كانت جارتها .

٧٣ – ضغطه وضغط عليه

وجعل منه « عند الضغط عليه » قال : عند ضغطه .

قلت : ذلك جائز . وتعدية « ضغط » بعلى ، وهي بمعنى التضييق المعنوي والتشدد منصوص عليه ، كما ستعلم .

والضغط اصل معناه عصرُ الشيء الى شيء . ومثله الضُّغطة (بفتح فسكون) يقال . « ضغطه يضغطه ضغطاً (من باب فتح) اي زحمه الى حائط ونحوه . ومنه الحديث : « لتُضغطُنَّ على باب الجنة » اي تزحمون ومن المجاز ان يقال « ضغطه » اذا عصره عصراً معنوياً وضيق عليه وقهره . ومنه حديث الحديبية : « لايتحدث العرب أنّا أُخذنا ضُغطة (بضم فسكون) اي عصراً وقهراً . واخذت فلاناً ضُغطة ، اذا ضيقت عليه لتكرهه على الشيء . وفي الحديث : «لايشترينَّ احدكم مال امرئٍ في ضغطة من سلطان» اي قهر وتضييق . والضُّغطة الضيق . والاكراه . والشدة . والمشقة . ويقال : « فعل ذلك ضغطة » اي قهراً واضطراراً ، اي فعله مضغوطاً عليه فيه مضطراً الى فعله . وفي حديث شُريح : « كان لا يُجيز الاضطرار والضغطة » وهو ان يمطل الغريم بما عليه من الدين حتى يضجر صاحب الحق ، ثم يقول له (اي يقول الغريم اي المدين لصاحب الحق) : أتَدَعُ منه كذا وتأخذ الباقي معجلاً ؟ فيرضى بذلك . وقيل هو ان يماطل بائعه باداء الثمن ليحطّ عنه بعضه . وقال النضر : الضغطة : المجاحدة ، يقول : لا أعطيك او تَدَع مما لك عليّ شيئاً . والضغاط (بكسر الضاد) المزاحمة والتضاغط : التزاحم . (راجع

اللسان والقاموس والتاج والاساس والمختار والنهاية لابن الاثير)

أمَّا تعديته بعلى ، وهو بمعنى شدد وضيق وتشدد ، نحو « ضغط عليه » فنصوص عليها ، قال في مستدرك التاج : « ضغط عليه : تشدَّد » وقال في اللسان : « ضغط عليه واضطغط عليه : تشدَّد عليه في غُرْم ونحوه » . والضاغط كالرقيب والامين يُلزَم به العامل لئلا يخون فيما يجبي . يقال : ارسله ضاغطاً على فلان . سمي بذلك لتضييقه على العامل . وفي مجاز الاساس : « وارسلته ضاغطاً على فلان : مهيمناً عليه يتتبع ما يأتي به » اه ومنه حديث مُعاذ : « قالت امرأة مُعاذ له [وقد قدم من اليمن لما رجع عن العمل . وكان عمر رضي الله عنه بعثه ساعياً على بني كلاب او بني سعد بن ذبيان فقسم فيهم . قالت له :] اين ما يحمله العامل من عُراضة اهله ؟ « بضم العين ، وهي هدية القادم من سفره . ورواية النهاية : ما يحمله العمَّال من عراضة اهلهم بالجمع » فقال : كان معي ضاغط » [ورواية التاج والمختار : كان عليَّ ضاغط . ورواية النهاية واللسان : كان معي ضاغط] اي امين حافظ يعني الله عز وجل المطلع على سرائر العباد . وقيل : اراد بالضاغط امانة الله التي تقلّدها ، فأوهم امرأته انه كان معه حافظ يضيق عليه ويمنعه عن الاخذ ليرضيها . وهذا من معاريض الكلام . ومثل هذا القول من حيث الفحوى ما جاء في حديث عمر رضي الله عنه : « بعث بعامل ثم عزله ، فانصرف الى منزله بلا شيء ، فقالت له امرأته : اين مَرافق العمل ؟ فقال لها : كان معي ضَيْزنان يحفظان ويعلمان » يعني الملكين

الكاتبين . والضيزن : الحافظ الامين الثقة . وقد ارضى اهله بهذا القول وعرّض بالملكين . وهو من معاريض الكلام ومحاسنه . والياء في في « ضيزن » زائدة . والضيزن ايضاً الضاغط يكون مع عامل الخراج .

نقول : والعرب ان أشربت فعلاً معنى فعل آخر . عدّوه تعديته (كما فصلنا ذلك فيما مضى) ولما اشربوا « ضغط » معنى التشدد والاشتداد والتضييق عدّوه بعلى كتعدية ضيق واشتد وتشدد بها . ولا ريب ان قول الكتّاب : « عند الضغط عليه » هو من هذا الباب . حتى انه ليجوز لهم ذلك وان لم يكن هناك نص لغوي على جواز هذه التعدية لسبب الاشراب والتضمين في « ضغط » وكذا لما أشربوا « الضاغط » معنى الرقيب والامين عدّوه بعلى كما يتعدى هذان بها

ولهذه المناسبة نقول : ان « ضيق وشدّد » في معناهما الحسي او ما يقرب منه مُعدّيان بانفسهما . فلما ارادوا بهما معنى التضييق والتشدد المعنويين عدّوهما بعلى لمكان الاستعلاء الذي يكون من المضيق والمشدد على المضيق عليه والمشدد عليه . وكذلك « ضغط » كما ذكرنا . ونحو ذلك « تشدد » جعلوها قاصرة اذ ارادوا بها معنى « تقوّى . اوتكلف الشدة . او بخل . فلما ارادوا بها معنى « شدد عليه وضيق عليه » عدوها بعلى . وهكذا « اشتد هو واشتد على خصمه » ونحو ذلك . ومن أمعن في كلام العرب منعماً النظر فيه رأى من ذلك الشيء الكثير . ولابن جني في كتاب الخصائص كلام في التضمين جميل . فليراجع .

***

٧٤ – الدهس والرهس والهرس والدوس والصدم والوطء والدعس

وجعل منه « دهسته السيارة » قال : رهسته او هرسته او داسته او صدمته.

قلت : او وطئته او « دعسته » كما يقول العوام . ودعس لفظ عربي صحيح بهذا المعنى كما سترى .

والرَّهس : الوطء الشديد . يقال « رهسه يرهسه رهساً » من باب فتح ، اي وطئه وطأً شديداً .

والهرس : الدق . ومنه الهريسة . وهرس الشيء يهرسه هرساً (من باب نصر) اي دقه وكسره . وقيل : الهرس دقك الشيء وبينه وبين الارض وقاية . وقيل : هو دقك اياه بالشيء العريض كما تهرس الهريسة بالمهراس . والهريسة والهريس : الحلواء المعروفة . وقيل : الهريس : الحب المهروس قبل ان يطبخ ، فاذا طبخ فهو الهريسة . وصانعها هرَّاس كشداد . وسميت الهريسة هريسة لان البر الذي هي منه يُهرس (اي يُدق) ثم يُطبخ — والمهراس : الآلة المهروس بها ، وهي الهاون وحجر منقور يُدق فيه ، (وهو الجرن في بلادنا) والمهراس ايضاً والجرن : حجر عظيم منقور يُصب فيه الماء ويتطهر منه (ومنه سمي الجرن المعروف في هذه الديار) والجرن ايضاً : البيدر ، والموضع يكون فيه الحب . ومثله الجرين (بفتح فكسر) وفي حيفاء وعكاء من مدن الشام ساحة في داخلهما تسمى « الجرينة » بصيغة التصغير يخزن في مخازنها الحب ويعرض للبيع . ويقال : جرن الحب جرناً (من باب ضرب) اي طحنه ، والمطحون « مجرون وجرين » كما تقول

« مطحون وطحين »

والدَّوس : الوطء بالرجل . ولم يقيدوه بخفة او شدة . والدوس : درس الحب . والمداس والمداسة (بفتح الميم) مكان الدوس . يقال : « داسه يدوسه دَوْساً ودياساً (بكسر الدال في الاخيرة) اي وطئه . ومنه سمي « المداس » بفتح الميم ، لما يُلبس في الرجل . وحكى النووي فيه الكسر ، فكأنه اعتبر فيه انه آلة للدوس لانه يُداس به .

والصدم : ضربُ الشيء الصلب بشيء مثله . وصدمهُ يصدمه صدْماً (من باب نصر) : ضربه بجسده . والتصادم : التزاحم والرجلان يعدوان فيتصادمان ، اي يصدم هذا ذاك وذاك هذا . والجيشان يتصادمان . والسفينتان تتصادمان .

والدَّعس : الطعن بالرمح ومنه سمي الرمح مدعساً . والدعس : شدة الوطء . ودعست الابل الطريق تدعسه دعساً من باب (قطع) وطئتهُ وطئاً شديداً . والدعس : الاثر (قلت : ومنه قول الناس : « لحقه على الدعسة » اي لحقه على الاثر . يريدون تأثّره ، اي تتبع اثره او تتبعه رقيباً عليه وباحثاً منقباً عن اعماله)

واما « الدهس » فلا معنى له هنا . والعوام في قولهم « دعسه » افصح من بعض الخواص في قولهم « دهسه » .

ولا يجوز اطلاق الكلام فيما تقدم من هذه الالفاظ : فلا يُستعمل كل واحد منها في كل موطن من مواطن الوطء . فان كان نوع الوطء مجهولاً عند المتكلم او الكاتب : قال وطئته السيارة او

داسته » وكذا ان كان الوطء خفيفاً . لان الوطء والدوس يستعملان لخفيف الوطء وشديده — وان كان شديداً ولم يكن منه كسر ولا دق ولا جروح قال « رهسته ودعسته » لان الرهس والدعس الوطء الشديد — وان كان منـه دق او كسر او تهشيم او جروح قال : « هرسته » — وان زحمته حتى ازاحته عن موقفه او ممره او رمت به الى ناحية قيل « صدمته » وقد يجوز ان يستعمل احدها مكان الآخر تساهلاً واتساعاً ، غير ان التفريق بينها واستعمال كل لفظ في موضعه اللائق به اولى وافصح ، لانه يُعرب عن الواقع ، ويفصح عن مراد المتكلم او الكاتب ، وهو يدل على سعة بيانهما وبصرهما بالكلام . وان قبلنا هذا التساهل من العامة فلا نتقبَّله من الخاصة .

واما « الخبص » الذي يستعمله العوام ، فان له في اللغة اصلاً ، فانه يقال : « خبصه يخبصه خبصاً » من باب ضرب ، فهو خبيص ومخبوص و « خبصه تخبيصاً فهو مُخَبَّص » (بضم الميم وفتح البـاء مشددة) اي خلطه ، كما في القاموس والتاج . و « خبص الشيء بالشيء » خلطه ، كما في اللسان . ومنه « الخبيص والخبيصة » وهي الحلواء المخبوصة . و « خبص الرجل خبصاً وخبَّص تخبيصاً وتخبَّص واختبص » اذا اتخذ لنفسه خبيصاً . واختبصوا اكلوا الخبيص . واختبص الضيف : طلب الخبيص و « خبص الحلواء يخبصها خبصاً » اذا خلطها وعملها . ويقال لصانعها « خبَّاص » و « المخبصة » بكسر الميم الاداة التي يقلب بها الخبيص كالملعقة ونحوها . — ومن الخبص بمعنى الخلط

يقول العوام « فلان خبص خبصاً » اذا بالغ في الشيء ، وهو خبّاص (بوزن شدّاد) ويقولون « خبصها » يريدون معنى « اسرف وبذّر وبالغ » ويقولون : « خبص تخبيصاً ، وهو يخبص في كلامه او عمله تخبيصاً » اي يقول او يفعل على غير هدى ولا روية ، فهو يخلط في ذلك تخليطاً ، كما يستعملون التخليط بهذا المعنى ايضاً والتخليط منصوص عليه . وكل ذلك راجع الى معنى الخلط والتخليط . — ويقولون « خبص » اذا وَحِلَ اي وقع في الوحل ، و « خبص في الوحل » اذا سقط فيه وهذا اظنه صحيحاً ، ولم ارَ من نص عليه . غير اني احفظ فيه شعراً أظنه قديماً ، وقد نسيت اسم قائله وزمنه والموضع الذي رأيته فيه . وهو قوله :

. . . .

صوتُ يدِ العجان في العجين او صوت رجلَيْ خابص في طين

وقبله بيت لم اشأ ايراده ، شبه فيه صوت شيء بصوت يد العجان وهو يعجن ، وصوت رجلي الخابص في الطين وهو ينقلها واحدة بعد اخرى ليتخلص من وحله .

واما الخبص الذي يستعمله العوام بمعنى الدعس والوطء ، كقولهم : « خبصت السيارة او الدابة فلاناً » فهو راجع الى معنى الخلط والمزج وخبص الخبيص . ولذلك يقولون (اي العوام) للشيء الذي هُرس حتى اختلطت اجزاؤه : « صار مثل الخبيصة » . واری انه يجوز ان يقال مجازاً « خبصته السيارة او القطار او الصخرة او نحو ذلك » اذا

دُعس المخبوص حتى كان من ذلك اختلاط اجزائه بعضها ببعض . وهذا تجوُّزٌ صحيح . ونحن في حاجة الى لفظ يؤدي به هذا المعنى .

***

نقد الصفحة التاسعة والخمسين

٧٥ - التطور والتبدل والارتقاء والترقي والتحول

وجعل منه « الاشياء تتطور » قال : « تتبدل او ترتقي تدريجاً . ولم يسمع وزن تفعل (بتشديد العين) من هذا الحرف .

قلت : وازيد على ذلك «تتحول وتترق وتتغير» ، وانت ترى ان كل هذه الالفاظ لاتقوم مقام « تتطور » ولا تفي بالمعنى الذي يراد منها اليوم . فاي حرج على الكتاب في استعمالها ، وان لم يذكرها اللغويون؟ وقد شاعت وذاعت في كتب العلماء وكلام فصحاء الكتاب ، وتقبلها الادباء في كل صقع بقبول حسن ، وجعلها بعض اكابر العلماء جزءاً من اسم كتابه « سر تطور الامم » وهي جارية على قياس اللغة واساليب الاشتقاق فيها . فالطور (بفتح فسكون) معناه الحال والهيئة والتارة ، وقد اشتق الكتاب بالسليقة والحاجة (والحاجة تفتق الحيلة) التطور في الامور المعنوية من الطور بمعنى الحال . وفي الامور الحسية من الطور بمعنى الهيئة . واشتقوه بمعنى الترقي من الطور (بضم الطاء) وهو الجبل ، وهل الرُّقيُّ والترقي والارتقاء

الأ من « الرَّقو » او « الرَّقوة[1] » بفتح فسكون فيهما . ثم اشتقوا منه الرقي والترقي والارتقاء بمعنى الصعود الحسي . ثم عدلوا به عن معنى الترقي الحسي الى الترقي المعنوي : كترقي الفكر وارتقائه ورقيه وترقي الاخلاق والعلوم ونحو ذلك وارتقائها ورقيها . فكذلك درج الخلف على سنة السلف ونهجوا نهجهم ، فقالوا « تطور الشيء » اي ترقى . وتطور اي انتقل من طور الى طور ، اي من حال الى حال او هيئة الى هيئـة او شكل الى شكل . فالامم تتطور ، والاخلاق تتطور ، والافكار تتطور ، والمعارف تتطور ، وكل شيء في هـذا الوجود يتطور حاشا خالقه ومبدعه الذي يطوّره . وها قد جرى على قلمي « طوّره تطويراً » بمعنى نقله من طور الى طور ، غير مختار في ذلك . وانما جرى به القلم ، تُجريه السليقة والحـاجة . فمن يمنعني ان افعل ، وانا لم اخرج على قواعد اللغة واساليبها ، ولم اتعدَّ حد القياس الصحيح الذي تدعمه الفطرة والسليقة السليمتان .

وقد مرت بنا في كلام ابن الاعرابي (في الحاشية) القمزة (بضم

---

(١) الرقوة والرقو : ما اجتمع من الرمل على هيئة تـل او ربوة . ومثله الدعص (بكسر الدال) والقور (بضم القاف) . وقال ابن الاعرابي : الرقوة القمزة (بضم فسكون) من الرمل تجتمع على شفير الوادي . والقمزة من الحصى والتراب : الصوة منه . وهي ايضاً برعوم النبت الذي تكون فيه الحبة . وكذلك هي كتلة من التمر (كما في لسان العرب) وفسر الصوّة (بضم الصاد وتشديد الواو مفتوحة) بالحجر يكون علامة في الطريق ، وجمعه (صوى) بضم ففتح . او الصوى هي الاعلام المنصوبة المرتفعة في غلظ . وفي الحديث « ان للاسلام صوىً ومناراً كمنار الطريق » اي اعلاماً يهتدى بهـا . وقال ابو عمرو : الصوى : اعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها .

فسكون) وهي ما اجتمع من التراب والحصى كالصوة . ولما فيها من معنى الاجتماع اخذوا منها قمز الشيء يقمزه قمزاً [من باب ضرب] اي جمعه . والقمز : الجمع . وقمزه : جمعه بيده . وقيل : اخذه باطراف اصابعه . والناس في بلادنا عندهم لعبة يسمونها « الطيحة والقمزة » ويقولون « قمز فلان » اذا وثب . والقمز هذا لا يكون في الغالب الا من فوق شيء يُعدونه للقمز من فوقه كرمل مجتمع او حصى او نحو ذلك . اخذوا هذا من (القمزة) للرمل المجتمع او الحصى ، لانهم يجمعون ذلك ليقمزوا من فوقه . وقد ينحني احدهم كالراكع فيقمز القامز من فوقه . وقد يستعملون القمز من غير ان يضعوا شيئاً ، وانما يخطون خطين بينهما مسافة ليقمز القامز من فوقهما ، وتراهم لا يسمون كل وثب وقفز قمزاً ، وانما القمز عندهم هو ما ذكرنا . والقمز [بمعنى هذا الوثب] فيه ايضاً معنى الجمع الذي تفيده هذه المادة ، لان القامز تراه يتهيأ ويستجمع قواه قبل ان يثب . فهل هم مخطئون في هذا الاشتقاق البديع الجميل لان كتب اللغة لم تذكره ؟ لا ، ورب الكعبة انهم لمحسنون . ولا حرج على من يستعمله من الخواص في نثر او نظم .

***

نقد الصفحة الستين

٧٦ – الوداع الوداع

وجعل منه « الوداع الوداع » قال : والصواب « وداعاً وداعاً » مفعول مطلق . اسم مصدر من « ودَّع » لامصدر .

قلت : والوداع ايضاً مفعول مطلق لفعل محذوف كوداعاً . فما الفرق بينهما ؟ ألأنَّ الاول محلىً (بأل) والآخر عاطل منها ؟ ولم يقل احد : ان المفعول المطلق يجب تجريده من الالف واللام . قال الامام السيوطي في (همع الهوامع ج ١ : ص ١٨٧) : « الاختصاص في المصدر يكون بأل إما عهدية ، نحو « ضربت الضربَ » تريد ضرباً معهوداً بينك وبين المخاطب ، اي الضرب الذي تعلم . او جنسية ، نحو « زيد يجلس الجلوس » مُريداً الجنس والتنكير . ويكون بالنعت نحو « قمت قياماً طويلاً » او بالاضافة ، نحو « قمت قيام زيد » والاصل « قمت قياماً مثل قيام زيد » حُذف المصدر ثم صفته وقام مقامها المصدر (وهو قيام المضاف لمثل) فأُعرب باعرابه اه . فالوداع في قولهم السابق قد دخلته (ال) العهدية او الجنسية ، والمعنى على الاول « نودعكم الوداع المعهود بيننا ان نودعكم اياه » . وعلى الثاني « نودعكم وداعاً » لان المحلى بال الجنسية في حكم النكرة من حيث معناه ، وفي حكم المعرفة من حيث لفظه ، يجري عليه من الاحكام اللفظية ما يجري عليها : كصحة الابتداء به ومجيء الحال منه ، والاحسن فيه

الرفع على الابتداء وتقدير الخبر ، اي « الوداعُ لكم » ويجوز نصبه على انه مفعول بـه لفعل محذوف ، والتقدير : « زوّدكم [1] الوداع » وهذا اولى من نصبه على المصدرية ، ولا يقلُّ عن الرفع في الافضلية. وعلى كل حال فهو كلام صحيح ليس للخطأ اليه طريق .

٧٧ – كف عن الامر وكفه عنه

وجعل منه « كفَّ شكواك » في قوله :

قصّت جناحي وقالت كُفَّ شكواكا   من ربقة الحب انا قـد عتقنا كا

و « كفي الملام » في قول الآخر :

كفي الملامَ وفكي قيد اسراكِ   كفاكِ ما فعلت بالقلب عيناكِ

قال : كف تتعدى بعن في الفصيح : (كف عن شكواك)

قلت : « كَفّ » فعل يتعدى الى مفعولين : يصل الى احدهما بنفسه، والى الآخر بعن ، نحو « كففت فلاناً عن غيه – وكفَّ عني ملامتك – وكففت السوء عنك – وكف شكواك عني » فهو في الفصيح يصل الى المكفوف بنفسه والى المكفوف عنه بعن . وهو بمعنى دفع ومنع وصرف . وقـد ورد ذلك في افصح الكلام . قال تعالى في كتابه العزيز : « وكف ايديَ الناس عنكم » (الفتح ٢٠)— « وكف ايديهم عنكم » (الفتح ٢٤)— « واذ كففت بني اسرائيل عنك » (المائدة ١١٣) — « حين لا يكفون عن وجوههم النار » (الانبياء ٣٩)

---

(١) زوّد : ينصب مفعولين . وتزود : ينصب مفعولا واحدا ، لان الفعل المطاوع لما ينصب مفعولين ينصب واحداً ، والمطاوع لما ينصب واحداً لازم. قال في اللسان : « زودته الزاد تزويدا فتزوده تزوداً » وقال في مستدرك التاج : « زودته كتاباً ، وتزود من الامير كتاباً الى عامله »

ويجوز حذف المكفوف عنه، تقول: «كففت فلاناً — وكفّ شكواك — وكف الملام» ومنه قوله تعالى في القرآن الكريم: «ألم ترَ الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم» (النساء ٧٦ اي كفوها عن القتال، كما في تفسير البيضاوي) — «عسى ان يكف بأس الذين كفروا» (النساء ٨٣، اي يكفه عنكم) — «ويكفوا ايديهم» (النساء ٩٠، اي يكفوها عنكم، كما في تفسير الجلالين، او عن قتالكم، كما في البيضاوي) فالشاعران نحوا هذا النحو فأوصلا الفعل بنفسه الى المكفوف، وحذفا المكفوف عنه. وهذا جائز كما علمت لان المقام يعينه، فكأنما قالا: «كف شكواك عني — وكفي الملام عني».

ويكون «كف» فعلاً لازماً، تقول: «كففته عن الامر فكف» اي منعته منه فامتنع، وحينئذ يصل الى مفعوله بعن، نحو «كففت عن الامر» اي انصرفت عنه. والحقيقة انه في المعنى متعدٍ وان كان في الصورة لازماً، لان معنى قولك «كففته عن الامر فكف» كف نفسه عنه، ومعنى قولك «كففت عن الامر» كففت نفسي عنه. وان قلت «كف عن الشكوى او عن الملام» فالمعنى كف نفسك عنهما. فهي لم تزل واصلة بنفسها في المعنى الى المكفوف، لكنه مقدر غير مذكور، كما يقدر المكفوف عنه في نحو قولك: «كف عينيك» اي كفهما عن البكاء.

والخلاصة ان «كفّ» يطلب مفعولين: هما الشيء المكفوف والشيء المكفوف عنه. فتارة يُذكران معاً، نحو «كففتك عن

الشيء » . وتارة يُذكر احدهما ويحذف الآخر لقرينة ، نحو « كففت عن الامر » اي كففت نفسي عنه ، ونحو « اكفف دمعك » اي اكففه عن المسيل . وتارة يحذفان معاً ، والمقام يعينهما ؛ فينزل الفعل في هذه الصورة منزلة اللازم ، نحو « كففته عن الشر فكف » اي فكف نفسه عنه . وهذا ما دعا اللغويين ان يقولوا انه قد يأتي لازماً . وهو في الحقيقة متعدّ معنى ؛ لانك اذا قلت : « كففت فلاناً عن السؤ فكف » فالمعنى : كف نفسه عنه .

نقد الصفحة الثانية والستين

٧٨ — الحفيد والاحفاد

وجعل منه « الاحفاد » في قول الشاعر :

كان مجدي وكان حوليَ قومي   وحنين الاولاد والاحفاد
فاذا بي على الحضيض رهين — السجن بين الجنود والاعتاد

قال : « الحفيد ولد الولد ، والجمع حُفدا، لا أحفاد . واسم الجمع حفدة » .

قلت : جمع الحفيد على « حُفَداء » بضم ففتح صحيح . واما الحفدة (بفتحتين) فليست اسم جمع لحفيد ، وانما هي جمع لحافد ، ككاتب وكتبة وقاعد وقعَدَة وكامل وكملة . وجمع الصفة من « فاعل » الصحيح اللام على « فعلة » (بالتحريك) من الجموع القياسية كما لا يخفى . قال في اللسان : « والحَفَد والحفدة : الاعوان والخدمة ، واحدهم حافد . ثم قال : « وحفدٌ وحفدة جمع حافد » :

اقول : اما كون الحفدة جمع حافد فسلم ؛ وأما الحفد فهو اسم جمع لحافد لاجمع له ، لانه ليس في الجموع « فَعَل » بفتحتين ، فما كان منه بمعنى الجماعة فهو اسم جمع . ويؤيد هذا ما ذكره اللسان نفسه في مادة « حشد » قال : « والحشد (بفتح فسكون) والحشد (بفتحتين) اسمان للجمع »

أما الاحفاد فهو جمع صحيح قياسي . غير انه ليس جمعاً لحفيد ، كما قد يُتوهم ، وانما هو جمع لحَفَد (بفتحتين) غير منظور فيه الى الوصفية ، وهذا اسم جمع لحافد . فالحفد غلبت عليه الاسمية ، فصار كأسماء الجموع من الاسماء ، وهي تُجمع كما تُجمع المفردات التي من حدّها ، كشجر واشجار وعجم واعجام وثمر واثمار وتبع واتباع ونهر وانهار[1] . وكما قالوا : جُند واجناد وجنود وقوم واقوام وزهر وازهار ورهط وارهاط .

والحفد اشبه ان يكون مصدر حفد (بفتح الفاء) يحفد (بكسرها) حفداً (بفتح فسكون) وحفداً (بفتحتين) وحفداناً (بفتحتين ايضاً) وقد جُعل اسماً للجمع . يقال : حفد واحتفد ، اذا خفّ في العمل واسرع . وحفدَ : خدم . قال الازهري : الحفد (بفتح فسكون) في الخدمة والعمل : الخفة ، ومنه في دعاء القنوت : « واليك نسعى ونحفد » اي نسرع في العمل والخدمة . وقال ابو عبيد : الحفد : الخدمة والعمل . وقال الليث : الاحتفاد : السرعة في كل

(١) الافصح في النهر فتح هائه ، ويجوز تسكينها .

شي . وفي النهاية : وفي حديث عمر رضي الله عنه : « وذُكر له عثمان للخلافة قال : اخشى حَفَدَه » اي اسراعهُ في مرضاة اقاربه » اهـ فالمادة تدل على معنى الاسراع في العمل ، ومنه سُمي الخادم حافداً لاسراعه في اجابة طلب المخدوم ، وسمي المعين حافداً لاسراعه للمعونة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : « من اعانك فقد حفدك » ومن ذلك قيل لولد الولد « حفيد وحافد » لاسراعهما في خدمة ابويهما . قال في اللسان: « وحفدة الرجل : بناته ، وقيل : اولاد اولاده ، وقيل : الاصهار . والحفيد : ولد الولد ، والجمع حُفَداء . وقال الليث : الحفدة ولد الولد ، وقيل : الحفدة : البنات وهنّ خدم الابوين في البيت » . وقال الزمخشري في مجاز الاساس : « حفدت فلاناً : خدمته وخففت الى طاعته . ورجل محفود : مخدوم مطاع ، وهو حافد فلان ، وهم حفدته اي خدمه واعوانه . ومنه قيل لاولاد الابن الحفدة » وقال في تفسيره (الكشاف) عند قوله تعالى : « والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً ، وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله هم يكفرون » قال : « والحفدة جمع حافد ، وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة . ومنه قول القانت : (اي الذي يتلو دعاء القنوت) « واليك نسعى ونحفد » وقال :

حفد الولائد بينهن [1] وأسلمت بأكفهنّ أزمّة الأجمال

واختلف فيهم ؛ فقيل هم الاختان [2] على البنات (اي الاصهار)

---

(١) ورواية اللسان « حولهنّ » مكان « بينهن » (٢) الاختان : جمع « ختن » بالتحريك . وهو يكون بمعنى الصهر ، اي زوج ابنتك او اختك . وهو ايضاً كل من كان

وقيل : اولاد الاولاد . وقيـل : اولاد المرأة من الزوج الاول » ثم قال : « ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم ، كأنه قيل : وجعل لكم منهن (اي من ازواجكم) اولاداً هم بنـون وهم حافدون ، اي جامعون بين الامرين » اه اقول : والتأويل الاخير في نهاية الحسن . ومن جعل الحفدة بمعنى اولاد الاولاد لم يخطيء المحجة ايضاً ، غير ان في التأويل الاخير معنى جديداً ، اذ اولاد اولادهم اولادهم ايضاً فيدخلون في قوله « بنين » والله اعلم .

ونتيجة القول ان الحفيد ولد الولد خاصة وجمعه حُفداء ، وان الحفدة جمع لحافد لا اسم جمع له ، وان الاحفاد جمع حفد (بفتحتين) وهذا اسم جمع لحافد . والحافد : يكون لولد الولد ، ويكون للخادم ويكون للمسرع في العمل ، ويكون لمن يسرع لمعونتك . ولا يجمع الحفيد على احفاد ، لانه ليس قياس جمعه ، وما ورد من ذلك من نحو نجيب وانجاب ومجيد وامجاد ونحوهما فليس الانجاب والامجاد جمعين لنجيب ومجيد (راجع العدد ٧٠ من هذه النظرات)

٧٩ — العتاد والاعتاد

وجعل منه « الاعتاد » في البيت الثاني من قول الشاعر المتقدم . قال : « العتاد بالفتح ما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب ، جمعه أعتد واعتدة وعُتد (بضمتين) لا اعتاد » .

قلت : الاعتاد جائز مسموع كما ستعلم . قال الراغب في مفرداته « العتاد (بفتح العين) ادخار الشيء قبل الحاجة اليه كالاعداد » وفي

من قبل المرأة كالاب والاخ ، كما في اللسان والقاموس والتاج .

الاساس : « هو عَتاد لكذا اي عُدَّة » وقال في اللسان : « العتاد والعدة ، والجمع اعتدة وعُتد . قال الليث العتاد : الشيء الذي تُعِدُّه لامر ما وتُهيِّئُه له ، يقال : أخذ للامر عدته وعتاده ، اي أهبته وآلته . وفي حديث صفته عليه السلام : « لكل حال عنده عتاد » اي ما يصلح لكل ما يقع من الامور . وفي الحديث ، وقد أُخبر ان خالد بن الوليد منع الصدقة : « ان خالداً جعل رقيقه واعتده حُبُساً (بضمتين) في سبيل الله » الاعتد جمع قلة للعتاد ، وهو ما أعدَّه الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد ، ويجمع على « أعتدة ايضاً » اه

وفي رواية « انه احتبس ادراعه واعتاده » كما في اللسان والنهاية قال بعضهم : والرواية الصحيحة « واعتده » ومعنى ذلك عدم صحة الرواية لا عدم صحة الجمع اللغوي ، كما هو واضح . ولو كان « الاعتاد » جمعاً غير صحيح لتكلموا على فساده لغة كما تكلموا على فساده رواية . وانت تعلم ان العناية بصحيح اللغة كانت بالغة في الصدر الاول منتهاها . ويؤيد ان هذا الجمع صحيح لغةً قول اللسان في تفسير الحديث : « يقول : اذا كان قد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وتقرُّباً الى الله ، وهو غير واجب عليه ، فكيف يستجيز منع الصدقة الواجبة عليه ؟ » فانت ترى ان اللسان قد قال « الاعتاد » وهذا دليل على صحة هذا الجمع .

فالاعتاد ، كما ترى ، جمع صحيح . لكنه ليس جمعاً لعتاد ، وانما هو جمع لعتد (بضمتين) وهذا جمع لعتاد . فالاعتاد جمع الجمع .

لذلك ينبغي استعمالها في مجموعة من اصناف العتاد . والعرب قد تثني الجمع على تأويل الجماعتين او النوعين او الفرقتين ، نحو « الجمالين والبلادين والرماحين » . وقد تجمعه تصحيحاً او تكسيراً : أما تصحيحاً فنحو « بيوتات ورجالات وكلابات وديارات وقُطرات وحُمرات (بضمتين فيهما) وجمالات وصواحبات وصواهلات وافاضلين ونواكسين » وهي جمع « بيوت ورجال وكلاب وديار وقطر وحمر وجمال وصواحب وصواهل وافاضل ونواكس » وهذه جمع « بيت ورجل وكلب ودار وقطار وحمار وجمل وصاحبة وصاهل وفاضل وناكس » وأما تكسيراً فنحو « اكالب واضالع واعابد واسالح واظافير وازاهير وغرابين واقاويل » تجمعها على حدّ ما تجمع عليه المفرد الذي يشاكلها حركةً وسكوناً وعددَ احرف ، وهي « جمع أكلب واضلع وأعبد واسلحة واظفار وازهار وغربان واقوال » . وقد جُمعت تشبيهاً لها بأسوَد (وهي الحية) واساود واجردة واجارد وإعصار واعاصير . والمراد بمشاكلة الحركة مطلق الحركة من غير تقيد بضمة او فتحة او كسرة فأسوَد واعبدُ متشاكلان في الحركة ، وان كانت حركة الواو الفتحة وحركة الباء الضمة . وما كان من زنة « مفاعل او مفاعيل » كافاضل وأيامن ونواكس وصواحب وصواهل ، لم يجز تكسيره ، لانه لا نظير له في الآحاد حتى يحمل عليه فيجمع جمعه . لكنه قد يُجمع بالواو والنون ان كان للمذكر العاقل ، وبالالف والتاء ان كان للمؤنث او للمذكر غير العاقل . وقد تقدمت امثلة ذلك .

وعُتُد (بضمتين) جمع عتـاد، وهي بوزن «عنق» ويجمع هذا على أعناق، فيحمل العتد في الجمع عليه فيقال «اعتاد» وقد علمت ان «الاعتاد» وردت» لكنها جمع «عُتُد» كما ذكرنا لا جمع عتـاد.

وما ذكروه من جمع العتاد على «أعتدة وعُتُد» فهـذا قياس جمعه. اما الاول فلأنّ «افعلة» قياس جمع اسمٍ رباعي مذكر قبل آخره حرف مد: كطعام واطعمة وشراب واشربة وعمود واعمـدة وعتاد وأعتدة — وامـا الآخر فلأن «فُعُلا (بضمتين) جمع قياسي لشيئين: الاول اسم رباعي قبل آخره حرف مـد، لا فرق بين ان يكون مذكراً: كقذال وقُذُل[1] وقضيب وقُضُب وعمود وعُمُد وعَتاد وعُتُد، او مؤنثاً: كأتانٍ وأُتُن[2] وقَلوص وقُلُص[3]. الثاني وصفٌ عـلى «فعول» ليس بمعنى مفعول: كصبور وصُبُر وغيور وغُيُر — اما جمعه على «أعتد» كأفأس فليس قياس جمعه، فهـو جمع نادر. وانما يُجمع على «أفعل» قياساً شيئان: الاول اسم ثلاثي صحيح العين عـلى وزن «فَعْلٍ» بفتح فسكون: كفلس وافلس ونجم وانجم وكف واكفّ ودلو وأدلٍ وظبي واظبٍ. الآخر اسم رباعي مؤنث بغير علامة قبل آخره حرف مـد: كالعناق (بفتح

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس، او ما بين نقرة القفا الى الاذن، وهو ايضاً معقد العذار من الفرس خلف الناصية. ويجمع ايضاً على أقذلة جمع قلة.

(٢) الاتان: انثى الحمار، وتجمع في القلة على آتن.

(٣) القلوص: الناقة الشابة. وتجمع ايضاً على قلاص وقلائص.

العين) والاعنق [١] والذراع والاذرع والعقاب (بضم العين) والاعقب [٢] واليمين والايمن [٣] . والعتاد ، وان كان رباعياً ، فانه مذكر ، فليس « افعل » قياس جمعه ، لكنه جاء على « أعتد » شذوذاً في القياس . قال الاشموني في شرح الالفية : وندر من المذكر طحال واطحل وغراب وأغرب وعتاد واعتد وجنين واجنن » اه

نقد الصفحة الخامسة والستين

٨٠ – أفعال وفُعول من جموع التكسير

جاء في هذه الصفحة قوله : « ومنه ان جمع التكسير لا ضابط له ، وعلى هذا منعوا جمع زهر وزهور وخصم وأخصام ودهر وأدهار ، في حين ان هذا الجمع صحيح مأنوس لابأس من اتباعه . فنقول في جمع زهر ازهار وزهور ، وخصم وأخصام ، وخصوم ، ودهر وأدهار ودهور – مثل شكل وأشكال وشكول ، ونهر وأنهار ونهور ، ونجم وأنجام ونجوم ، ولحن والحان ولحون ، وجفن واجفان وجفون ، وعين وأعيان وعيون ، وبيت وأبيات وبيوت ، وجَدّ وأجداد وجدود » اه

اقول : ان لجموع التكسير ضوابط معروفة في كتب القوم . غير

---

(١) العناق : الانثى من اولاد المعز ، وتجمع ايضاً في الكثرة على عنوق .

(٢) العقاب : طائر من الجوارح ، وهي مؤنثة ، وقيل : تقع على الانثى والمذكر ، وتجمع ايضاً في الكثرة على عقبان (بكسر العين) وجمع الجمع عقابين .

(٣) اليمين : ضد اليسار للجهة والجارحة ، وهي مؤنثة ، وتجمع ايضاً على أيمان ، وتجمع الايمن على « أيامن » والايمان على « أيامين » فهما جمع الجمع ، واليمين ايضاً : القسم ، مؤنثة كذلك ، واصلها من يمين اليد لانهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون ، فسمي العهد والحلف يميناً مجازاً .

ان بعض الجموع قد جاء على غير القاعدة . والشاذ عن القياس لا تُنقض به الاصول . فمتى عرف المتأدب قواعد الجموع يعلم ان جمع خصم ودهر وسهم على « أخصام وأدهار وأسهام » خطأ ؛ وذلك لأن (فَعْلا) بفتح فسكون ، الصحيح العين لا يُجمع على (أفعال) الا شذوذاً . فما ورد منه يُحفظ ولا يقاس عليه : كجدّ وأجداد وزند وازناد وفرخ وأفراخ وفرد وأفراد (راجع كتاب سيبويه ج ٢ : ص ١٧٦) . وأما المعتل العين منه فيجمع على (أفعال) قياساً : كبيت وأبيات وثوب وأثواب وعين وأعيان وشيخ واشياخ . وبهذا تعلم أنَّ تمثيل الاستاذ ببيت وأبيات وعين وأعيان في غير محله ، لأنهما جمعان مقيسان ، فليسا مما نحن فيه . وكذا تمثيله بانهار ، فانها جمع نهر (بفتح الهاء) وفَعَلٌ (بفتح العين) يجمع قياساً على (أفعال) . وكذلك الازهار هي جمع الزهر (بفتح الهاء) والاشكال جمع الشكل (بكسر الشين) لا جمع الشكل (بفتحها) ؛ والكلمة يجوز فيها فتح اولها وكسره . وفِعل (بكسر الفاء) يقاس فيه (افعال) .

أما جمع الزهر على زهور فلم يُسمع ، لانهم اعتبروا فيه انه محرك العين . وما كان على وزن فَعَل (بالتحريك) فليس (فُعُول) قياس جمعه . فان اعتبرت انه بفتح فسكون جاز لك جمعه على (فُعول) قياساً لا سماعاً ، لانه يجمع على هذا الوزن اربعة اشياء : احدها الاسم على وزن فَعْل (بفتح فسكون) ككعب وكعوب وفلس وفلوس وليث وليوث . غير انهم جمعوا الزهر على (أفعال)

بأعتبار الاصل ، لانه على وزن فعَل (بفتحتين) . والزهر كما تعلم يجوز فيه فتح الهاء وإسكانها . ولم ينطقوا بجمعه كما تُجمع عليه نظائره بعد أن خففوه وجعلوه على وزن فعل (بفتح فسكون) . بل اكتفوا بجمعه قبل تخفيفه ، فقالوا (أزهار) جمع الزهر (بفتح الهاء) لا جمع الزهر (بإسكانها) . فان جمعتَ هذا على زهور كان شاذاً في الاستعمال موافقاً للقياس .

(والخلاصة أنّ (فَعْلاً) بفتح فسكون ، الصحيح العين لا يُجمع على (افعال) الا شذوذاً . قال سيبويه في الكتاب (ج ٢ ص ١٧٦) « واعلم انه قد يجيء في فَعْلٍ أفعالٌ مكان أَفْعُل قال الشاعر :

وُجدتَ اذا اصطلحوا خيرهم ... وزَندكَ أثقبُ ازنادِها

وليس ذلك بالباب في كلام العرب » اه

قال الاعلم الشنتمري شارحُ شواهده : « الشاهد جمعه زَنداً على ازناد ، وهو جمع شاذ لان باب فعلٍ (بفتح فسكون) حكمه ان يُكسَّر في القليل على افْعُل الا انه قد شذّ احرف يسيرة فكسّرت على افعال تشبيهاً بفعَلٍ المفتوح العين » اه

ثم قال سيبويه : « والقياس في فَعْلٍ ما ذكرنا واما ما سوى ذلك فلا يُعلم الا بالسمع ، ثم تطلب النظائر كما انك تطلب نظائر (الافعال) هاهنا فتجعل نظير الازناد قول الشاعر :

اذا روَّحَ الراعي اللقاحَ مُعزِباً ... وأمست على آنافها غَبراتُها

قال الشنتمري : « الشاهد فيه جمعُ انف على آناف ضرورة

وقياسها آنفٌ لان باب فعل (بفتح فسكون) في التقليل أفْعلُ كما تقدم » اه

(اقول وما شذ حقيقة من هذا الباب فانما هو مبنيٌّ على مفرده قبل تخفيفه : اي ان مفرده كان محرك العين فخفف باسكانها فحفظ له جمعه الذي كان له قبل التخفيف .)

(و كذلك كل جمع جاء على غير مفرده الحاضر فانما هو محفوظ لمفرده قبل تهذيبه) .

واذا بحث المتأدب بحث مدقق يجد أنْ لا شذوذ في الجموع الا بالنسبة الى مفرداتها التي هي لها الآن . اما في الاصل فهي مبنية على مفردات لا شذوذ في جموعها .

نقد الصفحة السادسة والستين

٨١ - مفعول ومفاعيل كمشهور ومشاهير ونحوهما

يميل الاستاذ الى ان يكون جمع مفعول على مفاعيل قياسياً لا سماعياً كما قالوا .

اقول : مما جعلوه شاذاً في القياس مطرداً في الاستعمال تكسير بعض ما جرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول مما اوله ميم زائدة ولم يُرَدْ به الاسمية . فلا يكسَّر ما كان كذلك ، لان قياسه ان يجمع جمع تصحيح ، لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى . فما ورد منه مكسراً يحفظ ولا يقاس عليه . هذا ما يفهم من كلام المتأخرين من

العلماء. من ذلك ملعون وملاعين ومشؤوم ومشائيم وغيرهما. الا ما كان منه من الصفات الخاصة بالنساء فليس بالشاذ تكسيره، كمرضع ومراضع ومُطفل ومطافل [١] ومشدن ومشادن [٢]. وجوزوا في جمع هذا المؤنث زيادة الياء ايضاً لتكون كالعوض من الهاء المقدرة (اي تاء التأنيث) فتقول: «مراضيع ومطافيل ومشادين»

وكلام ابن هشام في شرح (بانت سعاد) صريح في المنع. قال: « وانما تمتنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير في مسئلتين: احداهما ان تكون على وزن مفعول كمضروب، وشذ نحو ملاعين ومشائيم. والثانية ان تكون الميم مضمومة كمكرم ومنطلق. ويستثنى من هذا « مُفعِل ومُفعَل » المختصين بالمؤنث كمرضع ومكعب، فيجوز تكسيرهما » اهـ

وكلام ابن الحاجب في الشافية ليس فيه تصريح جازم بالمنع. وانما قال: ان باب ذلك التصحيح. قال: « ومضروبون ومكرِمون ومكرَمون استغني فيها بالتصحيح وجاء ملاعين ومشائيم ومياسير ومفاطير ومناكير ومطافل ومشادن ». قال الرضي: « قوله ومضروبون ومكرِمون ومكرَمون اي كل ما جرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول واوله ميم فبابه التصحيح لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى. وجاء

---

(١) المطفل. ذات الطفل من الانس والوحش. واطفلت: صارت ذات طفل

(٢) المشدن: التي شدن ولدها اى قوي واستغنى عن امه. يقال: شدن الظبي وغيره من جميع ولد الظلف والخف والحافر. اذا قوي واستغنى عن امه. واشدنت الظبية شدن ولدها.

في اسم المفعول من الثلاثي نحو ملعون ومشؤوم وميمون ملاعين ومشائيم وميامين ، تشبيهاً بمغرود [١] وململول [٢] . وكذا قالوا في مكسور : مكاسير ، وفي مسلوخة: مساليخ . وقالوا ايضا في «مفعِل» المذكر كموسر ومفطر ، وفي « مفعَل » كمنكر: مياسير [٣] ومفاطير ومناكير . وقال الزمخشري في المفصل : « ومفعول ومفعِل ومفعَل يستغنى فيها بالتصحيح عن التكسير »

فانت ترى ان قولهم هذا لايدل على خطأ من يجمع غير ما ورد من هذا النحو جمع تكسير . غاية الامر ان مجرى الاكثر في كلام العرب جمعه جمع تصحيح ، فالافصح ان ينحى نحوهم .وليس معناه التحجير على من ينحو غير هـذا النحو (وكلام سيبويه الذي ستراه يزيد هذا المقام بياناً وايضاحاً). لذلك لانرى من يقـول « مشاهير ومكاتيب ومشانيق ومحابيس ومواضيع ومجاميع » وغيرها مخطئاً . وانما هو قد نحى غير منحى الاكثر في كلامهم . وقد اشتهر بعض هذه الجموع اشتهاراً يحملنا على قبوله . وهي من الالفاظ الجميلة الخفيفة على اللسان والسمع ، خصوصاً اذا وقعت في تركيب اضافي . وقد ورد لها نظائر عدة غير ما ذكره النحاة كما ستعلم .

هذا وقد جاءت « المشاهير » في كلام بعض المشاهير الموثوق بهم منهم صاحب القاموس في مقدمة قاموسه ، والفيومي في مصباحه ،

(١) المغرود ، بضم الميم : نوع من الكمأة . والجمع مغاريد

(٢) الململول ، بضم الميم : المرود ، وهو الميل الذي يكتحل به والجمع ملاميل

٣ ويجوز ان يكون المياسير ايضا جمع ميسور كما في شرح الشافية لنقره كار.

والميداني صاحب الامثال في كتابه . قال صاحب القاموس : « على اني اذهب الى ماقال ابو زيد: « اذاجاوزت المشاهير من الافعال الخ » قال شارحه الزبيدي : « المشاهير جمع مشهور وهو المعروف المتداول » اه فقد فسر الكلمة ولم يعترض على هذا الجمع . فلو كان خطأً لما سكت عن ذلك . وقال الفيومي في المصباح ، في مادة نجس : « ومشاهير الكتب ساكتة عن ذلك » وقال الميداني في الجزء الثاني (ص ٦١) في شرح المثل: « كيف اعاودك وهذا أثر فأسك؟ »: وهذا من مشاهير امثال العرب اه . والظاهر من عبارة القاموس انه نقل كلام ابي زيد بنصه . وابو زيد من تعلم . ويكفيه فخراً أنَّ سيبويه كان اذا قال : حدثني من اثق بعربيته فانما يعنيه ، وان الخليل كان يرجع الى رأيه (راجع مقدمة شرح القاموس للزبيدي) . على انه ان لم يكن استعمال هؤلاء الائمة المشاهير حجة صريحة فان للكتاب فيهم أسوة حسنة يستأنس بها . ثم ان عدم ورود غير ما ورد من هذه الجموع لاينهض حجة على حصر هذا الامر في السماع . وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم . والحاجة تدعو الى اجازة مثل ذلك مما اشتهر على السنة الفصحاء واقلام الكتاب البلغاء . والا فقد حجّرنا الواسع ، وضيقنا على الادباء المذاهب .

اما سيبويه فالذي يُفهم من كلامه في (الكتاب) ان مجرى الكلام الاكثر في مفعول ومُفعِل ومُفعَل) اي في هذه الثلاثة لا غير ، ان تجمع جمع تصحيح . ولم يصرح ، بل لم يُشر الى منع جمعها

جمع تكسير . وهاك نص كلامه (في كتابه : ج ٢ ص ٢١٠) قال : « والمفعول نحو مضروب ، تقول : مضروبون . غير انهم قد قالوا : مكسور ومكاسير ، وملعون وملاعين ومشؤوم ومشائيم ومسلوخة ومساليخ . شبهوها بما يكون من الاسماء على هذا الوزن [1] كما فُعل ذلك ببعض ما ذكرنا . فاما مجرى الكلام الاكثر ان يُجمع بالواو والنون والمؤنث بالتاء (يريد بالالف والتاء جمع تصحيح للمؤنث) وكذلك مُفعِل (بضم الميم وكسر العين اسم فاعل) ومُفعَل (بضم الميم وفتح العين اسم مفعول) الا انهم قد قالوا : مُنكر (بفتح الكاف) ومناكير ، ومفطر (بكسر الطاء) ومفاطير ، وموسر (بكسر السين) ومياسير » ثم قال : « واما مُفعِل الذي يكون للمؤنث ولا تدخله الهاء فانه يكسّر . وذلك مُطفِل ومَطافل ومُشدن ومشادن . وقد قالوا على غير القياس : مشادين ومطافيل » اه

على انه قد جاء في كتب اللغة الفاظ أخَر غير ما ذكره سيبويه وغيره . من ذلك : مجنون ومجانين ومنكود ومناكيد ومرجوع ومراجيع ومجهول ومجاهيل وملقوح وملاقيح ومضمون ومضامين ومملوك ومماليك ومُحوج ومحاويج (ذكر ذلك لسان العرب) . وقد قال علماء الحديث : « المرسل والمراسيل والمسند والمسانيد والمنكر والمناكير » وقال الفقهاء : « المجذوب والمجاذيب » وقال النحويون « المفعول والمفاعيل » .

---

(١) قال السيرافي : يريد ما كان على خمسة احرف ورابعه حرف من حروف المد واللين مما يكون على (فُعلول) او (مُفعول) كقولنا : جلول وجاليل ومغرود ومغاريد . اه

وانت ترى ان سيبويه يقول ان مجرى الاكثر في (مفعول ومفعل) بكسر العين وفتحها ، ان يجمع جمع تصحيح لا جمع تكسير . وجعل مجرى الاكثر في هذه الثلاثة فقط . ولم يعمم الكلام كما عممه المتأخرون . وترى انه لم يصرّح بمنع تكسيرها . وقد جاء من بعده فوسعوا هذه الدائرة ، وادخلوا في هذا الباب كل ما كان من الصفات اوله ميم زائدة . ثم تجاوزوا ذلك الى ان حظروا تكسير ما كان كذلك ، الا الفاظاً قالوا ان السماع ورد بها فلا يقاس عليها . وسيبويه لاعلم له بكل ذلك . وانما هو توسع منهم في هذا الباب ، ضيّقوا فيه على الناس الباب .

هذا كلامه (رحمه الله) في مفعول ومُفعِل ومفعَل . وان الاكثر في كلامهم جمعها تصحيحاً . وذكر في باب التصغير مايدل صراحة على جواز تكسير غيرها ، واطلق الكلام في ذلك اطلاقاً . ولم يتعرض الى انه مجرى الاكثر او الاقل . قال في (ص ١١٠ و ١١١ و ١١٢ ج ٢) : « هذا باب ما يحذف من بنات الثلاثة من الزيادات لانك لو كسّرتها للجمع لحذفتها . وكذلك تفعل في التصغير . وذلك قولك في « مغتلم » مُغيلم » كما قلت : « مَغالم » فحذفت حين كسّرتَ للجمع ، وان شئت قلت : « مُغيليم » فألحقت الياء عوضاً مما حذفت ، كما قال بعضهم « مغاليم » ... وتقول في « المقدّم والمؤخّر : مُقيدم ومُوَيخر » وان شئت عوضت الياء ، كما قالوا « مقاديم ومآخير » والمقادم والمآخر عربية جيدة » . ثم قال : « واذا حقّرت مُزدان قلت « مُزَيّن ومُزَيّين » ...

ومُزْدان بمنزلة مختار ، فاذا حقَّرته قلت « مُخَيِّر » وان شئت قلت « مُخَيِّير » لانك لو كسَّرته للجمع قلت « مخاير ومخايير » كما فعلت بمغتلم » اهـ . وقد ذكر (رحمه الله) امثلة كثيرة اكتفينا منها بما رأيت . فارجع الى الكتاب ان شئت . فمنعُ من منع تكسير مختار ومنقاد واشباهها لا وجه له ، فكلام سيبويه وغيره صريح في ذلك . واذا رجعت الى باب جموع التكسير في كتب النحاة رأيتهم يذكرون حكم جمع مستدعٍ ومنطلق ومقعنسس ونحوها ، وانها تجمع على مَداعٍ ومطالق ومَقاعس [راجع الالفية وشروحها وحواشيها] . فلو لم يكن ذلك جائزاً لما تكلفوا له . ولو كان ذلك من باب الفرض لنبهوا عليه . ولو ارادوا أنها تجمع على ذلك مراداً بها الاسمية لنبهوا على ذلك ايضاً .

ولهذه المناسبة نقول : ان نحو مختار ومنقاد مما بُني على افتعل وانفعل ، وكان معتل العين تحذف منه التاء والنون ، وتُردُّ الفه الى اصلها من ياء او واو ، فيقال في الاول « مخاير او مخايير » وفي الثاني « مقاود او مقاويد » . ومثل هذا « منطاد ومطاود او مطاويد[1] » كما رأيت في كلام سيبويه . أما قول الاشموني في شرح الالفية : ان نحو مختار ومنقاد يُجمع على « مخاتر ومناقد » فليس من الصواب في شيء . اذ لا وجه لحذف الالف وهي منقلبة عن اصل ، وابقاء التاء والنون وهما زائدتان . ومن العجيب سكوت الصبان عن ذلك مع اعادته كلامه بلفظه . وقد ادرك هذا الغلط الخضري في حاشيته على ابن عقيل ،

(١) المنطاد : المرتفع . يقال بناء منطاد اي مرتفع وانطاد : ذهب في الهواء صُعُداً . ومنه سُمي المنطاد المعروف بالبالون . واصل المادة من الطود وهو الجبل .

لكنه لم يُصب في جمع منقاد على « مقايد » لان الالف فيه منقلبة عن الواو فالواجب ردُّها اليها عند الجمع كما هو القياس المعروف .

وهل يقال : في جمع مختار ومُنقاد ومنطاد : « مخاتير ومناقيد ومناطيد » كما يقول الناس وبعض الكتاب ؟ اقول : ان القياس الذي ذكره سيبويه يقتضي المنع . لكن اذا رجعنا الى ظاهر قول ابن مالك في ألفيته :

والسينَ والتا من كمستدعٍ ازل اذ ببنا الجمع بقاهما مخلّ

والى قول الشراح في ذلك ، يتحقق لدينا انه انما يحذف من الكلمة التي يراد جمعها تكسيراً على « مفاعل او مفاعيل » ما تختل معه صيغة هذا الجمع . وجمع « مختار ومنقاد ومنطاد » على « مخاتير ومناقيد ومناطيد » من غير حذف ليس فيه اخلال ببناء « مفاعيل » غير انهم سكتوا عن جواز ذلك او عدمه . وادخله بعضهم فيما يحذف زائده ، كما لو كان غير معتل العين . ونرى انه لا مانع من ذلك ، خصوصاً في الجموع التي درج عليها الكتّاب ، والتي لا تختل بها صيغة هذا الجمع والله اعلم .

***

نقد الصفحة السادسة والسبعين

٨٢ - صيغة اسم التفضيل

قال: « ومنه غدت في حاجة قصوى - قيل: انه لا يجوز حين يكون (افعل) نصاً للتفضيل، فاذا أريد به مجرد الوصف صُرّف بلا اثم ولا حرج - وعلى هذا يجوز الوجهان (التعريف والتنكير) اه

قلت: اسم التفضيل وضع للدلالة على اشتراك شيئين في صفة وزيادة احدهما على الآخر فيها. وهذا هو الاصل. وقد يخرج عن معنى التفضيل، كما ستعلم.

فان كان نصاً في التفضيل فله ثلاث حالات: تجرُّده من (أل) والاضافة، واضافته، واقترانه (بأل).

فاذا تجرَّد من (ال) والاضافة، او أُضيفَ الى نكرة وجب فيه الافراد والتذكير، وان كان الموصوف مؤنثاً او مثنى او مجموعاً. وهو في حال تجرده من ال والاضافة لا بد ان تتصل به (من) لفظاً جارَّةً للمفضَّل عليه، او تقديراً. وقد اجتمعا في قوله تعالى: « انا اكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً » اي اعز منك. فان أُضيف او سبقته (ال) امتنع وصله (بمن) فلا يقال: « فلان افضل القوم من فلان» ولا « الأعلم من فلان » وشذ قول الشاعر:

ولست بالاكثر منهم حصًى   وانما العزة للكاثر [1]

(١) الحصى العدد، وقيل العدد الكثير. والكاثر الكثير. يقال عدد كاثر اي كثير.

واذا اقترن (بال) وجبت مطابقته لما قبله افراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً. تقول: «هو الافضل، وهي الفُضلى، وهما الافضلان، وهما الفُضليان، وهم الافضلون، وهنَّ الفُضليات».

واذا أُضيف الى معرفة جاز فيه الوجهان: افراده وتذكيره (كالمضاف الى نكرة) ومطابقته لما قبله في الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث (كالمقترن بأل) وقد ورد الاستعمالان في القرآن الكريم. فمن استعماله غير مطابق لما قبله قوله تعالى: «ولتجدنَّهم احرَص الناس على حياة» فلم يقل (أحرصي)، ومن استعماله مطابقاً قوله عز وجل: «وكذلك جعلنا من كل قرية اكابر مجرميها» فلم يقل (اكبر). وقد جاء الاستعمالان في الحديث الشريف: «ألا أخبركم باحبكم اليَّ واقربكم مني مجالس يوم القيامة: احاسنكم اخلاقاً، الموطَّؤون اكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون [1]».

وقد تقدم أن المضاف الى نكرة تجب فيه المطابقة لموصوفه.

وقد يرِدُ أفعل التفضيل عارياً عن معنى التفضيل، فيتضمن معنى اسم الفاعل، كقوله تعالى: «ربكم اعلم بكم» اي عالم بكم، او معنى الصفة المشبهة، كقوله سبحانه: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه» اي وهو هين عليه، ومنه قول الشاعر:

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ [2]

اي عزيزة طويلة. ولم يُرد انه اعزُّ من غيره وأطول، بل يريد

(١) فلان موطأ الاكناف: جوانبه وطيئة يتمكن فيها من يصاحبه ولا يتأذى. وذلك كناية عن سهولة اخلاقه ولين عريكته (٢) سمك: رفع.

نفي ان يُشارِكَ في عزته وطوله ، وكذلك في الآيتين الكريمتين ، لانه لا مشارك لله في علمه ، ولا تتفاوت المقدورات بالنسبة الى قدرته ، فليس لديه هين وأهون ، بل كل شيء هين عليه سبحانه وتعالى .

وانما يصح ان يعرى عن معنى التفضيل اذا تجرَّد من (ال) والاضافة الى نكرة [1] ، ولم يُوصل (بمن) التفضيلية [2] . فان اقترن (بأل) او أُضيف الى نكرة او وُصل (بمن) لم تجُز تعريته من معنى التفضيل . وتعريته من معنى التفضيل سماعية على الاصح من اقوال النحاة .

واذا عريَ من معنى التفضيل ، فان تجرَّد من الاضافة فالاصح الاشهر فيه عدم المطابقة لما قبله ، اي فهو يُلتزم فيه الافراد والتذكير ، كما لو أُريد به معنى التفضيل ، كما رأيت في البيت السابق . وان أُضيف الى معرفة [3] وجبت المطابقة . تقول : « هذان أعلما اهل القرية » اي هما عالماهم ، ان لم يكن في القرية من يشاركهم في العلم . ولا يصح ان تقول : « هما اعلمهم » الا اذا اردت معنى تفضيلهما على غيرهما ، لانه ان كان فيها من يشاركهم فيه كان المعنى على التفضيل وحينئذ يصح ان تقول « هما أعلما اهل القرية ، وهما اعلمهم » بالمطابقة وعدمها ، لاضافته الى معرفة مُراداً به التفضيل . ويكون المعنى « هما اعلم من جميع اهل القرية » . فحيث جاز تقدير (من) كان المعنى على

---

(١) اما ان أُضيف الى معرفة فقد يرد لغير معنى التفضيل ، كقولهم : « الناقص والاشج اعدلا بني امية » وسيأتي ذكره (٢) من التفضيلية هي توصل باسم التفضيل جارّة للمفضل عليه (٣) أما ان أُضيف الى نكرة فلا يجوز ان يعرى عن معنى التفضيل كما تقدم .

التفضيل ، وحيث لم يجز كان المعنى على غيره ، اى كان اسم التفضيل عارياً من معنى التفضيل .

ومن اضافته الى معرفة غير مُراد به معنى التفضيل قولهم : « الناقص والاشج اعدلا بني امية[1] » ولا يصح ان تقول « هما اعدل بني امية » بل تجب المطابقة ، لان التفضيل الذي يقتضي المشاركة في الصفة غير مراد هنا ، لانه لم يشاركهما احد من بني امية في العدل ، لذلك لم يكن القصد انهما اعدل من جميع بني امية ، بل المراد انهما العادلان منهم [هكذا قالوا . ونحن نذكر مثالا ذكروه وشرحوه . وتلك مبالغة منهم . والله اعلم]

وقد يُجمع العاري عن معنى التفضيل ، المجرد من (أل) والاضافة ، اذا كان ماهو له جمعاً ، كقول الشاعر :

كراماً

اذا غاب عنكم أسودُ العين كنتمُ [illegible] ، وانتم ماحييتم ألائم[2]

قال الاشموني في شرح الالفية : قال في شرح التسهيل : « واذا صح جمعه لتجرده من معنى التفضيل جاز ان يؤنث ، فيكون قول ابن هانيء[3] :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء دُرٌ على ارض من الذهب[4]

---

(١) الناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، سمي بذلك لنقصه ارزاق الجند والاشج : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان « رضي الله عنه » سمي بذلك لشجة اصابته بضرب الدابة .

(٢) اسود العين : اسم جبل والائم : جمع ألأم بمعنى لئيم . وليس المراد انهم ألأم من غيرهم ، بل وصفهم بانهم لئام ابداً ، لان هذا الجبل مقيم ابداً .

(٣) ابن هانيء ، هو الحسن بن هانيء الشاعر المعروف المشهور بابي نواس .

(٤) الفقاقع : نفاخات الماء والشراب ، وواحدها فقاعة ، وقياسها فقاقيع ، لكنه

صحيحاً » اهـ . اقول : وليس بلحن، كما قالوا ، لان « صغرى وكبرى » ههنا بمعنى صغيرة وكبيرة ، فهما عاريتان من معنى التفضيل فلا يجب فيهما الافراد والتذكير ، بل يجوزان كما تجوز المطابقة . وان كان الاول هو الافصح والاشهر . وقال من لحّنه : كان حقه ان يقول « كأن اصغر واكبر » او « كأن الصغرى والكبرى » باعتبار أنّ اسم التفضيل اذا تجرد من (ال) والاضافة وجب افراده وتذكيره . وقد غفل عن انه انما يجب ذلك فيما قُصد به التفضيل . وقول العروضيين : « فاصلة صُغرى ، وفاصلة كبرى » اي صغيرة وكبيرة ، هو من هذا الباب .

وعلى ذلك فقول من قال : « غدتْ في حاجة قصوى » صحيح فصيح لكن الاصح والافصح ان يقال : « في حاجة اقصى » او يُعدل الى الوصف بغير صيغة التفضيل ، فيقال « في حاجة قاصية او قصيّة » .

نقد الصفحة السابعة والسبعين

٨٣ – السهام والاسهم والاغصان والاغصن

قال : « ومنه السهم (النبل [1]) جمعه سهام لا اسهم ، والغصن اغصان لا اغصن – فقيل ان كليهما صحيح وارد في الشعر لكبار الشعراء . ولكن المعاجم لم تذكرهما . فعلى المجمع العلمي ان يثبتهما لجواز الوجهين » اهـ

قلت : اما الاسهم بمعنى (النبل) جمع سهم فهو جمع قياسي

خفف للشعر . والحصباء الحصى

(١) لعل الاستاذ يريد واحد النبل .

وقد نصوا عليه . قال في اللسان والتاج : « والسهم واحد النبل والجمع اسهم وسهام » اه والسهم ايضاً : واحد السهام وهو النصيب . وفي المحكم : السهم الحظ والجمع « سُهمان وسُهمة » بضم فسكون فيهما . والسهم بمعنى النصيب هو في الاصل واحد السهام التي يُضرب بها في الميسر ، وهي القداح ، ثم سُمي مايفوز به الفالج سهمه (اي الرابح) ثم كثر حتى سُمي كل نصيب سهماً . ويجمع على اسهم وسهام وسهمان (راجع لسان العرب)

فانت ترى ان السهم على اختلاف معانيه يجوز جمعه على (أسهم) نصاً . أما قياساً فان (أفعُلا) بفتح فسكون فضم ، قياس جمع الاسم الثلاثي على وزن (فَعْل) بفتح فسكون ، على شرط ان يكون صحيح العين . اما الصفة من هذا الوزن (كضخم) فلا تجمع هذا الجمع . وأمّا (أعبد) في جمع عبد فانما جُمع لغلبة الاسمية عليه . واذا غلبت الاسمية على الوصف صار في حكم الاسماء . ولا يُجمع على (افعل) نحو (سوط وبيت) لاعتلال عينهما . وشذَّ في القياس دون السماع جمع عين على (أعين) مع اعتلال عينه ، كما شذ في القياس والسماع جمع ثوب وسيف على (أثوُب وأسيُف) قال حميد بن ثور :

لكل دهر قد لبست اثوبا   حتى اكتسى الرأس قناعاً اشيبا

وقال آخر :

كأنهم أسيفٌ بيضٌ يمانيةٌ   عضب مضاربها باقٍ بها الأُثُر(١)

---

(١) الاثر : بضمتين وبضم فسكون . وهنا بضمتين . وهو اثر الجرح يبقى بعد البرء . واما الأثر « بفتحتين » فهو بقية كل شيء ورسمه بعد زواله .

ولم ارَ سيبويه في كتابه قد اشترط صحة عين (فَعْل) لجمعه على أفعُل (راجع كتابه المطبوع في مصر ج ٢ ص ١٧٥) غير انه لم يأت بمثال ما على المعتل العين ، على كثرة ما اتى به من الامثلة . وقد اشترط ذلك ما نعرفه من كتب التصريف والنحو صراحة ، وذلك معقول لان الضمة تستثقل على الواو والياء فيجب اعلالها . والاعلال هنا مشكل لانه يقتضي اخراج هذا الجمع عن صيغته .

وقد شذّ جمع (فعل) بفتح فسكون على (افعال) لانه ليس من هذا الباب . (راجع ما قاله سيبويه في كتابه ج ٢ ص ١٧٦ وراجع العدد ٨٠ ص ١٣٩ — ١٤٢ من كتابنا هذا)

واما الاغصن فلا تجوز قياساً ولا سماعاً ، اي انها لم تُسمع عنهم ولا توافق قياس نظائرها . ولو جازت قياساً لتساهلنا بها ، وان لم تُسمع . لكنها لم تسمع ولم تُقَس . وجمعها على (اغصان) اخف في اللفظ واوقع في السمع . وانما لم تجز الاغصن قياساً لان مفردها وهو (غُصن) على وزن (فعل) بضم فسكون . وقياس جمعه في القلة (افعال) كأغصان ، وفي الكثرة فعول كغصون ، و (فِعَلة) بكسر ففتح ، كغصنة ، و (فِعال) بالكسر ، كرمح ورماح . ولم يُسمع جمعهم الغصن على (غِصان) وهي اخف من (غصنة) والطف . والقياس لا يأباها قال سيبويه (في كتابه ج ٢ ص ١٨٠) واما ما كان على ثلاثة احرف وكان فُعْلاً [بضم فسكون] فانه يُكسر من ابنية اقل العدد على افعال . وقد يجاوزون به بناء ادنى العدد فيكسرونه على فُعول

[بالضم] وفِعال [بالكسر] ، وفعول لكثر » اهـ . ولم يذكر (فِعَلة) بكسر ففتح . وقد ذكرها غيره من النحاة وهم كثير . ككوز وكِوَزَة ، ودُرْج ودِرَجة ، ودُبّ ودِبَبة .

هذا ما اردنا التعليق عليه من النقد على صفحات النقد اللغوي في كتاب الاستاذ ، وهي تبلغ بضعاً وثلاثين صفحة .

ونذكر فيما يلي رأينا فيما وجِّه من الاسئلة في الموضوعات المتفرقة شاكرين للاستاذ عنايته بلغة آبائه واجداده .



رأينا في الاستيضاح

المنشور في الصفحة السابعة والثامنة من الكتاب

(١) — مان عليه يمون موناً

قال الاستاذ : ما هي اللفظة التي تقوم مقام (مان) العامية ، كقولهم « انا امون عليه بكذا » — وهل تقوم « ضمن وكفل ودل » بكل معانيها ؟

اقول : لا تقوم واحدة من هذه الكلمات مقامها ولا تسد مسدها في الدلالة على المعنى الدقيق الجميل الذي يراد منها . وأرى ان نستعملها كما هي ، فهي كلمة عربية فصيحة ، لها اصل في لغتنا نقلت عنه بضرب من المجاز . وذلك انه يقال : « مان فلان فلاناً يمونه موناً » اذا احتمل مؤونته وقام بكفايته . — ومن الواضح ان من يمون انساناً ويقوم بأمره وينفق عليه ويتعهد شؤونه فهو حاكم عليه يقضي عليه بما يراه موافقاً للمصلحة . فضمَّنوا « مان » معنى « حكم وقضى » فعدَّوه تعديتها ، فقالوا : مان على فلان وانا امون عليه » اي اقضي عليه واحكم عليه فلا يخالفني فيما اريد . وانت ترى انك ان وضعت « حكم عليه او قضى عليه » انفسها لم يُعطيا نفس المعنى الذي يعطيه « مان عليه » . ولكل كلمة سرها في اداء المعنى : لان المعنى في اللفظ كالجمال في الجسم ، يفهمه الانسان ولا يستطيع الكشف عن سره .

قال ابن جني في كتاب الخصائص : « وجدتُ في اللغة من هذا

الفن (اي التضمين) شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به . ولعله لو جمع اكثره لجاء كتاباً ضخماً . فاذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به فانه فصل في العربية لطيف حسن » اه

والعرب ينقلون الكلمة من معناها الاصلي الى معنى آخر ، ولو لعلاقة واهية بينهما ، حتى تصير حقيقة في المعنى المنقول اللفظ اليه . ولهذا امثلة كثيرة يعرفها من عانى اسرار الالفاظ العربية واساليب اشتقاقها وضروب نقلها من معنى الى معنى . وحسبنا الآن ان نقول ان « مان » نفسها ، بمعنى مَوْن الانسان والقيام بكفايته واحتمال مؤونته ليست عند التحقيق حقيقة في هذا المعنى ، وانما ترجع الى معنى الثقل والشدة والتعب . ولما كانت « المؤونة » بالمعنى المعروف فيها ثقل على النفس وشدة سموا القيام على من تمونه وتكفله وتنفق عليه مؤونة . وسنقص عليك اصل اشتقاقها . ومما يؤيد هذا ان « عاله يعوله عَوْلاً » بمعنى مانه يمونه و كفاه وقام بما يحتاج اليه مأخوذ من الثقل ايضاً ، ومنه « العول » لما يثقل من المصيبة . (راجع النهاية لابن الاثير) فكذلك «المؤونة» هي من «الاين[1]» او من «الاون[2]»

---

(١) الاين في الاصل : الحمل ، سموا التعب به لما فيه من معنى الثقل الذي يلد التعب .

(٢) الاون في الاصل : العدل (بكسر العين) وجانب الخرج ، او الخرج نفسه ، والاونان : العدلان يعكمان اي يشدان ، وهما جانبا الخرج ايضاً . توهموا فيه معنى الثقل فسموا التعب اوناً . ونرى ان الاين والاون مأخوذان من اسم صوت التعب او الموجَع وهو « أن » فقالوا للحمل او العدل اين او اون لانهما يسببان لحاملها الانين . والياء والواو مبدلة احداهما من الاخرى . والاون ايضاً الخاصرة ، والاونان الخاصرتان . وربما سموا الخاصرة بذلك لان الحمل او العدل يحمل عادة عليها .

وكلاهما بمعنى التعب والشدة . والاون ايضاً : التكلف للنفقة (كما في اللسان والتاج) نقلوه من معنى التعب والشدة لما فيه من الثقل على النفس . لذا نرى ان المؤونة مأخوذة من « الاون » بعد نقله من معنى التعب الى معنى التكلف للنفقة ، لا من « الاين » لانهم لم يستعملوه بهذا المعنى (معنى التكلف للنفقة) فأخذها من « الاون » اقرب من ناحية الاشتقاق والمعنى وسهولة التجوُّز وقد بنوها على وزن « مفعلة » بفتح الميم وضم العين ، من « الاون » بمعنى جانب الخرج كما يرى المازني . او من « الاين » بمعني التعب كما يرى الفراء . ويرى ابو علي ان (المؤونة) مفعلة من الاون بمعنى التكلف للنفقة (كما في تاج العروس) وما قوله ببعيد من الصواب ، وهو ما نرى انه الحق

ثم بنوا من لفظ « الموءونة » لا من اصل اشتقاقها « مأنه يمأنه مأناً » بمعنى عاله وكفاه موءونة ، لما في الموءونة من الثقل والشدة . ثم خففوا فقالوا « مانه يمونه » وغيروا حركة عين الفعل في المضارع فصار من باب قال . وذلك انه لكثرة لزوم الميم توهموا اصالتها في الموءونة فبنوا الفعل من لفظها ، كما بنوا تمسكن من المسكين ، وهذه من السكون وتمندل من المنديل ، وهذه من الندل[1] (بفتحتين) ـ وتمكن (بضم الكاف) من المكان ، وهذه من الكون ، ثم بنوا منه مكّنه تمكيناً

---

(١) الندل : مصدر ندلت يده تندل ندلاً (من باب فرح يفرح) اي اتسخت . والنديل معروف ومثله المندل (بوزن منبر) سمي بذلك لانه تمسح به الايدي لازالة ما يعلق بها من الاوساخ .

وتمكن واستمكن وامكن[1] – وتمنطق من المنطقة[2] . وقديماً قال الناس : تمنطق من المنطق (وهو العلم المعروف) اذا تعلمه . وتمذهب وتمشيخ من المذهب والمشيخة او المشايخ .

قال في اللسان في مادة (مكن) : « مكان : في اصل تقدير الفعل (مَفعل) لانه موضع لكينونة الشيء فيه . غير انه لما كثر أجروه مُجرى (فَعال) فقالوا : مكّناً له ، وقد تمكن . وليس هذا باعجب من تمسكن من المسكن »[3] اه . وقال في مادة (كون) : « لما كثر لزوم الميم توهمت اصلية ، فقيل : تمكن ، كما قالوا من المسكين « تمسكن » ومن المدرعة[4] « تمدرع » اه ولتوهم الميم اصلية قالوا في جمع مكان

(١) مكن « بضم الكاف » مكانة فهو مكين . وتمكن تمكناً فهو متمكن . وتمكن بالمكان . وتمكن من الشيء واستمكن منه « اي ظفر به » ومكنه الله من الشيء تمكيناً وامكنه منه « اي اقدره عليه » وفلان لايمكنه النهوض « اي لا يقدر عليه »

(٢) المنطقة : ما يشده الانسان على وسطه . وتمنطق بها شدها ، والفصيح ان يقال تنطق بها وانتطق على الاصل . والمادة مأخوذة من « الناطقة » وهي الخاصرة ، لان شد المنطقة يكون على الناطقتين اي الخاصرتين .

(٣) الحق انهم اخذوا المسكين من السكون ، فهو « مفعيل » من صيغ المبالغة لكثرة سكونه . ثم بنوا من لفظه المسكنة والتمسكن ، فقالوا تمسكن اذا صار مسكيناً . وقد يقال تمسكن اذا فعل فعل المساكين وليس منهم . ويقال : تمسكن الرجل اذا تذلل وتخضع . ويقال في كل ذلك « تسكن تسكناً » على الاصل وهو الافصح . قال في اللسان : والاسم المسكنة . وقال الليث : المسكنة مصدر فعل المسكين . واذا اشتقوا منه فعلاً قالوا : تمسكن الرجل اي صار مسكيناً . قال الجوهري : المسكين الفقير . وقد يكون بمعنى الذلة والضعف . يقال تسكن الرجل وتمسكن ، كما قالوا تمدرع وتمندل .

(٤) المدرعة والمدرع والدرّاعة : جبة من صوف مشقوقة المقدم .

« ١١ »

امكنة ، جعلوه كفعال ، فجمعوه على افعلة كقذال واقذلة[١] ، ثم جمعوا الامكنة على اماكن . وذلك لان العرب تشبه الحرف بالحرف كما قالوا منارة ومنائر ، فشبهوها بفعالة ، وهي مفعلة من النور ، وكان حقها ان تكون مناور كما كان حق مكان ان يجمع على مكاون .

فالمؤونة عند المحققين « مَفعُلة » بفتح الميم وضم العين ، إما من « الأين »[٢] وهو التعب والشدة ، لان المؤونة ثقل على الانسان وشدة . والمعنى ان من يمون يتعب في الانفاق على من يعوله ويمونه . وهذا قول الفراء ، — وإما من « الاون » واحد الاونين ، وهما جانبا الخرج وأون الخرج جانبه . لان المؤونة تثقل على الانسان كما يثقل الاونان الدابة ، وهو قول المازني[٣] . ومنه قيل للاتان اذا أقربت[٤] وعظم بطنها : « قد أوّنت تأوينا » واذا أكل الانسان او غيره من الحيوان وامتلأ بطنه وانتفخت خاصرتاه قيل : « أوّن تأويناً . — وإما من « الاون » بمعنى التكلف للنفقة كما يرى ابو علي (وهو الحق على ما نرى) .

---

(١) القذال : جماع موُخر الرأس . او ما بين نقرة القفا الى الاذن . وهو ايضاً معقد العذار من الفرس خلف الناصية .

(٢) قال ابو زيد : لا يُبنى من « الاين » فعل ، وكذا قال ابو عبيدة . وقال الليث : ولا يشتق منه فعل الا في الشعر . وقال ابن الاعرابي : يجوز ذلك نثراً وشعراً . فالفعل منه آن يئين أيناً . وهذا ما نميل اليه . وقولهم هذا انما هو في الاين بمعنى التعب والاعياء . واما قولهم : آن لك ان تفعل ، فلم يخالف فيه احد .

(٣) نرى (كما ذكرنا آنفاً) ان الموُونة ان كانت مأخوذة من « الاون » فقد أُخذت منه بعد نقله الى معنى التعب ، كما هو الشأن فيها مأخوذة من « الاين » وهو التعب ، واصله الحمل . ثم نقلوا الاون من معنى التعب الى معنى التكلف للنفقة ، ثم بنوا منه الموُونة ، ثم بنوا من هذه « مأنه يأنه ، ثم مانه يمونه » ، بنوه من لفظ الموُونة لا من اصلها .

(٤) اقربت الحامل : دنا وقت ولادتها .

واصل « المؤونة » على رأي الاخفش « مأيُنة » بفتح فسكون فضم ، نقلت ضمة الياء الى الهمزة فصارت « مَوْئُنة » بفتح فضم فسكون ، ثم قلبت الياء واواً لسكونها وانضمام ما قبلها فصارت « مؤونة » واصلها على رأي المازني « مأوُنة » بفتح فسكون فضم ، نقلت حركة الواو الى الهمزة فصارت « مؤونة » .

ومن العلماء من يجعل الميم في المؤونة اصلية ، فهي عنده « فَعولة » بفتح فضم ، بنيت من الفعل « مأن يمأن » باعتبار اصالة ميمه ، لان الفعل مبني من لفظها . وهذا ليس بالتحقيق ، لما بسطناه وشرحناه .

والراجح عند المحققين ان هذا الحرف من المهموز ، باعتبار انه من الأين او الأون ، ثم سُهل طلباً للتخفيف . ومما يدل على همزه وانه منقول عن معنى الثقل والتعب والشدة قولهم : « جاءني الامر وما مأنت فيه مأنة » اي جاءني وما طلبته ولا أطلت التعب فيه . قال الفراء : « وما مأنتُ مأنة » اي من غير ان تهيأت ولا اعددت ولا عملت فيه وقال نحو ذلك ابو منصور . قال اللسان : « وهذا يدل على ان المؤونة في الاصل مهموزة » ونحن نقول : وهذا يؤيد قول من يقول ان ميمها زائدة وانها « مفعلة » لا « فَعولة » بفتح فضم ، وانها من « الأين او الأون » .

ويجوز ترك الهمز ، فيقال « مانه يمونه موناً فهو مائن وذاك ممَون » ، والاسم « المؤُونة » بلا همز ، كما يجوز الهمز ، وهو الاصل ، فتقول « مأنه يمأنه مأناً فهو مائن وذاك ممؤون » والاسم « المؤونة » بالهمز .

ويقال : « مين الرجلُ يُمان (مجهولاً) فهو ممون » ، والاسم « المائنة والموونة » بلا همز . ومن قال « مـؤون » قال « مؤونة » . ويقال « مأنت القوم أمأنهم » ومن ترك الهمز قال : « منتهم أمونهم » والمائنة (كما قال الليث) اسم مايُموَّن اي يُتكلَّف من المؤونة . والتموُّن (كما قال ابن الاعرابي) كثرة النفقة على العيال . قال : والتومُّن : كثرة الاولاد (راجع لسان العرب في مادتي مأن ومَوَن) .

٢- بروغرام ونظام وبرنامج الخ .

قال الاستاذ : ماهي اللفظة التي يصح استعمالها بدل (بروغرام) لاني ارى ان (بَرنامج) غير عربية . وهل يقوم (نظام) مقامها ؟

نقول : انا نرى مارآه الاستاذ في (ص ٦٨) من كتابه حيث قال : (لست ارى بأساً في استعمال (برنامج) نفسها بدل (بروغرام) ومثلها نظام وبيان ونسق وخطة ومنهج ومنهاج » .

والبرنامج فارسي معرب (بارنامه) ومعناه الورقة الجامعة للحساب او كما يقول الناس (ورقة الحساب) او هو مايرسم فيه متاع التجار وسلعهم . وهو بفتح الباء والميم . وقيل بكسرهما . نقل ذلك صاحب التاج عن بعض شروح الموطأ . وهو مركب من « بار » بمعنى الحمل او الرخصة و « نامه » اي كتاب . وقد غلب استعماله اليوم على مايكتب ليكون نظاماً او خطـة يُتمشى عليها كبرنامج حكومة او برنامج حفلة او نحو ذلك .

ومثل البرنامج في التعريب (رهنامج) وفي القاموس (راهنامج)

والاول اقرب الى قاعـدة التعريب . وهو كتاب الطريق ، معرب (راه‌نامه) فالراه الطريق ونامه الكتاب . وفي القاموس : « هو كتاب الطريق ، وهو كتاب يسلك به الربابنة [١] البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها » . والناس اليوم يستعملون «الدليل» مضافاً الى غيره كدليل البحر ودليل مصر ودليل بيروت ودليل سورية ودليل لبنان ونحو ذلك .

ومثله في التعريب ايضاً « رُزنامج » وهو كتاب معرفة الايام ، ويسمى اليوم بالتقويم ايضاً ، معرب (روزنامه) فالروز : اليوم والنامه : الكتاب .

وتقول في جمع ماتقدم « برامج وبراميج ورهامج ورهاميج ورزامج ورزاميج » . وان هذه الكلمات لاينشرح لها صدري لثقلها ، وفي لغتنا مايقوم مقامهـا كما علمت . ولم تعرب قديماً كما يظهر ، لذلك اهملها اكثر اللغويين .

٣ - ساذج وسادج وبسيط

وقال الاستاذ : يستعمل الكتاب (ساذج) وهي مخالفة للفصاحة اللفظية فضلاً عن انها غير عربية . وهل يقوم (بسيط) بكل معانيها ؟

اقول : لم ارَ فيهما من الثقل مايخرجها عن الفصاحة ويلحقها بما تنافرت حروفه . واللفظة ، وان كانت غير عربية الأصل فقد عُرّبت قديماً ،

---

(١) الربابنة : جمع رُبّان بوزن « رُمّان » وهو العالم بسفر البحر ويراد به رئيس السفينة الذي يسيرها

فصارت في حكم اللفظ العربي كغيرها من المعرّبات التي امتزجت بكلام الجدود، واستعملوها في نثرهم ونظمهم، وادخلوها في معاجمهم. ولو عمدنا الى النفور من المعرّب لطرحنا شطراً غير يسير من الالفاظ. وفي ذلك مافيه من العنت والحرج. وفي القاموس « ساذج : معرب ساده » وفي لسان العرب : « حجة ساذِجة وساذَجة (بكسر الذال وفتحها) : غير بالغة. قال ابن سيده : « اراها غير عربية، انما يستعملها اهل الكلام فيما ليس ببرهان قاطع. وقد يُستعمل في غير البرهان. وعسى ان يكون اصلها « ساده » فعرّبت كما اعتيد مثل هذا في نظيره من الكلام المعرّب » اه وفي تاج العروس : « وفي الحديث : « انه صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على خفين اسودين ساذجين ». تكلم عليه اهل الغريب وضبطوه بكسر الذال وفتحها. قال الشيخ ولي الدين العراقي في شرح (سنن ابي داود) عند ذكر خفيه صلى الله عليه وسلم وكونهما ساذجين فقال : كأنّ المراد لم يخالط سوادهما لون آخر. قال : وهذه الكلمة تستعمل في العرف بهذا المعنى. ولم اجدها في كتب اللغة بهذا المعنى، ولا رأيت المصنفين في غريب الحديث ذكروها» اه. ثم قال التاج : « وقيل الساذج : الذي لانقش فيه. وقيل : الذي لا شعر عليه. والصواب انه الذي على لون واحد لايخالطه غيره » اه

اقول : والناس اليوم يستعملون « الساذج » او « الساده » في كل مايرجع الى معنى الشيء خالصاً لايخالطه شيء آخر، تجوّزاً عن معنى ما كان على لون واحد لايخالطه غيره. وهو تجوّز صحيح لامانع منه،

كما يقـولون « بسيط » في بعض المواطن بمعنى الساذج ، والبساطة لاتؤدي هذا المعنى لغةً كما ستعلم .

ولكثرة استعمال « ساذج وسذاجة » بالذال المعجمة خففوها وجعلوها دالاً مهملة تسهيلاً للنطق ، لانها من الالفاظ الاعجمية التي يُباح التصرف فيها ، ولانها في لغتها « ساده » بالدال المهملة على الأصح ، وقيل اصلها « ساذه » بالمعجمة كما قال صاحب القاموس . قال في التـاج : « وأما استعمال ابن الخطيب وغيره من اهل الاندلس « السداجة » (بالدال المهملة) في معنى السهولة وحسن الخلق ، فانما هو من « الساذج » بالمعجمة معرب « ساده » وهو خالي الذهن عندهم ، وهو في معنى السهل الخلق . ثم انهم لما عرَّبوه أجروا عليه استعمال اللفظ العربي من الاشتقاق وغيره وأهملوا الذال (المعجمة) لكثرة الاستعمال » اهـ . اقول : ولا ارى من بأس بابدال الدال من الذال متابعين ادباء الاندلس لخفة الدال ، فنقول « سادج وسداجة وسدَّج » كما نقول « ساذج وسذاجة وسذَّج » كما لا ارى مانعاً من استعمال هذه الكلمة في معنى سهولة الخلق اوطهارة القلب ، اوخلوّ الذهن اوسلامة الصدر [1] .

اما (البسيط) فقد استعمله الناس في معاني الساذج ، وليس له في كتب اللغة شيء من هذه المعاني ، ولكنها جائزة فيه على سبيل التجوز كما ستعلم ، كما استعملوا الساذج في غير ماوضع له من المعاني عن طريق المجاز . والعلماء يستعملون « البسيط » لضد المركب وليس

---

(١) اذا غلبت سلامة الصدر قيل لها « البله » بفتح الباء واللام ، والبلاهة ، ورجل أبله وامرأة بلهاء ، والفعل بله يبله بلهاً وبلاهة (من باب فرح)

له في كتب اللغة هذا المعنى ، ولكنه جائز مجازاً ، لان من لوازم بسط الثوب ونحوه بمعنى نشره ان تُرَى اجزاؤه مبسوطة اي منشورة ، فكأنها مفككة غير مركبة . قال في التاج : « واستعار قوم البسيط لكل شيء لايتصوَّر فيه تركيب وتأليف ونظم » اه

وهل يقال « بسيط » لسليم الطوية وللسهل الخلق والخالي الذهن ؟ لا ارى مانعاً من ذلك ، كما قالوا « بسيط الوجه » اي متهلله ، لان بساطة القلب بمعنى تهلله وسروره من لوازم سلامته وخلوه من المكدرات التي تدعو الى الرجاسة . او يكون من قولهم « بسيط اليدين » اي هو سماح منبسط بالمعروف ، فان قلت انه بسيط او بسيط القلب فالمعنى انه يسمح بما في قلبه فلا يكتم من امره شيئاً لسذاجته . اوهو من البساطة ضد التركيب التي يستعملها العلماء والناس ، فيكون مافي قلبه من الخير غير مشوب بشائبة تنافيه ، فلم يخالطه رجس يدنس طهارته . او هو من معنى النشر فهو فعيل بمعنى مفعول ، فهو بسيط اي مبسوط منشور ، فكأنه كالثوب المنشور يُرَى كل مافيه واضحاً ، فهو لاينطوي على غير مايظهر منه .

والبسط في الاصل : النشر . والباسط : الناشر ، والبسيط والمبسوط : المنشور . ومنه البساط ، وهو اسم لكل ما يُبسط ويُنشر ويُفرش . وما عداه من المعاني فيتفرع عليه . يقال : بسطه يبسطه بسطاً (من باب نصر) وبسَّطه تبسيطاً (من باب التفعيل) اي نشره وبسطه : ضد قبضه . وبسط فلان الشيء . فانبسط وتبسط . ويقال

ايضاً « بصطه » بالصاد ، واصله السين . وما يتفرع على ذلك من المعاني فهو من المجاز .

ومن معانيه المجازية : « بسط المكانُ القومَ » اي وسعهم — و « هذا بساط يبسطك » اي يسعك — و « الانبساط » ترك الاحتشام ، و « قد بسطتُ من فلان فانبسط » اي ازلت الاحتشام منه — و « فلان بسيط الوجه » اي متهلل — و « بسيط اليدين » اي مسماح منبسط في المعروف — و « باسطه وانبسط اليه وبينهما مباسطة » وذلك ان ينبسط كل واحد منهما الى الآخر ويترك الاحتشام — ومنها « بسطته » اي سررته . ومنه حديث فاطمة رضي الله عنها : « يبسطني ما يبسطها » اي يسرّني ما يسرُّها . لان الانسان اذا سُرّ انبسط وجهه واستبشر . فالبسط بمعنى السرور من كلام العرب ، وليس مولّداً ، خلافاً لمن زعم ذلك على غير هدى ولا بصيرة ، وقد صرّح به الزمخشري في الاساس ، قال : « وانه ليبسطني ما بسطك ، ويقبضني ما قبضك ، اي يسرّني ويطيّب نفسي ما سرك ، ويسؤني ما ساءك » اه وذكره ايضاً صاحب اللسان والقاموس والتاج . وللبسط مجازاً معانٍ كثيرة استوفاها لسان العرب والقاموس والتاج . وفيها معانٍ جميلة يحتاج اليها المتأدب .

واهل العراق اليوم يستعملون (البسط) بمعنى الضرب . وذلك انه كان من العادة انّ من يُراد ضربه يُبسط على الارض . فكان يقال لمن حُكم عليه بالضرب : انبسطْ فينبسط ، او يقال : ابسطوه . فلما كثر هذا في كلامهم دخلت روح الضرب ومعناه رُويداً رويداً في

البسط . حتى صار عندهم في معنى الضرب . واهل الحجاز يستعملون (الفرش) في هذا المعنى ، وتأويله كتأويل البسط عند اهل العراق .

والناس في هذه الديار يقولون « بطحه وابطحوا فلاناً » وذلك انه يقال لغةً : بطحه اي ألقاه على وجهه . ويستعملون ذلك غالباً عند المصارعة ، او عند ارادة ضربه مصروعاً على وجه الارض ، اي مبطوحاً . وقد يريدون به معنى الضرب ، وذلك في القليل النادر . فهو لم يُشرَب روح الضرب ومعناه الأ بعض الاشراب . ولعله ، لو طال الامر على اسلوب الضرب ببطح المضروب ، لقال الناس : « بطحه » اي ضربه و « ابطحوه » اي اضربوه . كما قال اهل العراق : « بسطه وابسطوه » واهل الحجاز : « فرشه وافرشوه »

٤ - الراتب والمرتب والمعاش

وقال الاستاذ : « يستعملون (راتب) بمعنى (المعاش) وقيل : ان الفصيح فيها (مُرتَّب) - أفلا ترون (جُعل او جعالة) احسن وافصح ؟

قلت : ارى ما رآه الاستاذ في (ص ٦٨) من جواز استعمال ذلك كله . ولا بأس باستعمال (المعاش) ايضاً كما قال الاستاذ ، وكما يقول الناس . فالمعاش يكون اسماً كما يكون مصدراً . ويكون استعماله مجازاً من اطلاق المسبَّب وارادة السبب ، لان الاجر على العمل سبب في المعاش . أمّا قول الاستاذ في (ص ٦٨) : ومن اقوال العرب : « وجعلنا الليل معاشاً » اي ملتمساً للعيش فهو ليس من كلام العرب ، وانما هو آية من القرآن الكريم في (سورة النبأ : ١١) قال

تعالى : « وجعلنا نومكم سباتاً [١] . وجعلنا الليل لِباساً [٢] وجعلنا النهار معاشاً [٣] »

واستعمال (الراتب) حسن ايضاً ، وليس (المرتَّب) افصح منه كما زعموا ، بل ان الراتب هو اليق بالمعنى . لانه يقال « رتب الشيء يرتب رتوباً (من باب دخل) اي ثبت (كما في المختـار) وفي اللسان والقاموس : « ثبت فلم يتحرك » ومثله « ترتب » و « امرٌ راتب » اي دائم ثابت . ويقال « رتب الرجـل » اي انتصب ورتب رتوب الكعب » اي انتصب انتصابه . وفي حديث لقمان بن عاد « رتب رتوب الكعب » اي انتصب كما ينتصب الكعب اذا رميته . وصفه بالشهامة وحدَّة النفس . ومنـه حديث ابن الزبير رضي الله عنهما : « كان يصلي (اي ابن الزبير) في المسجد الحرام واحجار المنجنيق

---

(١) قال الزمخشري في كشافه : « سُباتاً ، اي موتـاً . والمسبوت : الميت ، من السبت وهو القطع ، لانه مقطوع من الحركة . والنوم احد التوفيين . ولما جعل النوم موتاً جعل اليقظة معاشاً » . وقال البيضاوى في تفسيره : « وجعلنا نومكم سُباتاً » اى قطعاً عن الحركة ، استراحة للقوى الحيوانية ، وازاحة لكلالها ، او (جعلناه) موتاً ، لانه (اي النوم) احد التوفيين . ومنه المسبوت للميت . واصله «القطع» اه . قلت : ومنه يوم السبت لانه يوم انقطاع من العمل الى الراحة في شريعة التوراة . . وقولهم « والنوم احد التوفيين » يريدون احدى الموتتين الموت المعروف والموت بالنوم ، يشيرون بذلك الى قوله تعالى « وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار »

(٢) قال البيضاوى لباسا اي غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء . وقال الزمخشرى لباسا يستركم عن العيون ان اردتم هربا من عدو او بياتاً له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور .

(٣) معاشا اي وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به ، او حياة تنبعثون فيه من نومكم (كما في البيضاوي) وفي الجلالين وقتا للمعايش . وفي الكشاف وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومعاشكم .

تمر على اذنه وما يلتفت كأنه كعب راتب » . ويقال : « عيش راتب » اي ثابت دائم و « امر راتب » اي ثابت دارٌ . — ولما كان اجرُ العمل للعامل ثابتاً داراً عليه العيش جازت تسميته بالراتب ، من باب الاكتفاء بالصفة للعلم بالموصوف ، ثم صار اسماً للاجر نفسه ، ككثير من الصفات التي قامت مقام الاسماء حتى غلبت عليها الاسمية . ويجوز ان يكون ملموحاً بـه معنى (الرواتب) وهي السنن التابعة للفرائض فانهـا موقتة بوقت مخصوص . فكذلك رواتب العمال يُعطَونها في وقت مخصوص . وقـد ذكر التاج « الرواتب » بهذا المعنى في (مادة رزق) قال : « والمرتزقة اصحاب الجرايات والرواتب الموظفة » .

وأمّا (المرتَّب) فمعناه المُثبت ، يقال : « رتبه ترتيباً » اي أثبته فالمرتب بمعنى الاجر على العمل معناه ما يُثبَت للعامل اجراً على عمله وهو جائز ايضاً . ونرى ان الراتب اولى منه في الاستعمال كما ذكرنا .

فالمادة كما ترى تدل على معنى الثبوت والنصب . ومنه « المرتبة » وهي المنزلة . والمرتبـة ايضاً : المرقبة ، وهي اعلى الجبل . والمراتب في الجبال والصحاري هي الاعلام التي تُرتب فيها العيون والرقباء (اي تُنصب وتقام وتجعل) . وفي الاساس : « رتب الاشياء ورتب الطلائع في المراتب والمراقب . وهي مواضع الرقباء في الجبال » اهـ وترتيب الاشياء وضعها في مراتبها .

واما (الجُعل) بضم الجيم و (الجعالة) بكسرها وضمها وفتحهـا

فهو ما جُعل للانسان من شيء على فعل .

وهناك كلمة (الوظيفة) وقد فسروها بما يُقدَّر للانسان في كل يوم من طعام او رزق . وجمعها « وظائف ووُظُف » بضمتين . و« التوظيف : تعيين الوظيفة . ووظَف الشيء على نفسه (بالتخفيف) ووظّفه توظيفاً : ألزمها اياه وجعله لها وظيفة » . ويقال : « وظَّفتُ على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل » . وبهذا تعلم صحة تسمية ما يُفرض على التلميذ من كتابة الدروس بالوظيفة لانها تُوظف عليه اي يلزم بها . وبهذا يصح ايضاً ان يُسمى العمل في الحكومة وغيرها « وظيفة » لانها تصبح بعد مباشرتها فرضاً لازماً القيامُ به . او انها سميت بذلك باسم ما يجري عليه من الرزق . على ان « الوظيفة » بمعنى العمل الذي يُعهد الى العامل ان يقوم به (اي بالمعنى المعروف اليوم) قد استعملت قديماً . وقد استعملها القلقشندي في مواضع كثيرة من كتابه (صبح الاعشى) فقال : « الوظيفة والوظائف وارباب الوظائف » فهي كلمة صحيحة فصيحة بهذا المعنى لا كما يظن بعض المتنطعين .

وحبذا لو نسمي (الاجر اليومي) وظيفة لانها في الاصل بهذا المعنى كما علمت . ويسمي الناس ذلك (يومية العامل) ولا بأس بهذه ايضاً كما انه لا بأس بالاجر اليومي . غير ان الوظيفة لفظ رشيق . لكنها تقتضي وقتاً طويلاً لارجاعها الى معناها الاصلي .

***

(٥) خائن وخونة وخانة

وقال : ما قولكم في جمع خائن على (خوَنة) أليست خطأ ، والصواب (خانة) مثل قائد وقادة وبائع وباعة ؟

قلت : قد جمع اللغويون الخائن على « خانة وخوَنة » بالتحريك، الاول على قياس الاعلال ؛ والآخر على التصحيح كما هو الاصل و كذلك فعلوا بجائل وقائل وحائك» فقالوا : « جالة وجولة وقالة وقولة وحاكة وحوكة » . فجمع الخائن على « خونة » كما هو الشائع على ألسنة الناس واقلام الكتاب جائز . قال في اللسان والقاموس والتاج « قوم خونة » كما قالوا : « حوكة » اهـ وقال سيبويه في كتابه (ج ٢ : ص ٢٠٦) : اما ما كان (فاعلاً) فانك تكسّره على (فُعَّل) . . . ويكسرونه ايضاً على (فُعَّال) . . . ويكسرونه على (فَعَلة) وذلك فَسَقة وبررة وجهلة وظلمة وفجرة و كذبة وهذا كثير . ومثله خَوَنة وحوكة وباعة » اهـ على ان الاستاذ قد اجاب نفسه بالجواز في (ص ٦٨)

وما كان على وزن « فعلة » بالتحريك مما عينه واو يسهل تصحيح عينه دون ما كانت عينه ياء ، لان هذا لا يجوز فيه الا الاعلال فلا يجيء مثل « البيعة والسيرة » في جمع بائع وسائر ، وانما يقال باعة وسارة . وعلة ذلك قربُ الالف من الياء وبعدها من الواو . قال في اللسان (في مادة خول) : فاذا صحت في الخول والحوكة والخونة كان اسهل من تصحيح نحو « البيعة » وذلك ان الالف لما قربت من

الياء سهل انقلاب الياء اليها ، وكان ذلك أسوغ من انقلاب الواو اليها لبعد الواو عنها » ثم قال : « فاذا كان مثل هذه القربى بين الالف والياء كان تصحيح نحو «بيعة وسيرة» أشقّ عليهم من تصحيح الخول والحوكة والخَوَنة ، لبعد الواو من الالف . وبقدر بعدها عنها مايقلُّ انقلابها اليها . ولاجل هذا الذي ذكرنا ما كثر عنهم من نحو اجتوروا واعتونوا واحتَوشوا » ولم يأت منهم مثل هذا التصحيح في الياء ، لم يقولوا : ابتيعوا ولا اشتريوا ، وان كان في معنى تبايعوا وتشاروَا » اهـ — اقول : يشير في آخر كلامه الى ماذكره علماء التصريف في باب الاعلال من شروط قلب الواو والياء المتحركتين المفتوح ما قبلهما الفاً . فقد اشترطوا لذلك شروطاً سبعة : سابعها ان لا تكون الواو عيناً في (افتعِل) الدالّ على معنى المشاركة ، فلا تُعَلّ في نحو « اجتور القوم يجتورون ، وازدوجوا يزدوجون ، واحتوشوا يحتوشون [1] ، واعتونوا يعتونون» . اما ان كانت العين ياء فقد اوجبوا اعلالها ، كابتاعوا يبتاعون واستافوا يستافون » اي تبايعوا وتسايفوا اي تضاربوا بالسيوف . ولم يقولوا : « ابتيعوا ولااستيفوا» كما قالوا : «اجتوروا وازدوجوا »

والاعلال كالادغام ضربٌ من التحسين اللفظي طاريءٌ على الالفاظ بعد مُضيّ زمان طويل على نشأة اللغة . فكل ما وصل الينا مُعلاً او مدغماً كان مصححاً او مفكوكاً ، فأعلُّوا منه وأدغموا

---

(١) احتوشوا الصيد انفره بعضهم على بعض . واحتوشوا على فلان جعلوه وسطهم كتحاوشوه . وحاش الابل جمعها . وحاش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه الى الحبالة .

ماراوه يثقل في النطق ، لذلك نرى كثيراً مما يستحق الاعلال او الادغام وفقاً للقياس التصريفي المعروف ليكون كنظائره التي قياسها الاعلال ، نرى من ذلك ،لم يُعلَّ مطلقاولم يدغم ، لانهم لم يجدوا داعياً للادغام اوالاعلال لسهولة هذه الالفاظ . ونرى الفاظاً جاءت بالاعلال والادغام وتركهما وهي كثيرة ايضا . فما رآه النحاة جاء على قياسهم مُعَلاًّ او مدغماً قالوا : جاء على القياس ، ومارأوه غير مُعل او غير مُدغم قالوا هو شاذ وان اطّرد في الاستعمال ، وهو في الحقيقة قد جاء على اصله لان الاصل عدم الاعلال او الادغام . والقواعد انما بُنيت على الكثير الغالب ، فما خالفها مما نطق به العرب حكموا عليه بالشذوذ باعتبار أنه نادر بالنسبة لما سمع منهم . وليس معناه انه خطأ كما يتوهم بعض الناس .

ونرى ان ما جاء على وجهين من هذا الباب فانما هما لغتان مختلفتان فمن العرب من أعلّ او ادغم ناهجاً منهج التخفيف في اللفظ ومنهم من حافظ على الاصل . و كذلك الشأن في بابي (الاعلال والادغام) مما جاء على وجهين او وجوه ، فانما هو اختلاف لغات لا أنّ القبيلة تستعمل هذا وذاك وضعاً ، فان تكلمت القبيلة الواحدة بالوجهين او الوجوه فقد سقط اليها ذلك من لغات غيرها . وقل نحو ذلك في المترادف والاضداد والمشترك .

وقد دخل من لغة كل قبيلة ، من الفاظها الخاصة بها ، شيء في لغة غيرها من القبائل ،بسبب المجتمعات والمواسم والاسواق الادبية

التي كانت تقام في ايام معلومة . ثم صار ذلك قبيل الاسلام امراً مشتركاً فيه بين القبائل كلها . وقد قوّى هذه المشاركة اجتماع كلمتهم بعد الاسلام . غير انه قد بقيت لكل قبيلة الفاظ خاصة بها . لذلك نرى العلماء يقولون : هذه الكلمة من لغة طيء ، وهذه من لغة هذيل وهذه من لغة قريش ، وهذه من لغة غيرهم . لان هذه الالفاظ لم تتناولها القبائل كلها فتمتزج بلغاتها وانما بقي استعمالها خاصاً باهلها — وهذا باب واسع ، فعسى ان نوفق لافراده في كتاب مخصوص ان شاء الله .

(٦) مار ومرّدة

وقال : ما قولكم في جمعهم (مار) على (مارة) او ليس جمعها على (مرّدة) مثل (بارّ وبررة) افصح وادقّ ؟ او ان التاء في الاولى تاء الجماعة كالمرتزقة والمتطوعة ؟

اقول : كلاهما جائز فصيح حسن في اللفظ (وقد اجاب الاستاذ عن سؤاله بجواز « مارة » في ص ٦٨)

والتاء في « مارة » هي تاء الجماعة كالمرتزقة والمتطوعة ونحوهما . وليس معنى هذا ان « المارة » ونحوها جمع ، وانما هي صفة المفرد المؤنث وُصف به الجمع ، فهي اسم جمع . قال ابو البقاء في (الكليات) : والجمع يوصف بالمفرد المؤنث بالتاء ، وهو الشائع . وقد يوصف بالمفرد المؤنث بالصيغة ، كما في قوله تعالى : « من آيات ربه الكبرى » اه . والغالب ان يكون الموصوف من جماعة المؤنث او جمع غير العاقل

مذكراً ومؤنثاً . وقد جاء الوصف به للمذكر العاقل : كالمرتزقة والمتطوعة والمسلمة والاقـوام الغابرة والحاضرة والجيوش الزاحفة والحاطمة والغالبة والمغلوبة والمنهزمة والمفلولة ، ونحو ذلك .

ونرى أنّ ما كان على وزن (فَعَلة) بفتحتين ، مما يُراد به معنى الجمع : كبررة وسفرة ، انما اصله (فاعلة) التي تدل بالتاء عـلى معنى الجمع ، فخففوه بحذف حرف المد ، وفتحوا العين منه زيادة في التخفيف لان الفتحة اخف من الكسرة ، وهو في الحقيقة اسم للجمع لا جمع كما قالوا . وكذلك المرتزقة ونحوها . — وما كان من ذلك معتل العين قُلبت عينه الفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها ، الاّ ماسُمع عنهم بالوجهين التصحيح والاعلال ، من ذوات الواو : كالحاكة والحوَكة والخانة والخوَنة والجالة والجوَلة والقالة والقولة . وهي الفاظ محدودة جاءت بالاعلال وتركه . ولم يرد شيء من ذوات الياء الا مُعَلاًّ ، كما علمت في المبحث السالف : مبحث الخانة والخونة .

وما كان على وزن (فعْلة) بفتح فسكون ، مما يُراد به معنى الجمع ، فانما اصله (فاعلة) خففوه بطرح حرف المد وأسكنوا عينـه تخفيفاً ايضاً . ولم يرد من ذلك في الصفات الا كلمتان : العيلة (وهي العيال) والرجلة (بفتح فسكون ، اي الرّجالة ، بتشديد الجيم) [1]

(١) جاء في لسان العرب (في مادة رجل) : قال ابو عمرو : الرّجلة : الرجّالة . وليس في الكلام فعلة (بفتح فسكون) جاء جمعاً غير « رجلة جمع راجل وكمأة جمع كم. » اهـ ونقول : وثالثها (العيلة) ، لانها جاءت بمعنى العيال ، كما في حديث : « انخافين العيلة وانا وليّهم » اراد العيال . وفي لسان العرب : « وهو عائل وقوم عيلة » اهـ اما رجلة وعيلة فهما من الصفات ، واما الكمأة فهي من الاسماء . وقد جاءت العيلة ايضاً مصدراً

فالاصل في عيلة (عائلة) حُذف حرف المد فرجعت الهمزة الى اصلها وهي الياء ، لانها انما قُلبت همزة لوقوعها عين اسم الفاعل وقد أُعلت في فعله [١] . فلما خفف بطرح حرف المد رجعت الياء الى اصلها لزوال السبب ، ثم أُسكنت تخفيفاً . وأكثر العرب اعلُّوا (العائلة) بعد طرح الفها وارجاع الهمزة الى اصلها ، لانها تصير الى (عَيِلة) بفتح فكسر فقلبوا الياء الفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت (عالة) - وأما (الرَّجْلة) بفتح فسكون فاصلها (الراجلة) مؤنث الراجل أُريد بها معنى الجمع بالتاء ، ثم خففوها بطرح حرف المد ، ثم بطرح حركة الجيم او انها بُنيت على (الرَّجْل) بفتح فسكون ، وهذا مخفف (راجل) او (رجيل)

ثم ان الرَّجْل (بفتح فسكون) مخفف من الرَّجِل (بفتح فكسر) بطرح حركة الجيم ، وهذا مخفف من الراجل او من الرَّجيل بحذف حرف المد . وقد قالوا : رَجُلٌ راجل ورَجيل ورَجِل (بفتح فكسر) ورَجْلٌ (بفتح فسكون) كلها بمعنى انه ليس له ظهر يركبه في السفر . ويقال ايضاً « رَجُلٌ رَجُلٌ » بفتح فضم ، بهذا المعنى . وهذا مخفف من (رَجول) بفتح فضم خففوه بحذف الواو لكنه لم يُسمع رجول . ولا ريب انهم قد تكلموا به قديماً ، ثم أُهمل فورثه مخفّفه (اي رَجُل بفتح فضم)

عالَ يعيل اذا افتقر .

(١) فان لم تُعلّ في الفعل لم تعل في اسم الفاعل ولا في المصدر . كعوِر يعوَر عَوَراً فهو عاور .

وكذلك (العيلة) مخففة من (العائلة) كما قدمنا، غير ان العائلة، بمعنى جمع العائل، لم تُنقل. لكنّ ورود مخففها وهو العيلة يدل على انها كانت في القديم مستعملة، ثم استغني عنها بمخففها، او انها كانت قد سقطت في الاستعمال من لغات من نُقلت عنهم اللغة من القبائل، وبقيت في لغات غيرهم ممن لم يرَوْا ان ينقلوا عنهم فسقطت الينا من هؤلاء. وهي شائعة في لغتنا الحاضرة شيوعاً ملأ البلاد، فلا ارى بأساً باستعمالها كما نستعمل «العيلة» المنصوص عليها قياساً على نظائرها التي تدل على الجمع بالتاء. فعيلة الرجل وعائلته من يعولهم ويمونهم ويكفلهم. واذا قلت: انا من عائلة فلان اوعيلته فالمعنى انك من ادنى اهله الذين يقوم بشؤونهم ويضمن بنفقتهم. ويصح ان تقول هذا بعد موته او في حياته وان لم يكن يعولك وهذا مجاز باعتبار ما كان. والعائلة والعيلة اخص من الاسرة. والناس لا يفرقون بينهما. فعائلتك او عيلتك مَن من حقك ان تعولهم. والاسرة الرهط الادنون (كما في القاموس) وفي اللسان: «اسرة الرجل: عشيرته ورهطه الادنون، لانه يتقوّى بهم» اه وقال ابن الكلبي: «الشعب اكثر من القبيلة، ثم القبيلة، ثم العمارة (بفتح العين وكسرها) ثم البطن، ثم الفخذ. وأسرة الرجل رهطه الادنون، وكذلك فصيلته» اه والأسرة بهذا المعنى مجاز منقول عن الأسرة وهي الدرع الحصينة، فسميت العشيرة بها لان الرجل يتقوى بها ويتحصن. وجمع الأسرة «أُسَر» بضم ففتح.

(٧) الاشقيـاء والاشرار

وقال : ما قولكم في استعمال (اشقياء) لقطاع الطرق وسفكة الدماء واللصوص والخوارج ؟ وقد جاء في القاموس : « شقاه الله » جعله شقياً ، وشقي الرجـل : كان شقياً . والشقي : ذو الشقاء — وفسر الماء بعد الكد . فما معنى الشقي ؟ أوَ ليس (التعس) بفتح فكسر . وكيف يصح تطبيق اللفظ على المعنى ؟ أو لا تقوم (اشرار) مقامها ؟

قلت : ان صاحب القاموس لم يقل : والشقي ذو الشقاء . وان كان هذا هو الواقع المفهوم من كلامه . ومن نقل كلاماً عن كتاب وقال : قال ، وجب ان ينقله بالحرف ، الا اذا اشار الى التصرف في العبارة . وهذا نص عبارة القاموس : « الشقا : الشـدة والعسر ، ويمد (اي يقال شقاء) شقيَ كرضيَ شقاً وشقاوةً وشقَوة ويُكسر وشقاه الله وأشقاه . وشاقاه : عالجه في الحرب ونحوه وغالبـه في الشقاء فشقاه يَشقوه : غلبه في الشقاء » اه وانت ترى انه لم يفسر الماء بالماء . وانما فسر الشقاء بالشدة والعسر . ولو رجـع الاستاذ الى صـدر المادة لرأى انه لم يهمل تفسير الشقاء . وقال في لسان العرب : « الشقاء والشقاوة ، بالفتح : ضد السعادة ، يُمدُّ ويُقصر . شقي يَشقى شقاً وشقاء وشقاوة وشقوة (بكسر الشين وفتحها) وشاقاه فشقاه : كان اشدَّ منه شقاءً . ويقـال : شاقاني فلان فشقوته أشقوه : اي غلبته فيـه . واشقاه الله فهو شقي بيّن الشقوة بالكسر وفتحه لغة . والشقاء الشدة والعسرة ويقال : شاقيتُ ذلك الامر ، اي عانيته . والمشاقاة : المعالجة في الحرب وغيرها . والمشاقاة : المعاناة والممارسة » اه

فانت ترى ان للشقاء معنيين ذكر احدهما صاحب القاموس وذكرهما معاً صاحب اللسان : الاول (الشدة والعسر) وهذا ما ذكره صاحب القاموس وهو اصل المعنى الآخر . والثاني (النحس ، ضد السعادة) فالشقي يكون بمعنى المنحوس ضد السعيد ، ويكون بمعنى ذي العسر والشدة والضنك . وكلا المعنيين يصح مجازاً للشقي بالمعنى المعروف اليوم ، لانه يفعل ما يفعل اما لسوء طالعه وتنكبه سبيل السعادة ، واما لعسرته وضنكه وبؤسه وضيق ذات يده . وهذا يرجع الى المعنى الاول عند التأمل ، لان من كان معسوراً بائساً ضيق ذات اليد ضيق العيش كان منحوس البخت منتحس الحياة .

وتفسير الاستاذ الشقي بالتعس (بفتح فكسر) لم أره فيما نعرفه من كتب اللغة . فالتعس : الهالك والعاثر والساقط وذو الشر والمنحط قال في القاموس : « التعس (بفتح فسكون) : الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط . والفعل كمنع وسمع . واذا خاطبت قلتَ : تَعَسَ ، كمنع . واذا حكيت قلت : تعِس ، كسمع وتعِسه الله ، بكسر العين ، وأتعسه . ورجل تاعس وتعس (بفتح فكسر) اه وجعله صاحب الاساس من باب (نصر) ، قال : والكسر غير فصيح ، ولم يفرّق اللسان بينهما . وقد ذكر اللسان لمعنى (التعس) نحو ما ذكره القاموس .

ولولا اني رأيت الاستاذ يحب التمسك بالنصوص لما تعرّضت لهذا . على ان تفسيره الشقي بالتعِس صحيح مجازاً . واذا صحَّ هذه

التفسير صح ان نقول مجازاً : انّ الشقي هو الشرير . لان من معـاني (التاعس) ذا الشر ، كما علمت . وصدر اللغة رحب . فاذا انضم الى صحة التجوز شهرة الاستعمال سهل علينا مثل هذا كل السهولة .

وبما قدمناه يُعرف الجواب على ماذكره الاستاذ في (ص : ٦٥) حيث قال : « ومنـه (الشقي) قلت : هو البائس . وفي القاموس : الشقاء والشقاوة ضد السعادة — أما اذا أُريد به الشر فيجب استعمال (شرير واشرار) بدل (شقي واشقياء) ولعل (الشقي) تصـح في الاستعمال اذا وجدنا نصاً صريحاً ان (شقيَ شقاءً) : بئس . و (شقي شقاوة) شرّ » اه

اقول : اما عبارة القاموس فقد رأيتها ، وهو لم يصرح بتفسير الشقاء بضد السعادة . وقد تعرّض لذلك التاج في اثناء تفسيره كلامه . وانما فسّره القاموس تصريحاً بالشدة والعسر . اما اصحاب اللسان والتاج والنهاية والمفردات فقد ذكروا تفسيره بضد السعادة تصريحاً .

اما النص على ان « شقيَ يشقى شقاً وشقاءً وشقاوة وشقوة » بمعنى بئسَ فهو واضح ، لتفسيرهم الشقاء بالشدة والعسر (وهـذا اصل معناه ، وتفسيره بضد السعادة مجاز) وهل الشدة والعسر الاّ البؤس . قال في اللسان : « والبؤس الشدة والفقر . وبؤس الرجـل يبأس بؤساً وبأساً وبئيساً اذا افتقر واشتدت حاجته فهو بائس اي فقير والبأساء : الشدة . والبؤسى : خلاف النُعمى . والبأساء والبؤسى من البؤس . والبؤسى والبأساء : ضد النعمى والنعماء . والبائس : المسكين » اه

ونحو ذلك في القاموس والتاج وغيرهما . وفي القاموس : عذاب بَئِس بالكسر ، وبئيس كأمير «شديد» اه ويقال : « ابتأس » الرجل فهو مبتئس ، اي اشتدّ به الامر . وقوله تعالى « وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » اي لا يشتدّ عليك امرهم . وقيل : لا تحزن ولا تغتم ولا تستكن ولا تشتك . وانما هذا تفسير بالمعنى ، لان من اشتدّ به امر حزن واغتم واستكان وشكا قال البيضاوي : « لا تبتئس : لا تغتم » وقال الزمخشري في الكشاف : لا تحزن حُزن بائسٍ مستكين . قال :

ما يَقسمِ الله أقبلْ غير مبتئسٍ منه ، وأقعدْ كريماً ناعمَ البال

والمعنى : فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم » اه والخطاب لنبي الله نوح عليه السلام (راجع الكشاف والبيضاوي في تفسير سورة نوح ، آية ٣٦)

واما ان الشقاء يكون بمعنى الشر فهو واضح من جهة التجوّز كما قدّمنا . ولا يجب لاستعمال الكلمة في معنى مجازي النص على ذلك المعنى ان كان التجوز صحيحاً مقبولا والا طرحنا كثيراً من اللغة وكلام البلغاء الموثوق بهم ، والمعوّل في شواهد البلاغة على كلامهم .

واما تفريق الاستاذ بين اوزان مصادر (شقيَ) باختلاف المعنى المراد منها فلا وجه له ، وهم لم يفرقوا بين ذلك ، فليستعمل الانسان منها ما شاء لما شاء .

(٨) متلبس بالجريمة

وقال الاستاذ : « ما قولكم في استعمال الكتّاب (تلبس) كقولهم : قُبض على فلان وهو متلبس بالجريمة ، اي مباشرها فعلاً ؟ »

قلت : قد اجاب الاستاذ عن ذلك بالجواز (في ص ٦٩) حيث قال : « وأمّا تلبس ففي القاموس : تلبس بالامر وفي الامر : اختلط وتعلق . وتلبس الطعام باليد : التزق — فلاغبار على استعمالها في قولهم : قُبض عليه وهو متلبس بالجريمة » اه

واقول : ليس في القاموس « تلبس في الامر » كما قال الاستاذ ، وانما فيه « تلبس بالامر » لاغير . ولا ذكر للتعلق فيه . وهـذا نص عبارته : « وتلبس بالامر وبالثوب : اختلط . والطعام باليد : التزق » اه وعلى كل فالمعنى صحيح ، الآ ان المرء اذا صرح انه ناقل وجب ان يكون نقله بالحرف ، الا اذا صرح انـه موجز او متصرف او ناقل بالمعنى . اما (تلبس في الامر) فلم ار من ذكرها الآ صاحب التاج ، ونفسي غير مطمئنة اليها .

وكل ذلك راجع الى معنى لُبس الثوب . يقال « لبِس الثوب (بكسر الباء) يلبَسه (بفتحها) لبساً (بضم فسكون) وتلبس بلباس حسن ولباساً حسناً . واللبس واللباس (بكسر اللام فيهما) والملبس (بفتح فسكون ففتح) : ما يُلبس . وثوب لبيس (بفتح فكسر) : كثر لبسه ، او هو الذي لُبس حتى بلي وصار خَلَقاً (بفتحتين) وجمعه لُبُس (بضمتين) وملحفة لبيس ومزادة لبيس ايضاً ، بغير هاء (لانه

فعيل بمعنى مفعول) وجمعها لُبُس ايضاً (بضمتين) ولبائس . ويقال مجازاً : دار لبيس على التشبيه بالثوب الملبوس الخلق ، قال الراجز :

دارٌ لليلى خَلَقٌ لبيس ليس لها من اهلها أنيس

ويقال مجازاً : « لَبَس الحق بالباطل يَلْبِسه لَبْساً (بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع) والمصدر بفتح فسكون[1] و « لبسه به تلبيساً » (بالتشديد) اي خلطه . ومن المخفَّف قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » — و « لبست عليه الامر (بتخفيف البـاء وفتحها) ألبسه عليه (بكسر الباء) لَبْساً (بفتح فسكون) ولبّسته عليه تلبيساً) : خلطته حتى صار مشتبهاً ، ومن المخفَّف قوله تعـالى : « ولَلَبسنا عليهم مايلبسون » . والتلبيس التخليط وشبه التدليس — و « التبس عليه الامر وألبس : اشتبه واختلط » و » امر مُلبس (بصيغة اسم الفاعل) : وملتبس : مشتبه . والتبس عليه الامر : اشتبه واختلط والتُبِس بفلان (بصيغة المجهول) : خولط في عقله ، من قولك : في رأيه لَبْس ، اي اختلاط . ويقال للمجنون (مُخالَط) بصيغة اسم المفعول — ويقال : « لابستُ فلاناً حـتى عرفت دخلته » اى خالطته — و « اللُبسة » بالضم : الشبهة . و « فِي امره لُبس ولبسة (بالضم فيهما) اذا لم يكن واضحاً — و « فلان قد لبس الناس » (بكسر الباء) اي عاش معهم — قال الشاعر :

لبستُ ابي حتى تمليتُ عمره ومَليتُ أعمامي وملّيت خاليا[2]

---

(١) فاللبس (بفتح فسكون) مصدر « لبست عليه الامر ألبسه » اي خلطته حتى اشتبه عليه . واللبس (بضم فسكون) مصدر لبست الثوب ألبسه (٢) تملى فلان عمره : استمتع منه .

وقال الآخر :

لبستُ أُناساً فأفنيتهم وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسا

و « لبس الناس على قدر اخلاقهم » اي عاشر كل واحد على قدر خلقه — و « لكل زمان لبسة (بكسر فسكون) اي حالة يلبس عليها من شدة ورخاء — و « لبست فلاناً على مافيه » اي احتملته وقبلته ، قال لبيد :

واني لأُعطي المال من لاأودُّهُ وأَلبَسُ أقواماً على الشنآنِ

وتقول « لبست اذني كذا » اذا سكتَ عليه ولم تتكلم وتصاممت عنه ، قال ابن مفرّغ :

تلبستَ سمعك ، ثم قلتَ : أرى العدا
كثروا وأخلف موعدي اشياعي

— و « لابس عمله والتبس به وتلبس به » اي باشره واختلط به (ومن هنا قال الناس : قُبض على فلان وهو متلبس بالجريمة) وتلبست به الخيل : لحقته وأدركته — وتلبس بيَ الامر : اختلط . يقال : تلبس حب فلانة بقلبي ، اي اختلط وامتزج ، قال الشاعر :

تلبس حبها بدمي ولحمي تلبُّسَ عِطفة بفروع ضال [1]

ويقال : ملاك الله اصحابك تلية ، وأملاك ايام إملاء ، اي متعك بهم وأعاشك معهم طويلاً . يقول : عشت مع ابي طويلاً حتى استمتعت من طول عمره ، وملاني الله اعمامي واخوالي اى متعني بهم .

(١) العطفة بكسر فسكون ويجوز فيها التحريك : شجرة تتلوى على الشجر وتنعطف عليه وتتعلق به حتى تختلط ، وليس لها غصون . ويقال لها (العصبة) ايضاً بفتح فسكون ، وضم فسكون ، وبفتحتين ـ والضال : نوع من الشجر ، وهو السدر البري . والضال

(راجع الاساس واللسان والقاموس وتاج العروس ومختار الصحاح)

وهل يقال : « تلبّس بالصلاح او التقوى او الوطنيـة أو حب المصلحة العامة او نحو ذلك » ؟ لم أرَ في كتب القوم ما يؤيده ، غير انه جائز على سبيل التجوز . وقد علمت ما في هذه المادة من المجاز . فالتلبس « تَفعُّل » وهذا البناء من معانيه التكلف ، فيكون المعنى انه تكلف الظهور بمظهر اهل الصلاح والتقوى والوطنية والمصلحة العامة . وقد شاع استعماله بهذا المعنى شيوعاً يحملنا على قبوله لحسنه وصحة التجوز فيه .

(٩) المالي والمتمول والخبير المـالي

وقال : « قال بعضهم : سافر الى مصر المالي الشهير فلان » أفيصح استعمال (المالي) للعارف اصول ادارة الامـوال ؟ ام تستعمل اصاحب المال نفسه ؟ واذا صحت هذه عن مدير المالية فقد جاز عندئذ ان نقول (الداخلي) لمـدير الداخلية (والخارجي) لمدير الخارجية) و (النافعي) لمدير النافعة و (العارفي) لمدير المعارف وهلمّ جرّاً — واذا لم تصح فماذا يقال في موضعها ؟

قلت : كونُ (المالي) للعارف اصول ادارة الاموال واضـح وقد درج عليه الاستعمال والعرف ، وهو استعمال صحيح له نظائر ، كما تقول : الصرفي والنحوي واللغوي والكيماني والصيدلي والزراعي والصناعي ونحو ذلك . وقد اصبحت كلمـة (المالي) من الكلمات العلمية . وقد استعملها الترك في كتبهم ودواوين حكومتهم منـذ

من السدر ما كان عذياً . والواحدة ضالة . والعذي ، بكسر العين وتفتح : الزرع الذي لا يسقيه الا المطر .

عهد بعيد ، وهي تفيد ما يفيده (الخبير المالي) وربما كانت ادلّ على المعنى منه . واذا أُطلقت وأُريد بها صاحب المال فلا ينصرف الذهن الى هذا المعنى ، لانه يقال في العرف لهذا المعنى (المثري والمتموِّل)

وقول الاستاذ : « واذا صحت هذه عن مدير المالية فقد جاز عندئذ ان نقول (الداخلي) لمدير الداخلية الخ » نقول فيه : انها لم تُستعمل حتى الآن في ذلك ، ولا ارى ان الناس يعدلون اليها . واي حرج في ان يقال « مدير المالية والداخلية والمعارف الخ » كما يقال « وزيرها » ؟ وكم من اصطلاح كان في الدول العربية وليس بينه وبين المعنى اللغوي الاصلي الا علاقة اوهى من بيت العنكبوت . وقد قبلوه من غير ما نقد ولا اعتراض ، لان الحاجة لا تعرف التقليد ولا التقيد .



جواب اسئلة عامة

كتب الاستاذ في (ص ٨ و٥٣ و ٥٤) اسئلة عامة تتعلق بالموضوعات الآتية :

(١) الشذوذ والقياس — (٢) مفردات اللغة — (٣) تعديل القواعد — (٤) الاشتقاق — (٥) التعريب — (٦) المجمع العلمي .

وقد مرّ رأينا في ذلك متقطعاً في اثناء هذه النظرات . ولا بأس باجماله هنا ، حتى اذا سمح لنا الوقت كتبنا في ذلك رسالة خاصة مؤيدة بالبراهين المقنعة . فنقول :

(١) — الشذوذ والقياس

الشاذُّ ما فارق ما عليه بابه وانفرد من ذلك الى غيره .

ويقابله المطّرد : وهو ما جاء على نمط مستمر .

وليس كل شاذ غير مقبول ، كما يتوهم بعض الناس . بل لا يرفض منه الاّ ما خالف القياس والسماع . كما ستعلم .

وسرُّ الشذوذ ان العلماء لما جمعوا اللغة ووضعوا لها قواعدَ واصولاً راعوا في ذلك الاكثر دوراناً على ألسنة العرب ، فأصّلوا له اصولاً فما خالفها عدُّوه شاذاً بالاضافة الى هذه القواعد التي بنوها . وهناك الفاظ كثيرة تخالفها تلك الاصول التي بُنيت على الكثير الغالب .

ولا ريب ان هذه الالفاظ التي سموها شاذة قد جاءت على اصولها القديمة من جهة أنها فروع بُنيت على اصول أُهملت فقام مقامها مهذَّباتها .

فكم من جموع بقيت على حالها التي كانت عليها قبل تهذيب مفرداتها . فلما هُذّبت مفرداتها على تمادي الزمان حافظ عليها العرب، وتركوها اسماء يُدل بها على جموع مفرداتها المهذَّبة .

وكم من افعال ظلت كذلك وهُذّبت أُصولها . وقل نحو ذلك فيما جاء مخالفاً لقواعد التصغير والنسبة والاعلال والادغام . فكل ذلك قد عدَّه العلماء من الشذوذ بالنسبة الى أنه لم يتبع اصوله في التهذيب .

فما كان كذلك ارتضوا منه ما اطّرد في السماع وان خالف اقيستهم. وما لم يطّرد، بحيث أُهمل او بقي مسموعاً قليلاً، لم يرتضوه لشذوذه في السماع والقياس .

قال ابن نوفل : « سمعت ابي يقول لابي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعتَ مما سميتَ عربية : أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال : لا . فقلت : كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : أحمل على الاكثر، وأسمي ما خالفني لغات » اه

والكلام في الاطراد والشذوذ على اربعة اضرب :

الضرب الاول — المطرد في القياس والاستعمال جميعاً . وذلك ان يكون الكلام مطابقاً لقوانين العربية، موافقاً للمسموع من كلام العرب . وهذا هو الغاية . وهو جميع اللغة إلاّ ما نصّ العلماء

على شذوذه قاعدة او سماعاً .

الضرب الثاني — المطرد في القياس الشاذ في الاستعمال . وذلك مايكون غير مسموع ، او سُمع نُدوراً ، لكنه لو استعمل لجرى على قياس نظائره . وذلك كالماضي من « يذر ويدع » فانه لم يسمع لكن القياس يجيزه ليكون كنظائره ، فقد قالوا : « وزنَ يزِنُ ووعد يعد » لكنه لم يُسمع . ولم يجيء منهما الا المضارع والامر . فقالوا : « يذَر ويدَع وذَرْ ودع » بمعنى « يترك واترك » ومادّتاهما تدلان في الاصل على معنى القطع . وقد أماتوا ماضيهما ومصدرهما واسم الفاعل منهما استغناء عنها بترَكَ والترك والتارك . غير انه قد سُمع منهما الماضي واسم الفاعل سماعاً نادراً . والعرب كلهم الا قليلاً منهم قد أميت ذلك من لغاتهم بعد ان تكلموا به دهراً طويلاً ، وليس المعنى انهم لم يتكلموا به البتة .

ومن ذلك قولهم : « أبقل المكان فهو باقل ، وأورس فهو وارس » والقياس « مُبقل ومُورس » غير ان الاول هو المسموع ، والثاني هو القياس : كأخصب فهو مُخصب . وقد سُمع « مُبقل » ايضاً قليلاً ، فاستعماله شاذ من جهة عدم السماع لكنه قياس نظائره . قال ابن جني : « مكان مُبقل » هو القياس و « باقل » اكثر في السماع . ومبقل مسموع ايضاً .

وما كان من هذا الباب فليس بالشاذ عند التحقيق ، لانه جاء على صيغته التي اهملوا استعمالها . فانهم لم يقولوا : « يذر ويدع » الا

قالوا قبل ذلك « وذر وودع » ، ولم يقولوا : « مكان باقل ووارس » الا قالوا قبلُ : « بقل المكان وورس » وانما سموه شاذاً بالاضافة الى قلة استعماله او اهماله من كلام العرب . فقد يميتون اصلاً ويُبقون على فرعه . كما أماتوا « بقل وورس » وابقوا على « باقل ووارس » ، وكما أماتوا « وذر وودع » ومصدرهما واسم الفاعل منهما وأبقوا على المضارع والامر منهما . وقد يميتون فرعاً ويستحيون أصله ، كما قضوا على « مبقل ومورس » واستحيوا « أبقل وأورس » . فما كان كذلك تحاميتَ ماتحامت العرب منه ، وجريت فيه على السماع ، وتركت ماتركوه .

الضرب الثالث — المطَّرد في الاستعمال (اي السماع) الشاذ في القياس : كتصحيح (مفعول) مما عينه ياء في لغة تميم ، نحو « مديون ومبيوع » وحقها الاعلال . ومنه « استصوبت الامر ، واستحوذ عليه الغضب ، وأغيلت المرأة ، واستنوق الجمل ، واستتيست الشاة ، واستفيل الجمار » ونحو قولهم « القود والحول والخول والخور » ونحو « أحوجني الامر ، وأروح اللحم ، وأحول الغلام وأعول ، وأقولتني مالم أقل » ونحو « الحوَكة والخوَنة والقوَلة » . وكان القياس الاعلال بقلب الواو والياء في كل ذلك الفاً ، كما يقال في نظائرها : « أحال واستعاذ واستقام » وقد جاءت « الحاكة والخانة والقالة » مُعلَّة ايضاً على القياس .

فما جاء مخالفاً للقياس مطرداً في السماع لا يحمل عليه غيره ، ولا يجوز ان يُتخذ اصلاً يُقاس عليه . الا ترى انك اذا سمعت « استحوذ

واستصوب » أديتهما بحالهما ولم تتجاوز ما ورد فيه السماع فيهما ، فلا تقول: « استقوم ولا استبيع » بل تقول : « استقام واستباع » بالاعلال . فما ورد مما تقدم يُحفظ ولا يقاس عليه .

وما كان من هذا الباب فانما جاء على الاصل الذي هو عدم الاعلال . والاعلال ، كما قد مرَّ بنا في غير هذا المكان ، تحسين لفظي طاريء ، فما استثقلوه أعلّوه ، وما لم يروا فيه ثقلاً تركوه على حاله . فوجد العلماء ما تركوه كذلك اقلَّ مما أعلّوه ورأوا أن الغالب في نظائره من كلامهم قد أُعلَّ ، فسموا ما لم يُعلّ شاذاً في القياس وان اطّرد في السماع .

ومثل ما اطرد سماعاً وشذَّ قياساً جموع كثيرة لم تجيء على لفظ مفردها ، لانه قد أهمل في الاستعمال ، كالمشابه والملامح والحوائج . او لم تجيء على قياس جمع مفردها : كَزناد واجداد ورجال وارجل .

وما كان مما تقدم ، [اي مما ورد به السماع مطرداً وكان مخالفا للقياس] فهذا ما لا سبيل الى ابطاله . وليس في طاقة بشر ان يثلم فيه ثلمة بَلْهَ ان يضعضع اركانه او يهدم بنيانه . لانه هو الوارد عنهم . والاقيسة انما وضعت بعد كلامهم . فما سمع منهم فلا بدَّ من اتباعهم فيه . والا طرحنا جملة من الالفاظ جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب في الجاهلية والاسلام . وهذا ليس في متناول احد ان يقدم عليه الا اذا عدم الحجا وزاغ به الهوى . على ان مثل

هذا ليس خاصاً بلغة العرب ، بل هو عام شامل لها وللغات اوربة ، فان في هذه من المسموع المستعمل المخالف للقواعد عندهم شيئاً كثيراً . وفيها كثير مما جاء بوجهين او أوجه ولا يوافق القواعد منها الا واحد ، كما حدثنا الثقات ممن نحروا هذه اللغات فهماً حتى حذقوها حذق اكابر ادبائها .

والقياس على ما سموه شاذاً في القياس اهون عند الحاجة من اجراء ما ورد به السماع على اقيستهم التي وضعوها . ولكون المسموع المطرد في حكم القياسي لم يعدُّوا ما كان مطرداً سماعاً شاذاً قياساً مخالفاً للفصاحة اللفظية .

الضرب الرابع — الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً . من ذلك تتميم (مفعول) مما عينه واو ، نحو « ثوب مصوون ، ومسك مدووف وفرس مقوود ، ورجل معوود » . ومنه ما خالف قواعد النحاة المشهورة فكل ذلك شاذ في السماع والقياس ، نادر لا يقاس عليه ولا يُرَدُّ غيره اليه . وما كان من هذا الباب فانما هو مما غلطوا فيه .

قال ابن جني في كتاب (الخصائص) : قال ابو علي : « انما دخل هذا النحو في كلامهم لانهم ليست لهم اصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وانما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد » . وقال ابن فارس في كتابه فقه اللغة المعروف بالصاحبي : « ما جعل الله الشعراء معصومين يُوَقَّون الغلط والخطأ . فما صح من شعرهم فمقبول . وما أبته العربية وأصولها

فردود، كقوله : « الم يأتيك والانباء تنمي [١] »

وقوله : « لما جفا اخوانُهُ مصعباً [٢] »

وقوله : « قفا عند مماً تعرفان ربوع [٣] »

فكله غلط وخطأ » اهـ — اذا علمت ذلك فلا يُقبل مما يسمونه شاذاً الا ما كثر سماعه منهم وان خالف الاقيسة . لان هذا لا سبيل الى دفعه لكثرته .

....

وصفوة القول أنَّ ما جاء به السماع وأيَّده القياس فهو الغاية . وان ما خالف السماع والقياس فهو مرفوض لا يعوَّل عليه لانه غلط ، ولو جاء عن أفصاح العرب ، فان النادر لا يُعبأ به ولا يُلتفت اليه . وانَّ ما خالف القياس واطَّرد في السماع وجب قبوله وعدم الالتفات الى القياس ، ولا يجوز ان يُحمل عليه غيره . وأنَّ ما خالف السماع ووافق القياس ارتضينا منه ما كنا في حاجة اليه وجرى عليه عرف فصحاء الكتاب والشعراء وقد مضى الكلام على بعض ذلك كالتشريع والتشرُّع والتطوير والتطوُّر والمُواطن والتكاتف (بالتاء) وغيرها .

(٢) — مفردات اللغة

ليس في امكان احد طرح شيء من مفردات اللغة ، وكيف

(١) اثبت ياء يأتي في الجزم وذلك غلط .

(٢) اعاد الضمير على مصعباً المتأخر لفظاً ورتبة ، وهو خطأ .

(٣) فصل بين المضاف والمضاف اليه ، وذلك منكر .

يمكننا ذلك وقد انتشرت كتبها انتشاراً مـلأ الخافقين غير أنّ من يكتب معاجم جديدة فله ان يُثبت ما يشاء ويغض الطرف عما يشاء مما يراه مناسباً للحال الحاضرة ، على ان كثيراً ممـا يراه جمهرة من المتأدبين حوشياً او وحشياً كان قبـل مئات السنين إنسياً مألوفاً . وان كثيراً من الفاظ الفصحاء من كتابنا وشعرائنا اليوم كانت قبل ربع قرن او اكثر من الالفاظ الوحشية في نظر ذلك العصر . ورب كلام يعدُّه بعض الناس اليوم وحشياً يعدُّه من يأتي بعدنا إنسياً محبوباً فلكل زمان اسلوبه والفاظه . واللغة ليست ملكاً لابناء جيل بعينه وانما هي وقف على المجموع ينتفع به كل عصر ولا يعمل على محوه

(٣) — تعديل القواعد

اما التعديل في القواعـد فاني ارى انه لا يلجأ الى المطولات الجوامع الا القليل من الناس يحب الوقوف على ما خلّفه الجـدود ليكون على بصيرة تامة . واي حرج على من يريد احصـاء القواعد والتعمق في درسها ؟ واكثر الناس يكتفون من اصول اللغـة بما يأمنون معه العثار : بدرس مختصرات كتبت قبـل اليوم او في عصرنا هذا ، وهي لا تشتمل الا عـلى ما يرد في كلام الفصحاء في الجاهلية والاسلام . فاي تعديل يريد الاستاذ ؟ وايُّ قاعدة يجب ان تعدَّل ؟ واي باب يود ان يُطرح ؟

اما قوله في (ص ٥٣) : « ولا يزالون يحافظون عـلى الخطأ المسموع منها فيسمونه شاذاً حرصاً على كرامة القائل . وذلك منتهى

ما بلغ منا فيه الجمود والحرص » فما كنت اودان يدخل الاستاذ في هذه المضايق . فان هذا الشاذ انما كان شاذاً بالنسبة الى ماوضعوه من القواعد . وقد سبق القول ان ما كان شاذاً في القياس مطرداً في السماع (وهو ماسماه الاستاذ هنا تسرعاً بالخطأ المسموع) فلا مندوحة لنا عن اتباعه ، والا اهملنا كثيراً من كلام العرب . وما هـذا بالجمود ، ولكنه إرث الجدود . وما أحب أن أطيل في هذا ، والاستاذ ادرى . وان خفي الاشارة يغني عن ظاهر العبارة . وليس هـذا من خصائص لغتنا وحدها ، ففي لغات الامم الحاضرة مافي العربية من ذلك واكثر - أمّا ما كان شاذاً في السماع والقياس فقـد قلنا انه من الخطأ الذي لا يُلتفت اليه . وهذا مايجب تجريد كتب القـواعد المتوسطة والمختصرة منه ، على قلته وقلة تعرضها له . وليس من هذا شيء في كلام من يُحرص على كرامته .

(٤) - الاشتقاق

أمّا فتح باب الاشتقاق لتوسيع المجال امام حاجات العصر فهذا مما نوافق عليه . وقد مضى بنا الكلام عليه في مواضع من هذه النظرات . لافرق في الاشتقاق بين ان يكون اشتقاق الفاظ عربية من مثلها او معرّب من مثله . والاشتقاق في الحاجة اليه كالمجاز . وقد قال احمد بن فارس من ائمة اللغة في القرن الرابع في كتابه فقه اللغة المعروف بالصاحبي « اجمع اهل اللغة ، الا من شذّ عنهم ، أنّ للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وان اسم الجن مشتق من الاجتنان .

وأنّ الجيم والنون تدلاّن ابداً على الستر . تقول العرب للدرع جُنّة . وأجنّه الليل . وهذا جنين، اي هو في بطن امه او مقبور . وأنّ الانس من الظهور : يقولون : آنستُ الشيء : أبصرته . وعلى هذا سائر كلام العرب . علم ذلك من علم وجهله من جهل » اه غير انّ هذا الامام لا يجيز قياساً لم يقيسوه، ولا ان نقول غير ماقالوه . وهذا تضييق يقضي على اللغة بالجمود وعلى اهلها بالخمود . والحق ان كل قياس يجري على سنن العرب في كلامهم وكانت الحاجة تدعو اليه فلا محيص لنا عن قبوله . وما قيس على كلام العرب قياساً صحيحاً فهو من كلامهم . ولنا اسوة حسنة فيمن سبقونا فتصرفوا في الفاظ اللغة في كل نوع من انواع العلوم اللسانية والعقلية والمادية والاجتماعية . حتى عدّ ذلك من اللغة لا يردّه الاّ من لا معقول له .

(٥) - التعريب

أمّا التعريب فهو ضروري جداً، لاننا في حاجة ماسّة الى كثير من الالفاظ نستعين بها على اداء ماتضطرنا اليه الحاجة في هذا العصر، عصر العلم والابتكار والابتداع والاختراع والبخار والكهرباء والبواخر والقطارات والسيارات والطيارات والغوّاصات . والامة فقيرة الى كلمات كثيرة تضمها الى لغتها . وليس الذنب في ذلك على اللغة التي ضيقها ابناؤها، بعضهم بتنطعه وبعضهم باهماله . وانما الذنب على هؤلاء واولئك . ولو سلكنا سبيل السلف الصالح ونهجنا منهجهم في الاشتقاق والتعريب لما ضاق بنا المجال، ولا أرتج علينا في المقال

ولا عيينا بالافصاح ، ولا تنكبنا الحجة في الايضاح . ولكن التقليد فيما لا يفيد رمانا من الذروة الى الهوّة وقد قال الامام الجاحظ : « ان كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق الخطباء ، وابلغ من كثير من البلغاء . وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني ؛ وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء . وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم . فصاروا بذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع » .

ولو رجعنا البصر الى المبتدأ لهان علينا الخبر . ولكننا ضيقنا على انفسنا فضاقت علينا لغتنا بما رحبت .

ان تلك اللغة الشريفة العُلويّة ، التي وسعت علوم الاوائل والاواخر ، واتسع صدرها لكل اشتقاق صحيح ومعرّب ، دعت اليه الحاجة ، لم تضق اليوم ، وانما ضاقت صدور ابنائها . واللغة بالامة . وكذلك الامة بلغتها .

ونرى انه يجب الاقتصار في التعريب على ما تمس اليه حاجة العلم والاجتماع . فلا نتهور فيه تهوّراً يجعل لغتنا برج بابل . فما كان مستعملاً في كتب العلم عند الجدود ، سواء أكان مشتقاً من العربية ام معرّباً تبعناهم فيه . وما لم يكن له ذكر فيها ، فان كان في لغتنا ما يقوم مقامه مما يسهل على الناس النطق به كالطيارة والمنطاد والسيارة والقطار والغواصة والبرق والبريد والحاكي ونحوها لجأنا اليه . وما لم يمكنّا العثور على لفظ يؤديه عرّبناه بتهذيب مدوده

وحركاته ليأتلف مع اللفظ العربي . وان في العلم الحاضر والمبتكرات الجديدة ودقائق الآلات كثيرا يصعب اشتقاق لفظ عربي له ، فهذا لا مندوحة لنا عن تعريبه وادخاله في المعاجم الجديدة ، كما ادخل سلفنا كثيراً من نحو ذلك في معاجمهم .

(٦) - المجمع اللغوي

لذلك نرى ان المجمع اللغوي ضروري جداً لينفخ في اللغة روحاً طيبة تنعشها . ونرى ان يكون هذا المجمع مجمعاً عاماً شاملاً للبلاد العربية والديار الاعجمية التي يُضطر بعض اهلها الى تعلُّم العربية لفهم الاسلام وكتابه الكريم . وفيهم نخبة صالحة من العلماء المحققين المبرّزين لا يقلون براعة في العربية عن علماء العرب انفسهم .

وفي مكنة الديار التي فيها مجامع علمية ان ترسل من ينوب عنها في حضور هذا المجمع اللغوي العام . ويجب على كل بلاد ان تقوم بنفقة من ترسله اليه .

تم الكتاب

. . . . .

هذا ما جرى به القلم في هذا الميدان . ولا ندّعي العصمة فيما كتبنا . فالانسان مُعرَّض للخطأ والصواب . وما منّا إلاّ من رَدَّ ورُدَّ عليه . ولنا من حسن النية ومحبة هذه اللغة الكريمة ، كما للاستاذ ، اعظم شفيع . والله من وراء القصد .

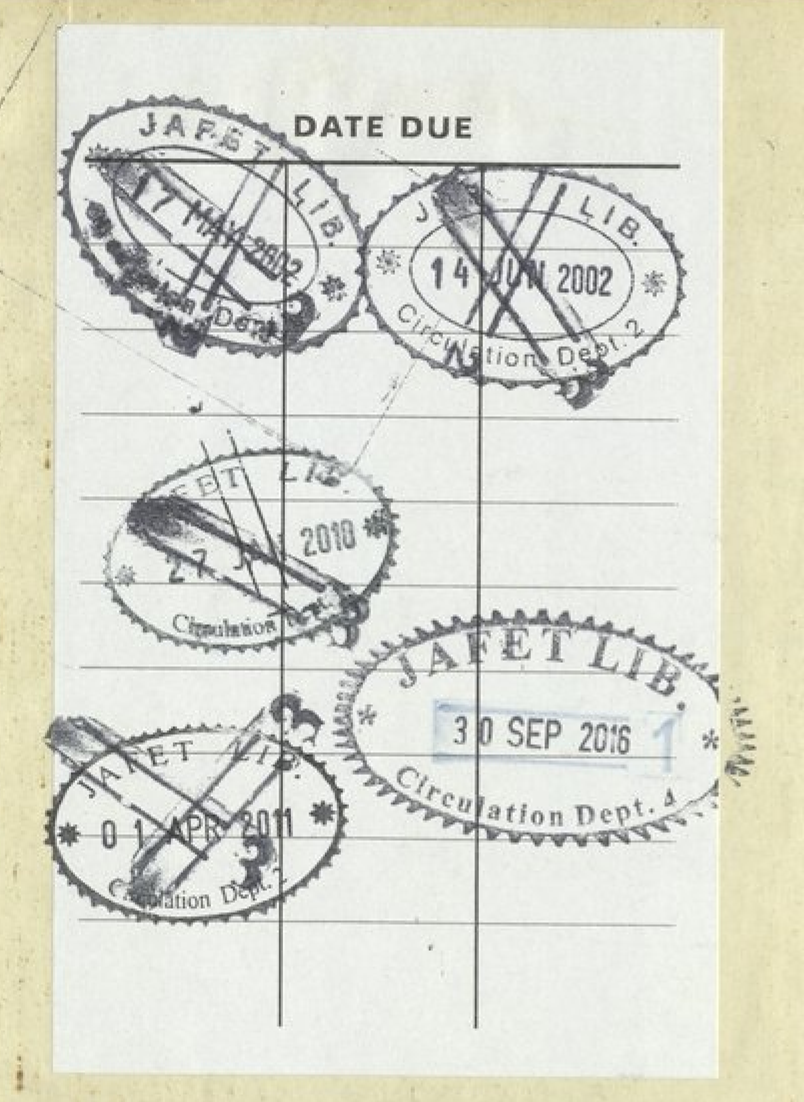
مضامين الكتاب

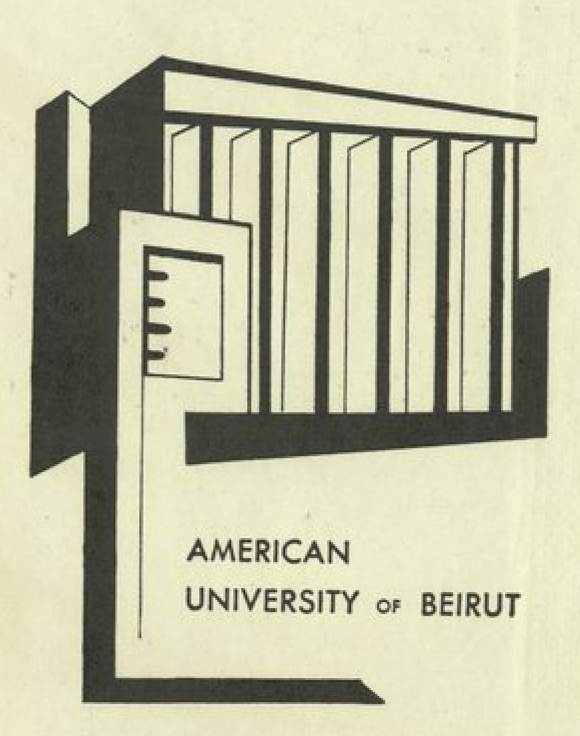


الخطأ وصوابه

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
الناطر	الناظر	٤	١٠
محلصاً	مخلصاً	٤	١٥
علبه	عليه	٤	١ (من الحاشية)
للمتفدم	للمتقدم	١١	١
امصاء	امضاء	١٦	٨
ترتبب	ترتيب	١٩	١٨
فعررة	فعروة	٢٥	١
مثى	مشى	٢٧	١٣
الُدان	المُدان	٣١	١
امتل	امثل	٣٨	٦
المفرد	(في بعض النسخ) لمفرد	٤٤	١٥
الغة	اللغة	٥٠	١٤
اشتقة	اشتقه	٥١	٢
كفول	كقول	٥١	١٠
مُحفر	مُخفر	٦٤	١١
شحص	شخص	٦٥	٥
وبارٍ	وبارٍ	٧٥	٧
النداني	التداني	٨٣	٢
محرور	مجرور	٩١	١٤

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
بني	بني	١٠١	٤
فلأن	فلأنْ	١٠١	٨
الفاء	الثاء	١١٨	٤
وطئتة	وطئته	١٢٣	١٣
ريد	زيد	١٢٩	١١
يـل	يصل	١٣٠	١١
الاعتاد	والاعتاد	١٣٢	١٢
ثي.	شي.	١٣٤	١
وراية	ورواية	١٣٤	١ (من الحاشية)
ونهينة	وتهينه	١٣٦	٣
منة	منه	١٤٠	٥
فال	قال	١٤١	١٢
لمشابهتة	لمشابهته	١٤٢	١٧
يعينه	يعنيه	١٤٥	١٠
لئاماً	كراماً	١٥٣	١٢
بيضٌ	بيضٌ	١٥٥	١٩
لم	لو	١٥٩	١
النقل	الثقل	١٥٩	٣ (من الحاشية)
علي	على	١٦٠	٢
تمكناً	تمكناً	١٦١	١ (من الحاشية)
تعيين	تعيين	١٧٣	٤
إنه	لغة	١٧٧	٥


DATE DUE
JAFET LIB.
17 MAY 2002
14 JUN 2002
Circulation Dept. 2
2010
Circulation
JAFET LIB.
30 SEP 2016
Circulation Dept. 4
01 APR 2011
Circulation Dept.


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

